جـــــامعـــــــــــــة 8 مــــــــــــاي 1945

قــــــــالمـــــــــــــة

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية

قسم: التاريخ و الآثار

تخصص: تاريخ عام



مذكرة تخرج مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ العام

تحت عنوان

واقع الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق في ظل حكومة الداي حسين

إعداد الطلبة:

- جبيري إيمان
- بوياسي مريم

إشراف الأستاذ:

- برمضان سعاد

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.بوشارب سلوى	أستاذ مساعد.أ	رئيسا	قالمة
أ.برمضان سعاد	أستاذ مساعد.أ	مشرفا ومقررا	قالمة
أ.مدور خميسة	أستاذ مساعد.أ	عضو مناقش	قالمة

السنة الجامعية 2016/2015


بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العلم ، وجعلنا من الذين يسيرون على دربه إذا وفقنا في إنجاز هذا العمل الذي نأمل أن نكون شمعة من شموع العلم نضيء درب أي طالب علم ولو بجزء يسير.

جزيل الشكر والتقدير والاحترام للأستاذة المشرفة" سعاد برمضان" التي ما تأخرت عنا في عون أو مشورة أو ما بخلت علينا بجهدها وعطاءها.

كما نشكر جميع الأساتذة الأفاضل الذين تابعنا معهم المشوار الدراسي منذ أول سنة بكلية العلوم الانسانية و الاجتماعية.

كما نتقدم بالشكر لمن ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد

إيمان و مريم

قائمة المختصرات

الكلمة	اختصارها
الجزء	ج
الطبعة	ط
هجري	ه
ميلادي	م
المؤسسة الوطنية للكتاب	م.و.ك
مجلد	مج
تعريب	ت
تحقيق	تح
تقديم	تق
دون طبعة	(د- ت)
ترجمة	تر
صفحة	ص
العدد	ع
تعليق	تع
قبل الميلاد	ق.م


مقدمة

مقدمـــــــــــــة

التعريف بالموضوع و الاهمية :

تعتبر الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر الحديث فترة مهمة وحاسمة حيث كانت الجزائر خلال هذا العهد من أقوى الدول في حوض البحر الأبيض المتوسط، كما كانت تحتل مكانة خاصة في دولة الخلافة ، إذ كانت تتمتع بإستقلال شبه كامل، فقد عرفت الجزائر خلال هذا العهد تطورات مختلفة في مجالات الحياة السياسية والإقتصادية و الثقافية.

و ما نسعى إليه من خلال هذه الدراسة هو تناول الحياة الإجتماعية في بايلك الشرق باعتبار المجتمع هو المحرك الأساسي للفعاليات و الأنشطة الإجتماعية، حيث تعتبر هذه الأخيرة من أهم المواضيع التي تكشف عن جانب من فعالية المجتمع في مختلف المراحل التاريخية منها الفترة الخاصة بالعهد العثماني فهي نموذج لتنوع تلك النشاطات و هذا ما أكدته مختلف المصادر، وباعتبار أنها عاشت أزهى عصورها في فترة حكم الداي حسين ، اخترنا فترة1807-1830 والتي كانت نهاية عصر عرف بالعصر الذهبي للمدينة خلال مرحلة الحكم العثماني بالجزائر.

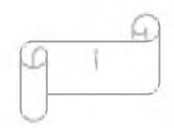
وتكمن أهمية الموضوع في:

- تكمن أهمية الدراسة الراهنة في تسليط الضوء على مرحلة هامة من مراحل الحكم العثماني في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني.
- كما لا ننسى أن الجانب الاجتماعي لازال يكتنفه كثير من الغموض مع العلم أن أغلب الدراسات اقتصرت على المجال السياسي و الاقتصادي.
- وكذلك التطرق الى دراسة المجتمع في بايلك الشرق قبل التحولات الكبرى التي أحدثها الاحتلال الفرنسي ابتداءا من العقد الثالث القرن 19 و معرفة أنماط المعيشة داخل مدينة قسنطينة و ضواحيها.
- و بالإضافة إلى الأهمية العلمية التي يكتسبها الموضوع عالميا ومحليا.

أسباب اختيار الموضوع:

إن اختيار أي موضوع يحمل في طياته أسباب و دوافع عديدة تثير فضول الباحث و تدفعه الى اختياره دون غيره من المواضيع الاخرى منها :

- كانت بدافع الفضول العلمي ورغبة منا للخروج ببحث منطلقة التركيز على التاريخ الإجتماعي لمختلف شرائح المجتمع القسنطيني في أواخر العهد العثماني.
- ندرة الدراسات التاريخية التي تطرقت إلى مثل هذا الموضوع وإن وجدت فإنها درسته بشكل أو بآخر.
- اعتبار مدينة قسنطينة عاصمة للثقافة العربية 2015، فقد كان هذا حافزا للتعرف على بعض خبايا هذه المدينة والخروج بشيء جديد حتى ولو كان بسيطا يخص المجتمع القسنطيني و يزيد من إثراء تاريخها العريق.
- محاولة استكشاف واقع الحياة الإجتماعية وملامحها الكبرى لبايلك الشرق.
- معرفة مختلف العلاقات و المبادلات التي عاشها مجتمع تلك الفترة.



- هذا الموضوع لا يزال فيه بعض الغموض الذي يحتاج لمزيد من الدراسة و التمحيص.
- غياب الدراسات التاريخية الكافية عن مثل هذا الموضوع و إن وجدت فإنها لا تخص الفترة العثمانية.
- الرغبة في معرفة العادات والتقاليد التي خلفها الحكم العثماني في المجتمع الجزائري وعلى وجه الخصوص المجتمع القسنطيني.

طرح الإشكالية :

إن المتتبع لسير الدراسات في الجزائر في العهد العثماني يجد معظمها مهتما بالدراسات السياسية والعسكرية في حين نجد نقص كبير في الدراسات الإقتصادية والثقافية وخاصة الإجتماعية و عليه وإدراكا منا بأهمية تاريخ الحياة الإجتماعية في العهد العثماني إرتئينا تناول هذا الموضوع حيث تحاول هذه الدراسة معالجة هذا الموضوع إنطلاقا من الإشكال الآتي :

"ما مدى تأثير الحياة الإجتماعية في بايلك الشرق في ظل حكومة الداي حسين على الجانب السياسي و الإقتصادي ؟"

و تندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية أسئلة جزئية أبرزها :

- كيف كان دخول الأتراك لبايلك الشرق وكيف كانت ردة فعل السكان ؟
- ماهي الوضعية الديمغرافية للسكان وكيف تم توزيعهم في هذا الإقليم ؟
- ما مدى تأثير الحالة الصحية والظروف المعيشية على السكان في تلك الفترة ؟
- ماهي ملامح الزواج والطلاق بالمجتمع القسنطيني في تلك الفترة ؟
- ماذا عن المهن والحرف التي مارسها سكان بايلك الشرق وكيف كانت ملامح النمط العمراني لهم ؟
- كيف كانت حركة التجارة والفلاحة للمبايلك في تلك الفترة ؟

شرح الخطة :

وعلى هذا الاساس ارتائينا دراسة موضوع واقع الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق واخترنا مرحلة الداي حسين.
و لنتمكن من الخوض في غمار البحث كان لابد لنا من تصور الخطوط العريضة له و لذلك تم تقسيم هذه الدراسة الى مقدمة و مدخل و ثلاثة فصول حيث:

المدخل: وقد قسمناه إلى ثلاثة عناصر، إذ ورد العنصر الأول تحت عنوان "موقع قسنطينة الجغرافي و حدودها " ذلك بغرض ضبط الموقع وحدوده والتعرف على امتداده وخصائصه،أما العنصر الثاني فقد ادرجناه تحت عنوان "قسنطينة قبل دخول الأتراك " وذلك للتعرف على من حكمها قبل مجيء الأتراك أما العنصر الثالث تحت عنوان " دخول الأتراك المدينة وردة فعل سكانها " وذلك بالتطرق إلى ظروف انتقال قسنطينة من الوصايا الحفصية إلى الحكم العثماني ، كما تحدثنا على انقسام أهل المدينة بين معارض للوجود العثماني ومساند له.

أما الفصل الأول : فقد أدرجناه تحت عنوان "التنظيم الإداري و المظهر السكاني ببايلك الشرق "، وقد خصصناه المحديث عن السكان بتقسيمه إلى أربعة مباحث، أدرجنا الأول تحت عنوان "تنظيم الإدارة ببايلك الشرق" إذ وبعد دخول الأتراك الى الإقليم الشرقي من الايالة تم إخضاعه إلى تنظيم إداري حافظ نسبيا على النمط الإداري القديم، أما المبحث الثاني "توزيع السكان ببايلك الشرق " حيث تباينت آراء و كتابات المؤرخين حول تحديد عدد السكان بالبايلك وتحكمت في توزيع السكان العديد من العوامل، بعدها يأتي المبحث الثالث تحت عنوان "الطوائف الإجتماعية للبايلك "، تناولنا البنية الإجتماعية في كل من المدينة والريف، وقد ركزنا على قاعدة المجتمع حيث لا يمكن فصله عن الشخصيات البارزة والمهمة كونها لها تأثير على القرار السياسي ومن ثم على الحياة الإجتماعية، أما المبحث الرابع فجاء تحت عنوان "الظروف المعيشية لبايلك الشرق " حيث تناولنا فيه الحالة الصحية والأوضاع والآفات والأمراض التي واجهها المجتمع والكوارث الطبيعية.

أما الفصل الثاني: فلقد حاولنا فيه عرض واقع الحياة الإجتماعية للبايلك، ذلك بتقسيمه الى أربعة مباحث،اندرج المبحث الأول تحت عنوان "النظام الاجتماعي في بايلك الشرق و مختلف مظاهره " ،باعتبار ان الأسرة تدخل في مضمار الأنظمة الإجتماعية القائمة بذاتها وحاولنا التعرف على الأسرة في المجتمع محل الدراسة،ومعرفة ملامحها و أهم عنصر داخل الأسرة وهو المرأة من خلال رصد مكانتها الإجتماعية، كما تطرقنا في المبحث الثاني إلى "نظام الزواج والطلاق" والذي يعد مؤسسة الركن في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية،كما تحدثنا عن الطلاق فمن خلال الزواج تطفو العديد من القضايا والمشاكل التي تؤدي الى الطلاق ،هذا الذي ساد المجتمع في البايلك من خلال الفترة المدروسة حيث كان ظاهرة متجذرة أثرت بالسلب على الإستقرار الاسري، أما المبحث الثالث فقد ورد تحت عنوان"الحياة الثقافية والتعليمية" فلم تكن هناك ثقافة كبيرة،كما كانت الحياة العلمية بسيطة على مستوى المساجد والزوايا والمدارس القرآنية،حيث كان القرآن الكريم هو أساس الحياة العلمية، أما المبحث الرابع فقد اندرج تحت عنوان "الحواضر الهندسية للبايلك"،هذا باعتبار أن العمران يعد مظهر من مظاهر الحياة الإجتماعية كما حاولنا التعرف على النمط العمراني يالإقليم الشرقي.

أما الفصل الثالث: فقد اندرج تحت عنوان "مظاهر الحياة الإقتصادية في البايلك"،وحاولنا فيه عرض كل الوقائع الإقتصادية لبايلك الشرق فقد كان المبحث الأول"الحياة المهنية" حيث تحدثنا عن الحرف ورصد التنوع والثراء الحرفي في هذا المجتمع ولأن المراجع كانت شحيحة في شأن النسيج العمراني فلجأنا الى بعض الدراسات في اختصاص علم الإجتماع والتي استفدنا منها في تغطية بعض جوانب هذا المبحث وقربتنا أكثر من النمط العمراني بالمنطقة،ليأتي المبحث الثاني تحت عنوان "الأوقاف ومكانتها الإجتماعية" حيث حظيت مؤسسة الأوقاف بعناية بالغة واهتمام كبير من طرف باي قسنطينة، والتعرف على أهمية وأغراض وأصناف المؤسسة الوقفية، أما المبحث الثالث تحدثنا عن "ملكية الاراضي و النشاط الفلاحي في بايلك الشرق " حيث كانت الفلاحة في تلك الفترة متدهورة بسبب القحط والأوبئة التي سادت البلاد، أما المبحث الرابع والأخير فقد كان تحت عنوان" التجارة في

بايلك الشرق" تحدثنا عن البايلك و مكانته بين الأقاليم باعتباره محطة تجارية للأقاليم،وتحدثنا عن مختلف الممارسات التجارية.

لنتوصل الى خاتمة بمثابة حوصلة لما جاء في هذه الدراسة ثم أعددنا قائمة ببليوغرافيا للمصادر والمراجع وأخرى للملاحق.

نقد المصادر والمراجع :

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على جملة من المصادر و المراجع تم الاستفادة منها في كثير المواضيع مثل:

1. مذكرات وليام شالر،اعتمدنا عليه كعمل أوربي وفندلين شاوصر،قسنطينة أيام أحمد باي هذه الأعمال وضفناها في العديد من جزيئات البحث،إلا أنها اتسمت في العديد من توجهاتها بالنزعة الإستعمارية.
2. محمد صالح العنتري من خلال مؤلفه فريدة منسية في حال دخول الترك مدينة قسنطينة يلاحظ انه حوصل اكثر من قرن من تاريخ مدينة قسنطينة أثناء العهد العثماني في صفحتين وقضية دخول الأتراك مدينة قسنطينة بسطها في ثلاثة نقاط تمثلت في :محاولة الاستيلاء، المقاومة،فتدخل أعوان المدينة الوساطة.
3. أبو القاسم سعد الله، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني،تناول المجتمع في الإقليم الشرقي في مواصفاته العامة مع التركيز على مؤسسة الأوقاف وكشف النقاب عن وظيفتها الإجتماعية.
4. فاطمة الزهراء قشي ،قسنطينة المدينة و المجتمع في النصف الاول من القرن الثالث عشر هجري،رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ ،ولقد استفدنا من هذا الإنجاز في العديد من زوايا البحث.

ولم تكن الاستفادة من بعضها بشكل كبير وإنما في جزئيات بسيطة لسد بعض الثغرات مثل:

1. صالح عباد:الجزائر خلال الحكم التركي.
2. جميلة معاشي:الانكشارية و المجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني.

أما المؤرخين الجزائريين من جهتهم يعتبرون الفترة العثمانية مجرد خاتمة لأبحاثهم متعلقة بالقرون الوسطى أو تمهيدا لدراستهم المتصلة بفترة الإحتلال.

- ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم الإسهامات التاريخية في هذا الشأن قد اقتصرت على تناول مدينة الجزائر كموضع اهتمام دون باقي المدن الجزائرية إذ يحس المتصفح لتاريخ الجزائر العثمانية بذلك الإغماط والتقصير في حق التأريخ لمدن الأيالة الجزائرية الأخرى أثناء الفترة العثمانية،كما أن القارىء يلحظ أن الإهتمام منصب حول حياة الحكام الأتراك وكبار المسؤولين وعلاقاتهم الدبلوماسية والسياسية فيخيل للقارىء أن السكان المحليين قد خرجوا من تلك الحقبة الزمنية أو تم أقصائهم من المشاركة التاريخية بكافة مظاهرها.
- كما أنهم قد غفلوا بعث تصور تاريخي للبيئة الإجتماعية لسكان المحليين في إطارها العربي وبعدها الإسلامي.

- كما أنهم أهملوا طريقة عيش المجتمع الجزائري وعلى وجه الخصوص القسنطيني و لباسه وتعامله وتقاليده وعاداته وفنه ونمطه العمراني.

منهج البحث:

يعتبر المنهج مجموعة خطوات و مراحل يتبعها الباحث للوصول الى نتيجة معينة أو الطريق الواضح في التعبير عن الشيء طبقا لمبادئ معينة و نظام معين للوصول إلى غاية محددة والمنهج المعتمد لدراسة الحالية هو المنهج التاريخي التحليلي من خلال عرضنا للاحداث وتحليلها حسب تسلسها الزمني ولذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي من خلال وصف الحياة الاجتماعية في مدينة قسنطينة في فترة 1807-1830م.

بما أن الدراسة الحالية تهدف إلى التعرف إلى أهم ملامح الحياة الإجتماعية سوف تكون هذه الدراسة وصفية فالمناهج الملائمة لهذه الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي،وذلك من خلال عرضنا للأحداث حسب تسلسلها الزمني.

الصعوبات والمشاكل:

أثناء دراستنا المعمقة لموضوع البحث اعترضتنا جملة من العراقيل والصعوبات من أبرزها :

- عدم توفر المكتبة الجامعية على المادة العلمية التي من شأنها إشباع الجانب المعرفي لهذا الموضوع مما دفع بنا إلى التنقل لتحصيلها وجمعها.
- صعوبة جمع المصادر الخاصة بالتاريخ الإجتماعي خاصة ما تعلق منه بمدينة قسنطينة أواخر العهد العثماني.
- صعوبة الألمام بالموضوع من جميع جوانبه.
- أن الجوانب المدروسة من طرف المؤرخين تمس المجتمع في مواصفاته العامة وماتوفر لدينا من مصادر ومراجع لا يكفي لدراسة المجتمع وأبرز ملامحه.
- تعدد الرؤى في الكتابات نظرا لتنوع المؤلفات مما جعل عمليا ضبط الحقائق التاريخية والأحداث حسب ترتيبها الزمني ضربا من المستحيل.

الدراسات السابقة:

- قد ظهرت في الجامعة الجزائرية دراسات اهتمت بالحياة الإجتماعية في بايلك الشرق منها دراسة للأستاذة فاطمة الزهراء قشي، بعنوان قسنطينة المدينة والمجتمع، واعتمدت فيها على وثائق المحكمة الشرعية في دراسة فئات المجتمع وعلاقاتهم المختلفة.
- وكذلك الأستاذة جميلة معاشي ركزت في دراستها في مرحلة الدكتوراه على الإنكشارية والمجتمع في بايلك الشرق.

- كذلك الأستاذ خليفة حماش، درس عن الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني والتي تميزت بأنها دراسة دقيقة ومعمقة تناول فيها الأسرة من مختلف مظاهرها الإجتماعية، اعتمد فيها على أرشيف ووثائق المحكمة الشرعية الخاصة بمدينة الجزائر.

تعد الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع البحث الجديد خطوة هامة من خطوات البحث العلمي إذ يجب على الباحث الإطلاع عليها وتحليلها لمعرفة الجوانب التي سبق البحث فيها وكذا النتائج التي تم التوصل إليها.



مدخـل

أولا: موقع قسنطينة الجغرافي و حدودها.

ثانيا: قسنطينة قبل دخول الأتراك العثمانيين.

ثالثا: دخول الأتراك العثمانيين ورد فعل سكانها

تمهيد:

يتميز إقليم الشرق الجزائري بعدة مميزات جعلت منه أهم مقاطعة في الجزائر، فقد امتاز بحدود واسعة ومفتوحة كما يعد مركزا للمعاملات والمبادلات الاقتصادية ونقطة استقطاب للوافدين، وطرأت العديد من التغيرات على مدينة قسنطينة عند دخول الأتراك العثمانيين إليها، أولها تغيير اسم الرقعة وتسميتها بـ: «بايلك الشرق» مما أحدث اضطرابات في وسط المجتمع الحضري والريفي أخذت بحدوث عدة ردود أفعال مختلفة.

أولا: موقع قسنطينة الجغرافي وحدودها

يعتبر الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة من أهم المواقع الاستراتيجية، إذ أنها تتوسط شرق الإقليم الجزائري مما أكسبها إقليما[1] مميزا، تقع بالشمال الشرقي الجزائري على خطي طول 35° و7° شرقا، ودائرتي عرض 13° و36° شمالا، وترتفع بـ 621 م إلى 740 م عن سطح البحر[2]. وهي بذلك تحتل موقعا متميزا بالنسبة لشرق الدولة الجزائرية[3].

يعود تأسيس تاريخ قسنطينة إلى سنة 1450 ق.م، وهو العام الذي تأسست فيه هذه المدينة على يد بني كنعان النازحين من فلسطين حوالي سنة 1300 ق.م حيث دلت بقايا الآثار التي اكتشفها الفرنسيون عند محاولتهم حفر مقابر لموتاهم، والتي كانت بناحية باب الوادي وتتمثل هذه الآثار في شواهد لقبور نوميديا مثلثة ومذنبة الشكل وعليها بعضا من الكتابات الكنعانية[4].

فالمؤرخ القسنطيني أحمد المنبيري اليوناني الأصل التونسي النشأة الترجمان بمحكمة المدينة في القسنطينية منذ سن 1846 للميلاد (1263هـ) في تاريخه لمدينة قسنطينة الذي سماه «علاج السفينة في بحر قسنطينة» قال مايلي: «إن بني كنعان النازحين من فلسطين حوالي سنة 1300 ق.م قد امتزجوا بالنوميديين وأسسوا مدينة قسنطينة حوالي 1450 ق.م»[5].

إن بايلك الشرق من أهم البايلكات سواء من حيث عمقه الجنوبي أو مساحته أو ثرواته[6] ومع أهمية جغرافية مدينة قسنطينة تعددت الآراء حول تأسيسها، فقد أرجعها بعض المؤرخين وعلى رأسهم (أرنست مارسي) إلى العهود الغابرة وهي الفترة التي نزح فيها الانسان من الكهوف والمغارات إلى الحياة المنظمة، كما تجمعت الآراء حول تكوين المدينة الجيولوجية على أنها تأسست على منطقة صخرية وهي أم المدن بالنسبة للناحية الشرقية كلها من حيث موقعها الطبيعي[7].

فهي مدينة مبنية على طرفي صخرة يفصل بينهما وادي الرمل والمدينة، مشرفة على أطرافها الثلاثة على الهاوية وتتصل ببقية الأرض من جهتها الرابعة فقط[8]، أما شكلها فهو إهليلجي ذو سطح مستو يرتكز في أساسه على الانحناء الإلتوائي الكبير المتجه نحو الجنوب الغربي في خط يكاد يكون مستقيما وعلى مسافة يقدر طولها

---

[1] لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1984، ص 14.

[2] ابن شغيب محمد المهدي بن علي: أم الحوافر في الماضي والحاضر، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص 80.

[3] وليام شارل: مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824) ،تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر التوزيع الجزائر، 1982، ص36.

[4] ابن شغيب: المرجع السابق ،ص80.

[5] نفسه :ص81.

[6] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830) ،دار هومة 2014، ص 292.

[7] بوضرساية بوعزة: الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاومة (1826-1848)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 1991، ص 8-9.

[8] ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع الجزائر، 1984، ص308-309.

بخمسمائة من خط هذا الانحناء الكبير وضمن سور قديم يعلو ثلاثين مترا توجد ثلاثة أبواب: الباب الغربي الذي يوجد وسط هذا الخط المستقيم ويعرف بالباب الجديد، وتنتهي إليه طريق الجزائر، و الباب الأوسط يعرف بباب الواد ويؤدي إلى الجنوب ويمكن أن يؤدي إلى طريق الجزائر عند مسلك متفرع منه بينما الباب الثالث يدعى باب الجابية فيتصل بوادي الرمال[1].

وعلى هذا الأساس فإن قسنطينة باعتبارها عاصمة الإقليم الشرقي فإن موقعها الاستراتيجي والهام خول لها أن تكون كذلك وتتبوأ هذه المكانة التي حظيت بها من أقدم العصور إلى يومنا هذا[2].

وعند الأتراك قسنطينة وعند العرب قسمطينة تقع فوق صخور وعرة تحيط بثلاثة أرباعها وفي سفح هذه الصخور يسيل نهر عرضه حوالي 150 قدما وعمقه ثلاثة أقدام يطلق عليه الأهالي اسم الوادي الكبير ويأتي من الجنوب الشرقي ويتصل على مسافة ربع ساعة من المدينة بوادي الرمل كما يسميه العرب أو وادي البرميل كما يسميه القبائل في الزاوية اليمنى ويتجه عند زاوية المدينة الجنوبية نحو الشرق، وهكذا يمر بالجهة الجنوبية والشرقية والشمالية من المدينة بين صخور عظيمة، يتراوح علوها يمنة ويسرة ما بين أربعة أقدام و ستمائة قدم وتتباعد في أعاليها بمقدار ثمان مئة قدم، ويأخذ طريقه التالي في الشمال الغربي من المدينة[3].

وتقع المدينة على كتلة كلسية ذات شكل مثلث غير منتظم الأضلاع، قاعدته الشمال ورأسه في الجنوب يطوقها وادي الرمال وتتربع الكتلة الصخرية على العدوة الغربية للوادي ويصفها البكري في القرن الخامس بقوله: «مدينة أولية ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن ».

منها وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر»[4]، ويصف الادريسي موقعها فيقول: «مدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الاستدارة يحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد مستديرا»[5].

يعد بايلك* الشرق الجزائري أكبر البايلكات وهو أخصب الأقاليم وأكثر اتساعا مما جعل بعض الفرنسيين في بداية الاحتلال يعتبر هذا الأخير شبه مملكة ويحده شمالا البحر الأبيض وشرقا حدود تونس[6]، ومن الجنوب الصحراء وغربا جبال البيبان ويدخل ضمن هذا إقليم برج حمزة (البويرة) لأن القائد المكلف به، كان يعين من قبل

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط1، 2000، دار الغرب الإسلامي، ص180.

[2] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق ،ص9.

[3] فندلين شاوصر: قسنطينة أيام أحمد باي(1832-1837) ،ترجمة أبولعيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دت) ،ص73.

[4] أبي عبيد الله (البكري): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص63.

[5] الادريسي (الشريف): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 122-123.

*البايلك :هو الولاية، وكانت الجزائر خلال العهد العثماني تنقسم إداريا إلى ثلاث بايلكات (أقاليم) ويحكم كل منهما: الباي، أما حاكم الجزائر أي دار السلطان يسمى الباشا (الداي)، أنظر: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج1، القاهرة، المطبعة التجارية 1903، ص15.

[6] صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م، 1962) ،دار العلوم للنشر والتوزيع، ص116.

باي قسنطينة[1]، وقد كانت حدود الجنوب التونسي محل نزاع بين سكان المنطقة حيث تعد من أهم العوامل التي أثرت على الأحداث بين المنطقتين[2].

كما ان مدينة قسنطينة تبعد بمسافة 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية وحوالي 431 كلم عن الجزائر العاصمة غربا و 235 كلم عن بارة جنوبا و 89 كلم عن سكيكدة وتتربع قسنطينة فوق الصخرة العتيقة على جانبي وادي الرمال تحق بها العوائق والانحدارات الشديدة من كل الجهات وإذا تتبعنا مظاهر سطح المدينة نلاحظ أن المدينة التي تقوم عليها غير متجانسة من حيث ارتفاعها عن سطح البحر فهي تنحصر بين خطي كنتور 400 م و800 م في الشمال و800 م و1200 م في الجنوب[3].

كما يشمل الشرق الجزائري الرقعة الجغرافية الواسعة التي كانت تمثل بايلك الشرق خلال العهد العثماني وتحتوي هذه الرقعة الواسعة على مظاهر تضارسية متنوعة، والشرق الجزائري بصفة عامة جبلي مرتفع في معظمه تلتقي في وسطه جبال الأطلس الشمالية التلية وجبال الأطلس الجنوبية الصحراوية[4].

وقد اختلف الرحالة والدارسين في تعيين حدود هذا الإقليم، حيث قام SHAW خلال القرن الثامن عشر بوضع خريطة ووضح فيها معالم حدود بايلك الشرق ومن خلالها يبين أن هذا الإقليم يمتد من الشمال إلى الجنوب على مسافة 58 فرسخا (323 كلم) ومن الشرق إلى الغرب على مسافة 95 فرسخا (380 كلم) وقال بأن نهر بو براك الذي يصب في نهر دلس هو الحد الفاصل من شمال بايلك الشرق عن دار السلطان (أي الجزائر العاصمة) في حين بايسونال Paysonnal الذي زار الجزائر خلال عامي 1724-1725 الميلاد. ان أطراف البايلك تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 100 ميل حوالي (185 كلم) أما ابن دينار أن الحدود بين الجزائر وتونس تحددت عام 1614 و1928 بمعاهدة جعلت وادي صيرات الحد الفاصل[5]، أما العنتري فيرى أن بايلك الشرق يمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة وواد سوف في حوض ريغ وإيغرغر جنوبا ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم وبرج حمزة (البويرة) وسفوح جبال جرجرة غربا ويحتوي هذا الإقليم على جبال البيبان وحوض وادي الصومام وجبال البابور وقسنطينة وعنابة وسوق أهراس وعلى السهول العليا القسنطينية وكتلة جبال الأوراس والنمامشة وتبسة وجبال الحضنة وحوضها وجبال الزاب والزيبان وواحات وادي سوف في حوض واد ريغ وواحات الصحراء الشمالية الشرقية وعلى رأسها بسكرة وتوقرت وورقلة بل في واحات ميزاب بوادي الشبكة.

[1] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ،ص324.

[2] عميراوي احميدة: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي ، دار الهدى للطبع، الجزائر، 2005، ص17.

[3] محمد عثمان: صفحات من تاريخ ومعالم قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الصور المعلقة ،ط1، الدار المصرية للكتاب، 2013، ص8.

[4] يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، ص480.

[5] عميراوي احميدة: المرجع السابق ،ص15-16.

الشرق القسنطيني بصفة عامة جبلي في معظمه من حيث المظهر التضاريسي تلتقي في وسط سلسلتي جبال الاطلس الشمالية والتلية والجنوبية الصحراوية عند كتلة جبال الاوراس وليس فيه من الاحواض والسهول سوى حوض وادي الصومام والسهول العليا القسنطينية التي تمثل الجزء الشرقي من الإقليم الهضاب العليا الجزائرية إلى جانب سهول تبسة وحوض وادي سوف ووادي ريغ وسهول عنابة وسكيكدة[1].

وبهذا فإن كل من المواصفات المناخية والشروط الجغرافية جعلت من الشرق الجزائري إقليما مميزا يتألف من عدة مناطق مختلفة في مناخها وطبيعتها متكاملة في اقتصادها ونشاطها البشري، وهذه المناطق تتألف من حزامات متوازية ابتداء بالامتداد الصحراوي الشاسع بالجنوب وهي كالآتي:

1. المنطقة الساحلية:

تتكون في مجملها من سلاسل جبلية موازية البحر ابتداء من نواحي بجاية وانتهاء بالقالة، وتتخلل هذه الكتل الجبلية الساحلية عدة سهول ضيقة تتشكل أساسا من أحواض الأنهار التي تنتهي إلى البحر مثل سهول الصموم بالقرب من بجاية، بالإضافة إلى السهل الواسع الذي يمتد جنوب مدينة عنابة ويخترقه وادي سيبوز وأغلب هذه السهول تتوفر على تربة خصبة لتوفر الأملاح التي تتدخل في تكوينها وتزيد في خصوبتها[2].

ويتميز مناخ المدينة بالخصائص المناخية في المناطق الداخلية للجزائر الخاضعة للانخفاضات الجوية القادمة من الغرب إلى الشرق الناجمة عن تقارب مياه البحر الأبيض المتوسط مع التيارات المحيطة الباردة [3]، كما كان له أثر إيجابي على الاستقرار البشري والإنتاج الفلاحي والحيواني في اعتدال درجة الحرارة وضيق الفوارق الفصلية[4].

2. منطقة الهضاب أو السهول المرتفعة:

تتألف منطقة الهضاب من إقليمين يفصل بينهما مدينة قسنطينة إقليم شرقي يمثل من حدود تونس وغربا يشمل على الجهات الغربية حتى جبال البيبان وتشكل مدينة قسنطينة مركز الثقل لكل الاقليمين وتعرف الجهات الشمالية بين هاذين الاقليمين بالتل، بينما النواحي الجنوبية يطلق عليها اسم بلاد السباخ التي هي في الواقع خير انتقال حقيقي من الزراعة الكثيفة المتميزة بارتباط الانسان بالأرض إلى الحياة الرعوية المتصفة بالتنقل الموسمي والبحث عن مصادر المياه ومجال الرعي[5].

---

[1] محمد صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم، تح، يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2005، ص27-28.

[2] قشاعي: النظام الغربي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837) ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،1990، ص 2-5.

[3] لعروق محمد الهادي، فيلالي عبد العزيز : مدينة قسنطينة، دراسة في التطور التاريخي و البيئة الطبيعية ،دار البعث لطباعة و النشر،الجزائر، ط 1، 1984، ص 145.

[4] قشاعي: المرجع السابق، ص 2-5.

[5] بوضرساية: المرجع السابق، ص 3-4.

وتتميز منطقة الهضاب بقلة أمطارها وعدم انتظامها وهذا ما أدى إلى فقر الغطاء النباتي وبالإنتاج الفلاحي نظرا لارتباطه بتغيرات الطقس وقد كان لظهور الجليد شتاء والرياح الحارة آثار مظلة بالفلاحة إذ سجلت الأرصاد الجوية تكرر هذه الظاهرة طيلة فصل الجفاف.

3. المنطقة الجبلية الجنوبية:

تتشكل من سلاسل جبال متصلة تمتد من الغرب إلى الشرق ابتداء من جبال الحضنة التي تتأثر بالمناخ الصحراوي في سفوحها الجنوبية وتشرف على الهضاب العليا من جهاتها الشرقية تليها كتلة جبال الأوراس التي تشكل حاجزا طبيعيا يبعد عن الهضاب المرتفعة الواقعة إلى الشمال وتأثير المناخ الصحراوي ولا سيما أنها تتميز بمعدل مرتفع نسبيا من الأمطار، إذ تتراوح ما بين 500 و 800 ملم ومما قلل من الأضرار الناتجة عن عدم انتظام التساقط وجعله يطول أودية هذه الكتلة الجبلية التي تتصف بالخصوبة وتوفر المياه المستعملة في الري والتي ساعدت على ازدهار زراعة الأشجار المثمرة التي يوجه انتاجها لأسواق قسنطينة خاصة، ومن أهم هذه الأودية: "واد عبدي، واد الأبيض، واد العرب"[1].

4. المنطقة الصحراوية:

تشمل الصحراء الشرقية المعروفة بجفافها وارتفاع درجة حرارتها التي تصل في بعض الأحيان إلى 55° في الظل، وتتميز بقلة أمطارها التي تكاد تنعدم في بعض الجهات وكذلك بهبوب رياح حارة تتسبب في الغالب في إثارة عواصف رملية شديدة وهذا ما جعل الغطاء النباتي يكاد أن يكون منعدما[2].

وكل هذه المعطيات الطبيعية والشروط المناخية جعلت من الشرق الجزائري منطقة لها وضع جغرافي مميز دفع الكاتب "كلير" إلى القول بأن «بايلك قسنطينة يؤلف مملكة حقيقية تفوق في أهميتها كل من بايلك التيطري وبايلك وهران، وذلك لعدد سكانه المرتفع ولمساحته الشاسعة وثرواته الكثيرة وتربته العميقة ومناخه المعتدل في بعض الجهات وغيرها من الخصائص الإيجابية التي يتوفر عليها»[3].

ومن هنا فإن خصائص الموقع الجغرافي الذي تتمتع به عاصمة بايلك الشرق أهلها لأن تكون نقطة استقطاب ومحور المبادلات والمعاملات ومركز تجاري نشيط تدب فيه حركة تجارية واسعة.

أصل التسمية:

لقد كان لمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري والتي تعتبر منبع الحركات الفكرية في البلاد عدة تسميات عبر تاريخها الطويل. من المؤسف أن بعض نواحي هذا التاريخ مازال يكتفيه الغموض، أي وجود بعض الحلقات

[1] قشاعي: المرجع السابق، ص 6-7.

[2] المرجع نفسه: ص 7.

[3] نفسه : ص 6.

الضائعة من سلسلة تاريخ المدينة ونجد ذلك خاصة ما بين العصر الحجري الثاني الموريتاني (9500-7500 ق.م) وبداية عصر الملوك نوميديا إلى القرن الثالث قبل الميلاد[1].

تعتبر هذه الأخيرة من المدن الجزائرية العريقة الضاربة جذورها في التاريخ الغنية بتراثها وحضارتها، حيث تعد من أقدم المدن والتي مرت عليها بجل الفترات التاريخية وعايشت مختلف الحضارات التي مرت عليها وعرفت المدينة الاستقرار منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وقد أكدت الأبحاث والمكتشفات الأثرية على استقرار الانسان بها لأن الوادي الذي يحيط بالصخرة يرجع في تكوينه إلى العصر الجيولوجي الرابع[2].

اشتهرت في العصر النوميدي بسيرتا—الاسم القديم لقسنطينة–لأول مرة عندما اتخذها ماسينيسا ملك نوميديا عاصمة المملكة[3]، عرفت المدينة بعدها حصار يوغرطة الذي رفض تقسيم مملكة أبيه إلى ثلاثة أقسام بفضل دعم الرومان وبعد حصار دام خمسة أشهر اقتحم تحصينات المدينة واستولى عليها، تميزت بمكانة اقتصادية مرموقة جعلتها محطة تجارية واسعة تصدر القمح والصوف والجلود[4].

أعاد الامبراطور قسطنطين* بناءها عام 313 م، واتخذت اسمه وصارت تسمى القسطنطينية أو قسنطينة عرفت ابتداء من سنة 429 م غزوات الوندال ثم استعادها الوندال[5].

رغم هذا إلا أن المدينة لم تنعم بالاستقرار بفعل هجمات القبائل التي كانت تنافسهم على السلطة، مما أدى إلى تدمير وتخريب المدينة وتهديم أسوارها عام 308 م لتعود على مسرح الأحداث على يد الامبراطور قسطنطين الذي أصلح ما دمرته الحرب وخربته وذلك بإعادة بنائها من جديد وسماها باسمه[6].

ولهذا نجد أن الكتب التي اتخذت من المدينة موضوعا لمختلف الأبحاث والدراسات قد شحت علينا بأخبار المدينة، إلا أن تاريخها القديم يؤكد لنا أن هذه المدينة عريقة الأصالة ضاربة في القدم.

---

[1] ابن شغيب: المرجع السابق، ص 10.

[2] غانم محمد الصغير: قسنطينة، مجلة العلوم الإنسانية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ع 12، 1999، ص 140.

[3] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 10.

[4] مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تح، الميلي محمد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 264.

*يرجع اسم المدينة إلى الامبراطور الروماني قسطنطين الذي منحه لها منذ ستة عشر قرن (27 فبراير 272 – 22 مايو 337) واسمه باللاتينية Flavius Naberius Aurelius Constantinus gaius هو امبراطور روماني يعرف أيضا باسم قسطنطين العظيم، كان أغلب القادة الكنسيين موعجبين بشخصية الامبراطور قسطنطين الكبير حوالي (285-337م) وأمه هيلانة الملكة يتطلعون إليها كشخصين بارزين قاما بدور عظيم في تاريخ الكنيسة الأولى وصادر المعابد الوثنية وحول الكثير منها إلى كنائس وعفى رجال الدين من الضرائب كما تدخل في المشاكل.

لقد كان حكم قسطنطين نقطة تحول في تاريخ المسيحية عام 313 أصدر مرسوم ميلانو الذي أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتق المسيحية وبذلك أنهى فترة اضطهاد المسيحيين كما قام بإعادة أملاك الكنيسة الصادرة.

أنظر (محمد عثمان، المرجع السابق، ص 5-6-7).

[5] المرجع نفسه: ص 11.

[6] الجيلالي عبد الرحمان محمد: تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ص 72.

فقسنطينة وهو الاسم الحالي للمدينة، من المستحيل أن يكون هو الاسم الذي عرفت به منذ نشأتها وأنه لم يطرأ عليه أي تغيير، خاصة وأن بعض المراجع ردت زمن النشأة إلى عصر الكهوف التي سكنها الانسان.

لذلك فقد ورد للمدينة عدة تسميات في بعض المصادر والمراجع وكذلك على ألسنة كبار الشيوخ، وهذه التسميات: سيرتا، قرطة، بلد الهواء، بلدة الهوى، مستعمرة سيتيوس، الحصن الافريقي، قسنطينة[1].

ونظرا لأهمية موقعها الاستراتيجي والاقتصادي، أصبحت المدينة محطة أنظار المحتلين والغزاة، فخضعت بعد ذلك لحكم الوندال قرابة قرن من الزمن (432-534 م) كما تدل على ذلك مجموعة من النقود الوندالية التي اكتشفت في منطقة الحامة عام 1949 م وفي الآن محفوظة بمتحف سيرتا [2]، وجاء بعدهم البيزنطيون (543 – 634 م) إلا أن ثورات زعماء النوميديين لم تهدأ حتى أخمدها البيزنطيون وبقيت نار الغضب تلهب الأهالي حيال هذا التواجد غير المرغوب فيه واستمر العداء حتى ظهور الإسلام في إفريقيا[3].

[1] بن شغيب: المرجع السابق، ص 10.

[2] بوروبية رشيد: قسنطينة، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978، ص 49.

[3] لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 31.

ثانيا: قسنطينة قبل دخول الأتراك العثمانيين

كانت قسنطينة قبل مجيء الأتراك إليها محتلة من طرف الرومان إلى أن جاء الفتح الإسلامي إلى المغرب العربي وتم فتحها.

1 قسنطينة في العهد الروماني:

لقد شهدت مدينة قسنطينة صورا من الصراع بين قرطاج وروما، وذلك ما يعرف بالحرب البونية. هذا الصراع الذي دام مدة قرنين من الزمن وتأثرت به تأثيرا كبيرا كغيرها من المدن النوميدية التي خاضت الحرب سوءا كانت إلى جانب قرطاج أو إلى جانب روما.

إن الرومان ومنذ فترة طويلة، كانوا ينظرون إلى مدينة قسنطينة كما ينظرون إلى قرطاج بعين التوجس والطمع والرغبة والاستثمار بها لموقعها الاستراتيجي والجغرافي وحصانتها والمكانة التي تبوؤتها وتتمتع بها في الميدان الاقتصادي فقاموا باحتلالها سنة 112 م ومنذ هذا التاريخ أصبحت قسنطينة مستعمرة رومانية تحولت فيما بعد إلى عاصمة لكنفيدرالية المستعمرات الأربع والتي تجمع تحت لوائها كلا من قسنطينة وميلة والقل وسكيكدة، وقد كان لكل مستعمر نظام خاص به في تسيير شؤون المستعمرات بينما كانت قسنطينة تتولى الدفاع عنها وتعيين قضاتها، إلا أن المدينة لم تنعم بالاستقرار الذي تعودت عليه ولم يسدها الهدوء خاصة في المرحلة الأولى من حكم الرومان لها، حيث أن أهل المدينة والقبائل النوميدية المجاورة قد رفضوا هذا الاحتلال الأجنبي وقاموا بعدة ثورات، وكان يوغرطة زعيما للمقاومة وسعى بكل جهده لتخليص نوميديا من براثين السيطرة الرومانية، ونظرا لاشتداد وطيس الحروب بين جيوش روما ومقاومة أهالي نوميديا بالإضافة إلى تصارع أهل السلطة فيما بينهم داخل الكنفيدرالية الأمر الذي أدى إلى تدميرها سنة 308 م فقد نهبت وأحرقت[1].

ثم عادت قسنطينة إلى مسرح التاريخ على يد قسطنطين الذي جددها وأعاد بناءها سنة 303 م ولهذا نسبت إليه واشتق اسمها من اسمه وقد كرس جهده لتعمير وتنشيط تجارتها وصناعتها وزراعتها فاستقطب إليها جاليات سكانية جديدة وشجع الاستقرار بها كثر سكانها وانتشر عمرانها وامتد خارج أسوار المدينة.

وفي سنة 337 م، توفي قسطنطين وبقيت مدينة قسنطينة ترزخ تحت وطأة الاستعمار الروماني واستمر أهاليها في المقاومة إلى سنة 427 م، حيث تمكنوا حمل حاكمها الروماني بونيفاص على المطالبة بالاستقلال عن روما[2].

ومن أجل هذا الصراع، استنجدت المدينة بالوندال ألد أعداء الرومان، فسلبوا النداء ودخلوا المدينة واستقروا بها عدة من الزمن دامت ما بين 432 – 534م وحوالي سنة 524 م. استرجع الروم البيزنطيون بلاد افريقية من الوندال، ومنها مدينة قسنطينة وثار في وجوههم زعماء البربر بثورات عديدة ومقاومة شديدة أخمدوها بعد جهد كبير، واستمر هذا العداء على أشده إلى غاية ظهور الإسلام في إفريقيا حوالي سنة 645 م، فرحب به البرابرة وأهل قسنطينة فأنقذ سكانها من تعسف وطغيان الرومان[3].

---

[1] Mercier (c): histoire de Constantine. 1903, Page 42.
[2] IBID: P 42.
[3]. IBID: P 42.

2 قسنطينة تحت الحكم الإسلامي:

وصلت موجات الفتح الإسلامي إلى منطقة المغرب العربي، فهاجم الفاتحون العرب مدينة قرطاج والمدن الأخرى البيزنطية التابعة لها فوقعت في قبضتهم وأسست تحت حكمهم جل المدن ومن بينها مدينة قسنطينة، وكان ذلك في القرن السابع الميلاد. لكن عن كيفية دخول الجيوش الإسلامية مدينة قسنطينة؟ ومن هو فاتح المدينة؟

نجد أنفسنا أمام افتراضات وآراء عدة متضاربة، ولهذا وضع المؤلف "محمد المهدي بن شعيب" احتمالات لا بد أن يكون واحد منها هو الأقرب إلى الصواب، وهذه الاحتمالات هي:

- إما أن العرب تجاوزوا قسنطينة وضربوا عليها الحصار لمناعتها الطبيعية وظلوا يراقبونها ويضايقونها الا أن استلمت لهم .
- أو أنها لم تكن وقت مجيئهم ذات شأن يذكر و لم يكترثوا لها و تجاوزوها الى أن دانت بعد ذلك بالطاعة.
- أو أنها دخلت في طاعتهم صلحا من أول وهلة بدون قتال كما فعلت من قبل مع الوندال [1] وإذا كانت قسنطينة دخلت في طاعة العرب صلحا وهذا أقرب إلى القبول، إذا لو كان عكس ذلك ودخلوها بالقوة لذكر المؤرخون ذلك كما ذكروا الوقائع الأخرى، فهل كان هذا الصلح مع عقبة بن نافع؟ أو مع غيره؟
- أما عن فاتح هذه المدينة من القادة العرب فإن الأمر لم يخل من الاختلاف في الآراء وتضارب في المعلومات، فهي مخطوط عربي يحمل عنوان فتح افريقيا من تأليف محمد برادة من أهل عين البيضاء ذكر فيه أن هذه البلاد بيد السيد عبد الله وعلى فرض صحة قوله فمن هو عبد الله الذي وقع الفتح على يده؟ وهل هو أحد العبادلة السبعة الذين حضروا معركة سبيطلة بالبلد التونسية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري في عام 23 هـ-642 م وهو أحد كتاب وحي النبي وهم:

- قائد الجيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح.
- عبد الله بن الزبير ابن العوام، قاتل ملك الروم.
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القريشي.
- عبد الله بن عمر بن الخطاب.
- عبد الله بن عمرو بن العاص.
- عبد الله بن جعفر.
- عبد الله بن مسعود [2].

---

[1] بن شعيب: المرجع السابق، ص 27.

[2] المرجع نفسه: ص 29.

هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد المؤرخ "الواقدي" ينفرد برواية تتحدث عن فتح مدينة قسنطينة في كتابه المأثور "فتوح إفريقية" حيث يرى أن فاتح هذه المدينة هو القائد "عقبة بن عامر" وليس "عقبة بن نافع" [1]، كما تشير بعض المراجع التاريخية أن القائد المسلم "أبو المهاجر دينار" هو من كان له الفضل والسبق في فتح مدينة قسنطينة وهذا ما نجده صريحا وجليا في كتاب "عبد العزيز فلالي ومحمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية".

مما يؤثر عن هذا القائد أبو المهاجر دينار أنه كان يتمتع بسياسة حكمية وحنكة دبلوماسية في معاملة المغاربة فاستطاع التقرب من الأهالي فضلت قسنطينة محافظة على إسلامها منذ عهده الذي لم يتوان في إرسال بعثات الفقهاء والمعلمين لها الذين ساهموا بشكل فعال في تثقيف مكانها وتعليمهم مبادئ دينهم ولغتهم العربية، كما تجدر الإشارة هنا إلى الدور الذي قام به "حسان بن نعمان" في تدوين الدواوين وتعريبها حيث يرجع الفضل والأسبقية في ذلك له.

بقيت قسنطينة في العاصمة لإقليم قائم بذاته، وتابع إداريا وسياسيا للقيروان في عهد الولاة الذي دام نحو قرن من الزمن أي من عهد "موسى بن نصير" إلى قيام الدولة الاغلبية سنة 184 هـ-800 م ،وقد كانت هذه الفترة تتمتع بازدهار اقتصادي كبير إلى جانب نهضة علمية وثقافية ومعمارية إذ اهتم أمراء بني الأغلب بالنشاط الثقافي وشجعوه وقربوا العلماء والأدباء والشعراء وأجزلوا لهم العطاء ، ودام حكم الأغالبة إلى سنة 296 هـ-912 م، ثم قامت بعد ذلك الدولة الفاطمية من سنة 296 هـ إلى سنة 362 هـ ثم دخلت تحت حكم بن زيري سنة 362 هـ ودامت إلى سنة 542 هـ، وهاجمها الهلاليون حوالي 462 هـ، وتحكموا فيها ثم خرجت عنهم ودخلت حكم الحماديين (404هـ-547هـ) في عهد الناصر الحمادي (404 هـ- 481 هـ) ووقعت بها ثورة بلياز عصر الأمير الناصري ودامت تحت حكم الحماديين إلى آخر عهدهم ولما سقطت بجاية في يد الموحدين دخلت قسنطينة تحت حكمهم في سنة 547 هـ/ 1153 م-1154 م.

وهاجمها "علي بن غانية" سنة 580 هـ/ 1185 م فرد على أعقابه ولم يستطع اقتحام أسوارها لحصانتها وشدة مقاومة حاميتها ودامت قسنطينة تحت حكم الموحدين حتى استقل بها "أبو زكريا الحفصي" (662 هـ/ 1228م-1229) ودخلت حينذاك تحت الحكم الحفصي[2].

وكانت مدينة قسنطينة على عهد الحفصيين تتمتع بمكانة ممتازة وكثيرا ما كانت تخرج عن حكمهم تحت والٍ يستقل بها أو يكون تابعا لأمير، كما كان ذلك على عهد "أبي البقاء" سلطان بجاية سنة 708 هـ/1309 م، ووقعت بها عدة ثورات ما بين سنتي 1309 م/ 708 هـ و1312 م/ 729 هـ.

[1] فلالي عبد العزيز، لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 40.

[2] العطار أحمد بن مبارك: تاريخ قسنطينة، تح، رابح بو نار، ص 19.

كانت قسنطينة مدينة تحت حكم الوزير "ابن الغمر" وجلب إليه "أبا يحي" ونصره وأعانه على السلطة بتونس، وفي سنة 1325 للميلاد وقع انقلاب آخر بسعي "ابن قالون" وهاجمها بنو عبد الواد عدة مرات دون جدوى. وفي سنة 1347 م/ 747 ه أي منتصف القرن 14، احتل "أبو الحسن المريني" قسنطينة وطرد منها الحفصيين ولما انهزم بالقيروان استقلت عنه تحت حكم "الفضل الحفصي".

وأرادت قبيلة الذواودة احتلال المدينة فدافع عنها أميرها سنة 1355 م/ 755 ه وعاد "ابن عنان" إليها واحتلها من جديد حوالي نفس السنة. ومن ثم رجعت إلى حكم "ابن العباس الحفصي" سلطان تونس سنة 1370 م/ 771 ه ونعمت بالهدوء في عهده وجاء بعده "أبو فارس الحفصي" فدخلت تحت حكمه وخرجت عنه ثم عادت إليه. نهضت قسنطينة نهضة علمية وثقافية في عهد "بني حفص" لم تشهد لها من قبل مثيلا فقد انتشر بها التعليم بواسطة الكتاتيب والمدارس والجوامع والزوايا، كما التف بنو قسنطينة كغيرهم من أبناء حواضر المغرب، حول جامع الزيتونة وبيت الحكمة، ومعهد القيروان لمتابعة دروسهم والاستفادة من شيوخها وعلمائها والتعليم في المدارس النحوية واللغوية والفقهية والعلمية التي عرفتها الديار التونسية، وقراءة الكتب التي أنتجها ذلك العصر كتفسير "محمد بن السلام" ومدونة سحنون وآداب المعلمين لـ "محمد سحنون" وكتب الطب لـ "ابن الجزار" وغيرهم[1].

وبذلك أصبحت قسنطينة تضاهي مدينتي تونس وتلمسان وأصبحت تشغل مكانة ثقافية هامة جعلتها مركز اشعاع حضاري طيلة قرون عديدة وبالتالي ظهرت فيها بيوتا وأسر حملت مشعل العلم والمعرفة منها أسرة "الحسن بن الفكون" الذي توارث أفراد عائلته عنه العلم لمدة تزيد عن سبعة قرون من الزمن.

كذلك اشتهرت عائلة أخرى بالعلم في مدينة قسنطينة هي أسرة "أحمد بن الخطيب بن قنفد القسنطيني" التي تمتعت بسمعة علمية وتقلدت وظائف سامية مختلفة في المخزن والقضاء، أما أسرة "بن باديس" فقد ذاع صيتها في العهد الحفصي بحيث كانوا أصحاب علم ومناصب شرعية مخزنية لقسنطينة كان عميد هذه الأسرة هو "حسن بن باديس" الذي عاش في القرن الثامن هجري-الرابع عشر ميلادي[2].

وبهذا فإن مدينة قسنطينة صارت إحدى عواصم الإسلام الكبرى وإحدى قلاعه العسكرية المنيعة ومنبعا لإشعاعه الفكري والحضاري وحضارة من حواضر العلم والثقافة. وقد ظلت على هذا الحال رغم الضعف والتفكك الذي أصاب الدولة الحفصية خاصة وبلاد المغرب عامة بسبب الانقسامات الداخلية والحروب الصليبية على شواطئ المغرب واحتلال الفرنجة للسواحل الشمالية، مثل: "بونة، جيجل،بجاية، دلس ووهران" فقد استغل بعض الأمراء من بني حفص هذه الفترة المضطربة واستقلوا بمدينة قسنطينة عن السلطة المركزية بتونس، لكن المدينة ظلت تخضع لعرب الطاولة حيناً ولرؤساء بعض الأسر القسنطينية إلى أن دخلتها الحامية العثمانية بعد مقاومة شديدة أبداها أهل المدينة بزعامة شيخ الإسلام آنذاك وهو: "سيدي عبد المؤمن" الذي قاوم الأتراك مع أهل

---

[1] طمار محمد: الروابط الثقافية في الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1983، ص 90.

[2] فيلالي عبد العزيز، لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 77.

حارته –باب بجاية– منذ ثلاث سنوات لم يخضع خلالها للنفوذ التركي إلى أن تحايلوا عليه بمساعدة الشيخ "ابن الفكون" المؤيد للحامية التركية والمنافس له فقتل الأتراك شيخ الإسلام "سيدي عبد المؤمن" وتولى "ابن الفكون" المشيخة ورئاسة ركب الحجاج مكانة وتم توحيد المدينة تحت النفوذ التركي[1] .

[1] فيلالي عبد العزيز، لعروق محمد الهادي: المرجع نفسه :ص 77 .

ثالثا: دخول الأتراك إلى المدينة وردة فعل سكانها:

من المسائل التي تستوقف الباحث في التاريخ، تلك المتعلقة بتاريخ دخول العثمانيين مدينة قسنطينة وكيفية استلائهم عليها إلى حد التعبير العنتري وما انجر على تلك الروايات من تأويلات وتفسيرات حول القوى السياسية الموجودة في المدينة وكيفية تعاملاتها مع الحكام الجدد الوافدين من السلطنة العثمانية ولا نطمح هنا إلى تقديم الرأي الفاصل في هذه المسألة، وإنما نصبوا إلى تقديم آراء بعض المؤرخين الذين اهتموا بهذا الموضوع وهذه الآراء تحتاج إلى المزيد من التحري قبل قبولها لأنها لا تستند إلى حيثيات جادة بل تعج بالتناقضات الصارخة بين الروايات والأحداث وقد كان للبحوث الجامعية الحديثة دور في تصحيح المعارف والمناهج[1].

فأسباب الاهتمام بمثل هذه الموضوعات فيرجع أساسا لتوفر المادة الخبرية في النصوص والوثائق الأوروبية على وجه الخصوص وذلك في ظل قلة الإنتاج الفكري المحلي المعاصر للأحداث واحتشام حركة التحقيق والنشر قبل تهيئة الأرشيف الوطني و التعرف على الأرشيف العثماني، أما من حيث المصادر المستغلة تعد تقارير القنصليات المراسلات الدبلوماسية وكتب الرحالة في المادة التي عرفت من خلالها الجزائر العثمانية وجاءت في المرحلة الثانية رحلات المغاربة وكتاباتهم في نصوصها الأصلية أو المترجمة منها (**عند ضياع الأصل**) لهذه المعطيات ولثقل الموروث الاستعماري، جاءت جل الدراسات مركزة على أواخر الفترة العثمانية في محاولة فهم المجتمع بالكشف عن آليات التحول التي جعلت من الجزائر فريسة أولى لجشع التوسع الأوروبي[2].

1 دخول الأتراك مدينة قسنطينة:

اختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ دخول الأتراك * مدينة قسنطينة وطريقة استقرارهم بها وبقدر ما كانت الروايات غزيرة ومتقاربة حول استقرارهم بالجزائر، كانت تلك الروايات حول قسنطينة قليلة ومتضاربة لا زالت هذه النقطة غامضة إلى حد اليوم، وقد سلم البعض بما ورد هنا وهناك دون تمحيص وتثبيت بل وأخذ الكتاب وبعض الباحثين بهذه الآراء رغم تناقضها[3].

اذ تعتبر مدينة قسنطينة من أقدم وأعرق المدن الجزائرية، فهي عاصمة بايلك الشرق الذي يعد من أهم البايلكات في الإيالة وهذا راجع إلى اتساع رقعته الجغرافية[4].

---

[1] فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة المدينة والمجتمع، النصف الأول من القرن الثالث ثم للهجرة من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس، 1998، ص 37-38.

[2] المرجع نفسه: ص39.

* الأتراك : ينتمي الأتراك العثمانيون إلى قبائل الفز التركستانية بقلب آسيا، هاجروا موطنهم الأصلي بأذربيجان واتجهوا غربا إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) وكونوا دولتهم في نهاية القرن الثالث عشر سنة 1288 م على حساب الدولة البيزنطية أنظر : يحيى بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 5.

إن الأتراك يحافظون بدقة على الشريعة الإسلامية ولكنهم يتحدثون اللغة التركية التي هي اللغة المستعملة في الإدارة الحكومية.انظر : إسماعيل العربي: مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 104.

[3] فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، الجزائر، 2005، ص 29.

[4] يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي للشرق الجزائري خلال القرن (19)، مجلة الثقافة، العدد 8، 1984، ص 60.

متى دخل الأتراك واستولى على أوطانها؟

هناك خلاف بين الباحثين والمؤرخين حول التاريخ الحقيقي لبداية دخول الأتراك إلى مدينة قسنطينة واستقرارهم بها، ففايسيت جعله عام 1517 وميرسي جعله بين عام 1519 و 1522 م ودافيتي جعله عام 1522 وليمبري جعله عام 1526 م[1].

إن انفصال مدينة قسنطينة على المملكة الحفصية كان منذ وصول "عروج" أشقر اللحية إلى البلاد التونسية حوالي 1512 م واتصاله بأميرها "أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي" وأن هذا الأخير أذن ل «عروج" بالإقامة في بلده وكذا الانطلاق من سواحلها للغزو البحري ضد سفن الأعداء بالبحر الأبيض المتوسط[2].

ويقال أيضا أنه وهب له القسم الغربي من مملكته، أي البلاد الجزائرية إذ هو حررها من سيطرة النصارى المستولين على موانئها إيطاليا في جيجل وإسبانيا في بقية الموانئ الشرقية والغربية وقدم إلى السواحل الجزائرية وذهب إلى تنس لمعاقبة أميرها "الزياني" الذي تعاون مع الاسبان، ومن هناك أخذ طريقه إلى تلمسان لنجدة سكانها عام 1517 م ولكن الاسبان تمكنوا من قتل أخيه "إسحاق" في قلعة "بني راشد" وقتلوه غدرا في "المالح" بعد أن فر من تلمسان نتيجة لغدر سكانها به وذلك عام 1518 م[3].

لقد ذكر "فايسات"* في تاريخه " قسنطينة تحت حكم البايات " نقلا عن الشيخ أحمد بن المبارك بن العطار،أن قسنطينة دخلت تحت حكم الاتراك منذ 1517م في أيام "عروج" أشقر اللحية ويقال ان "خير الدين" هو الذي أتاها بنفسه عن طريق القل وقد اعتمد "فايسات" في اثبات التاريخ على وجود رسم شرعي مكتوب 1518م، حيث غزى القل عام 1521م وسيطر عليها وركز بها حامية عسكرية من 200 جندي إنكشاري وغزى مدينة عنابة قسنطينة في العام الموالي 1522م[4].

أما العنتري فقد انطلق في تاريخه حول دخول الاتراك بلد قسنطينة ابتداء من منتصف القرن السابع عشر أي بعد أكثر من قرن من استقرارهم الفعلي والأرجح انه لم تتوفر لديه معلومات كافية حول الحكام السابقين لذلك التاريخ حوصل محمد صالح العنتري أكثر من قرن من تاريخ المدينة تحت الحكم العثماني في صفحتين وبسط القضية التي ندرجها في نقطتين:

محاولة الاستيلاء، ثم المقاومة فتدخل "الشيخ الفكون" اعتمد العنتري في عرضه على روايات الأقدمين وأهمل كل تاريخ قديم، ثم لحص الحوادث في ثلاث فصول تمثلت في محاولة الأتراك دخول المدينة من غير حرب، وبعدها حدث الشقاق بين من يريد الاستسلام ومن يريد مواصلة المقاومة وعندها يبدأ الفصل الثالث والأخير بتدخل "الشيخ الفكون" الذي أشار عليهم بالرأي المصيب النافع مفاده التوقف عن المقاتلة من تقدموا من حضرة السلطان العثماني، لقد طرح اول الأمر رواية الناس المتقدمين الراسخين في الأعمار المسنين حول دخول الأتراك

[1] محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 10.

[2] بن شغب: المرجع السابق، ص 354.

[3] محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 26.

[4] بن شغيب: المرجع السابق، ص 354.

المدينة والتي مفادها بعد ان تملك الأتراك الجزائر، تراهم قدموا الى قسنطينة لأجل ان يستولوا عليها، وكانت ذلك الوقت تحت حكم صاحب ولاية تونس...راموا دخولها من غير حرب ولا قتال فلم ينتج لهم شيء،الا بعد المقاتلة الكبيرة والمحاصرة الطويلة[1].

لم يجد الأتراك كما يتضح من رواية العنتري ترحيبا من أهل قسنطينة في أول الامر بل تصدر للأتراك حتى «اشتدت من الجانبين المقاتلة»[2]، وعن بداية نفوذ الأتراك يقر "ابن المبارك العطار" أن الأتراك بعد إخضاع العرب بنواحيها وقد جرت بين الفريقين وقائع كموقعه وادي القطن بين ميلة وقسنطينة، وكان ذلك سنة 1522 م «وفيها اصطلح الفريقان على ان يكون الترك بقسنطينة ويكون تصريف الوطن بينهم أثلاثا» ثلثه لـ"ابن شيخ العرب" وثلثه لـ"شيخ نجع الحنانشة" وثلثه لـ"حاكم الترك"، وتعاهدوا على هذا واصطلحوا عليه[3].

وعن حيثيات بداية حكم الأتراك في قسنطينة وإقليمها حسب العنتري أنه في ربيع عام 1514 م تعاون "خير الدين" و"عروج" التركيان ورفاقهما وانتزعوا مدينة جيجل من الجنوبيين الإيطاليين الذين اتخذوها مركزا لهم صيد المرجان في الشرق الجزائري وحاولوا أن يتخلصوا بجاية فلم ينجحوا، وفي الوقت نفسه ضايقهم الأمير الحفصي بتونس فنقلوا قاعدتهم من حلق الوادي إلى جيجل وهناك استنجد بهم سكان مدينة الجزائر سنة 1516 م فلبوا الدعوة، واتجهوا إليها بقواتهم البرية والبحرية، وتمركزوا بها وقضوا على المعارضين لهم وذهب "عروج" إلى تنس لمعاقبة أميرها "الزياني" الذي تعاون مع الاسبان ومن هناك أخذ طريقه إلى تلمسان لنجدة سكانها عام 1517 م ولكن الاسبان تمكنوا من قتل أخيه "إسحاق" في قلعة "بني راشد" وبقي مركز أخيه "خير الدين" بالعاصمة معرض للخطر فاتفق مع كبار سكانها على إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية في عام 1518 م وأرسلوا وفد إلى السلطان "سليم" في مصر ليخبره بذلك فقبل وأرسل قفطان التولية لـ"خير الدين" وعينه "بايلرباي" عليها وألفي جندي إنكشاري وكمية من الأسلحة فقام "خير الدين" بتنظيم الإدارة[4].

واستقر هو بالعاصمة وعين نائبا عنه في الناحية الغربية يدعى "محمد بن علي" اتخذ مدينة شرشال مركزا له، وعين نائبا عنه في الناحية الشرقية يدعى "أحمد بن القاضي" اتخذ دلس مركزا له، وفي عام 1521 م نشب خلاف بينه وبين "أحمد بن القاضي" فاضطر أن ينسحب من الجزائر ويعود إلى جيجل مركزه الأول، ليستأنف نشاطه البحري ويراقب الأمور عن كثب.

---

[1] محمد الصالح العنتري: المصدر السابق، ص43-44.

* فايسيت: كاتب فرنسي نشر دراسة في سنة 1867م تحت عنوان تاريخ قسنطينة نشر دراسته في سنة 1867 م تحت عنوان تاريخ قسنطينة تحت الهيمنة التركية، لخص فيها المعارف حول التاريخ السياسي للبايلك على الخصوص طوال الفترة المذكورة وقد صدرت في حوليات الجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة (RNMAC) ثم في المجلة الافريقية (RA) أنظر: قشي:المدينة و المجتمع،المرجع السابق، ص 40.

[2] محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 44.

[3] أحمد بن المبارك بن العطار: المرجع السابق، ص 56.

[4] محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص 38.

فجدد صلاته بالسكان وزعماء العائلات الكبرى، واهتم بأمر المراكز العمرانية المهمة بالمنطقة الشرقية كمواطن استراتيجية ليركز سلطته ويوسعها، وعلى أساس هذه السياسة غزا مدينة القل في العام نفسه 1521 م وسيطر عليها وركز بها حامية عسكرية تتألف من 200 جندي إنكشاري وتعد هذه الخطوة الارهاصات الأولى لدخول العثمانيين قسنطينة إذ غزا مدينتي عنابة وقسنطينة في العام الموالي 1522 م وركز بالأولى حامية تتألف من 1500 جندي وفي الثانية 6000 جندي إنكشاري يرأسها ضباط يحملون لقب قائد العسكر وكان اسم قائد حامية قسنطينة "يوسف" وقد ربط هذا القائد صلات حسنة مع "الشيخ الفكون" شيخ البلد الذي مكنه من الاتصال والتعاون مع أولاد "يعقوب بن علي الهلاليين" الذين يتحكمون في منطقة واسعة بإقليم الشرق من عنابة شرقا إلى سطيف غربا إلى تقرت جنوبا وتعهدوا فعلا بتزويدهم بالمؤن مقابل الحصول على البارود بكميات كافية[1].

وعندما عين "حسن قورصو بايلرباي" على الجزائر قرر تركيز عدة حاميات تركية في أماكن استراتيجية بإقليم قسنطينية ما بين عامي 1540–1541 م ومنها زمورة، برج بوعريريج، المسيلة والبويرة وثم تعيين "بوعكاز بن عاشور" شيخ العرب على رحل الذواودة شرق قسنطينة و"عبد العزيز" من قلعة "بني عباس خليفة" على مجانة عام 1542 م فقام بتوسيع سلطته إلى الزاب وبسكرة وأخضعها لسلطته، ولما تولى "صالح رايس" منصب "البايلرباي" في أعوام 1552–1556 م غزا الجنوب القسنطيني وسيطر على ورقلة وتقرت وقضى على إمارة "بني جلاب" في تقرت و"عبد العزيز خليفة" الذي طلب منه أن يخضع له المنطقة الممتدة من بسكرة إلى المسيلة فرفض "صالح رايس" ذلك، فأظهر "عبد العزيز" تذمره ومعارضته التي انتهت بإعلان عصيانه فيما بعد ومحاولته التحالف مع "أحمد ولد القاضي" الذي كان خصما وعدوا له ولم يكتف بهذا فقام بمهاجمة ومحاصرة الحاميات التركية[2].

في زمورة والبرج والمسيلة والبويرة ونشبت الحرب بينه وبين "صالح رايس" وابنه "محمد بن صالح رايس" وشنوا عليه حربا عشواء طوال ثلاث سنوات 1552–1554 م وحصلت معارك طاحنة راح ضحيتها عدد كبير من الطرفين[3].

ولقد تكون في مرحلة موالية ما يسمى بـ: بايلك قسنطينة أو بايلك الشرق بصفة رسمية سنة 1565 م من طرف البايلرباي "حسن باشا بن خير الدين" [4]، إذ عرف بايلك قسنطينة كغيره من مقاطعات الجزائر أثناء العهد العثماني حكاما بايات[5] إذ لم يتم تعيين باي على بايلك الشرق إلا بعد عامين من تقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات (بايلك الغرب، بايلك التيطري، بايلك الشرق) أي سنة 1567 م ويعد المدعور "رمضان تشولاق" أول باي يتم تعيينه على البايلك[6].

---

[1] االعنتري: المصدر نفسه،ص 39.

[2] المصدر نفسه: ص 41.

[3] نفسه: ص 41-42.

[4] نفسه: ص 10.

[5] فلة قشاعي: المرجع السابق، ص 36.

[6] العنتري: المصدر السابق، ص 43.

وبعد هذا انقسم سكان مدينة قسنطينة إلى فريقين بين مساند للعثمانيين وبين متشبث بالحفصيين [1]،وهذا ما ستتطرق إليه في العنصر الموالي المتضمن ردود أفعال أهل قسنطينة من دخول الأتراك المدينة[2].

2 ردود أفعال سكان قسنطينة من دخول العثمانيين المدينة:

1.2. بين المعارضة والمساندة:

قدم "فايست Vayssette" اعتمادا على كتابات "محمد صالح العنتري" و"أحمد المبارك بن العطار" وغيرهما، حوصلة حول ردود الأفعال في مقال لازال يعد مصدرا أساسيا المتعرف على تاريخ قسنطينة جاء تحت عنوان «تاريخ قسنطينة تحت الهيمنة التركية من 1517-1837» .

ولقد ركز "فايسيت" على انقسام المدينة إلى فريقين بين مساند ومتشبث وكانت الغلبة لمن تعاطف، وتعامل مع الحكام الجدد إذ أن رأيه بني على الثنائية المجسدة في عائلتي "عبد المؤمن" و"الفكون"، ولقد علقت "جميلة معاشي" على موقف سكان قسنطينة من دخول العثمانيين حيث تبنت ثنائية الموقف، حيث كتبت: «عقب وصول العثمانيين إلى مشارف قسنطينة مباشرة... ظهر بالمدينة تياران متناقضان، تيار معارض للوافدين الجدد ومتمسك بالحكم الحفصي وتيار مناصر للعثمانيين ويعمل على تسهيل دخولهم إلى المدينة» [3].

وبالتالي خلصت إلى نفس الاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون الفرنسيون من تحميل الراية لعائلتي "الفكون" و"عبد المؤمن" [4]، وفي تبني الباحثة لثنائية الموقف، ربطت سياسة العثمانيين في البايلك بسياسة "فرق تسد" إذ تقول: «السياسة العثمانية كانت تعمل على بث الشقاق والتحاسد بين الأسر القسنطينية لإضعافها وإخضاعها جميعا للسلطة المركزية» [5]،وقد كان لعلماء قسنطينة وأعيانها مكانة متميزة في العلاقة بالحكم السياسي وكانت هيئة العلماء متماسكة إلى حد كبير مما فرض اللجوء إليها كوسيط وأنها لم تقتحم المجال السياسي مباشرة إلا في المواقف القصوى للدفاع عن المدينة أو الفصل في أمر خطير [6].

ومن هذا المنطلق، تميزت أسرة "بن الفكون" بالصدارة حيث أن "خير الدين" (1522-1534) لما قرر غزو مدينة قسنطينة انطلق من القل أين ترك هناك حامية إلى جانب تلك التي تركها في عنابة ثم قام القائد التركي بتحضير الأجواء فاتصل بعائلة "الفكون" إلى تونس لملاقاة "خير الدين" وتقديم الولاء والدعم له، وقد فسر الجميع انتقال الشيخ "يحي الفكون" إلى تونس على أنه مساندة للعثمانيين في شخص "خير الدين" (1522-1534) وقد يرجع هذا التوجه إلى الخطوة التي استمرت عليها عائلة "الفكون" عند الحكام الأتراك طوال حكمهم وخاصة

---

[1] فاطمة الزهراء قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 35.

[2] المرجع نفسه: ص 49.

[3] العنتري: المصدر السابق، ص 41- 42.

[4] المصدر نفسه: ص 10.

[5] جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن العاشر إلى الثالث عشر و (16-19م)، ماجستير تاريخ قسنطينة 1922، ص 100.

[6] العنتري: المصدر السابق، ص 43.

بعد أن أقحم الشيخ "عبد الكريم الفكون" (ت: 988 هـ/1567 م) نفسه في وساطة بين قائد المدينة وسكانها عام (937 هـ/ 1567 م) كما تدخل حفيده الذي يحمل نفس اسم جده (لأنه ولد بعد وفاة جده بأشهر قليلة) في إخماد نار الفتنة التي وقعت سنة 1640 م، والتي تزعمتها عائلة "عبد المؤمن" وأسفرت عن انتقال مهمة ركب الحج من آل "عبد المؤمن" إلى آل "بن الفكون" في شخص عبد الكريم الحفيد بعد 1647 م[1].

لقد كان لأسرة "بن الفكون" دور كبير في اقناع ناس قسنطينة وإرشادهم للرأي الصحيح وهذا ما تعبر عنه الرسالة التي بعث بها باشا الجزائر "يوسف باشا" الذي تولى سنة 1638 م إلى العالم الشيخ "الفكون" وقد قام بنشرها "العنتري" في كتابه (تاريخ قسنطينة) وما جاء فيها: [... فقد بلغنا أنك سرت إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد والرأي الصائب الرشيد فكان في ذلك حقن دمائهم وزوال الخلاف والهرج بينهم فجزاك الله بأحسن الجزاء وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا من كونك تسعى في الخير والصلاح للفلاح والنجاح...][2].

وعليه تثار عدة أسئلة حول تاريخ ارتقاء عائلة الفكون* لهذه المكانة[3] على الرغم من أن عائلة "عبد المؤمن"** لا تقل عنها أهمية وشهرة. لقد كان أول اتصال لـ: "خير الدين" بـ: "الفكهون" وليس بعائلة "عبد المؤمن" التي كانت إمارة ركب الحج بيدها واستمرت في تولي هذه الإمارة إلى غاية 1637 م على الأقل وهو تاريخ وفاة "أبي عبد الله محمد الفكهون" والد صاحب المنشور في طريق عودته من الحج وكان الركب آنذاك تحت رعاية الشيخ "عبد المؤمن" وعلى إثر ارتحال الشيخ "يحي الفكون" من قسنطينة إلى تونس قبيل 1535 م ثم تفسير ذلك على أنه تقرب من "خير الدين" وخدمة له، إلا أن الكتابات المعاصرة فسرت هذا السفر بأن "يحي الفكون" أراد التقرب من بعض العلماء بتونس من أنداده، فهذه الرحلة إذا تندرج ضمن تقاليد الهجرة العلمية ابتعادا عن الواجهة السياسية وبعد وفاة "يحي الفكون" عاد ابنه "قاسم الفكون" إلى قسنطينة حيث تولى خطة القضاء في زمن الشيخ "الوزان" بعدما اعتذر هذا الأخير عن قبول الخطة والجدير بالذكر أن أهل "الفكون" لم يتصدروا المناصب الرسمية كالقضاء والافتاء، فمثل الشيخ "قاسم الفكون" الاستثناء ولقد استمر شيخ عائلة "الفكون" في التحفظ من المناصب الرسمية مما يدعوا إلى التريث قبل تفسير زيارة "يحي الفكون" إلى تونس قبل 941 هـ/ 1535 م على أنها مبايعة لـ: "خير الدين" ووساطة "عبد الكريم" الجد 975 هـ/ 1576 م على مساندة للحكم

---

[1] فاطمة الزهراء قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 37-43.

[2] العنتري: المصدر السابق، ص 46.

* كثيرا ما يقع الخلط بين عبد الكريم الفكون الجد وعبد الكريم الحفيد، لذا حاول الأستاذ أبو القاسم سعد الله في تأليفه "شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية" إزالة الكثير من الالتباس حول الشخصيتين إذ أنه جعل قاسما هو الأب لعبد الكريم في حين أنهما إخوة من أمين مختلفتين أنظر : قشي،المدينة و المجتمع،المرجع السابق، ص 52.

[3] المرجع نفسه : ص 53.

** عبد المؤمن شيخ الإسلام زعيم أولاد صولة، ظل معارضا لهم 3 سنوات فاضطر الأتراك إلى مصالحته ولكنهم ظلوا يكيدون له المكائد حتى قتلوه وسلخوا جلده وملأوه بالقطن وأرسلوه إلى باشا الجزائر كما أن أسرته سيطرت على وظيفة شيخ الإسلام طوال فترة الحكم الحفصي انظر: معاشي : المرجع السابق، ص 90.

التركي الجديد، كما أن "قاسم الفكون" لم يبرز في الواجهة بأي موقف سياسي كان أو فقهي على عكس أخيه "عبد الكريم" الذي سيقوم بهذا الدور ويضطلع به "عبد الكريم" الحفيد من بعده[1].

أما حول ركب الحج فلم يسجل "عبد الكريم الفكون" في المنشور أي خلاف بينه وبين من سبقه في الخطة " آل عبد المؤمن" فضلا أن مسار أفراد "الفكون" البارزين أثبت عدم محاباتهم الحكام وإنما فرضوا على هؤلاء الاحترام والاعتراف بهم كوسطاء، أما عن الامامة فلم تكن هناك منافسة بين العائلتين لأن لكل منهما مسجده الخاص وحومته فل "عبد المؤمن" باب الجابية وزاويتهم بها ول "الفكون" البطحاء ولهم الخطابة بجامعها الأعظم أبا عن جد، كما كانت لعائلة "ابن باديس" إمامة مسجد القصبة وخطابتها[2] فالمساجد كانت عبارة عن أماكن الصلاة والعبادة والتعليم[3] وعليه، تحتاج قضية الوسطاء هذه أن تدرس في سياق العلاقة الجدلية بين فقهاء المدينة بالحكام بصفة عامة والمتمثلة في منح المشروعية من جهة مع الاحتفاظ بحرية الرأي وسحب المساندة من جهة أخرى إن لزم الأمر وهي العلاقة التي تتميز بالتزكية من جهة والتمتع بالنصيحة والتعفف من المغريات الدنيوية من جهة ثانية وقد كان ل: "آل الفكون" و "آل عبد المؤمن" مكانة متميزة في العلاقة بالحكم السياسي إذ يتم اللجوء لكل منهما كوسيط[4].

2.2. موقف سكان قسنطينة من دخول العثمانيين المدينة:

عقب وصول العثمانيين إلى مشارف قسنطينة سنة 1522 م ظهر بالمدينة تياران متناقضان، تيار معارض الوافدين الجدد والمتمسك بالحكم الحفصي وتيار مناصر للعثمانيين ويعمل على تسهيل دخولهم إلى المدينة وكان التيار الأول بزعامة شيخ الإسلام "سيدي عبد المؤمن" والتيار الثاني بزعامة الشيخ "يحي بن محمد الفكون" أحد أعيان المدينة وكبار أثريائها ونتيجة للوضع، انقسمت المدينة إلى فريقين متعارضين تمركز الأول بالمنطقة العليا للمدينة وشمل منطقة مسكن أسرة "الفكون" والمعروفة بحارة أولاد "سيدي الشيخ" أو "بطحاء" وتمركز الثاني بمنطقة سكن أسرة "عبد المؤمن" بحي باب الجابية * حيث بقي مسجد الأسرة قائما في اليوم الذي وقد نشبت صراعات لتمسك كل منهم بموقفه وإصرار العثمانيين على دخول المدينة[5].

---

[1] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 55.

[2] المرجع نفسه: ص 56.

[3] أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ،ج 1، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 246.

[4] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 57.

*قسمت مدينة قسنطينة قديما إلى أربعة أحياء رئيسة هي: حي القصبة في الشمال الغربي للمدينة وكانت خاصة بالحكام والاداريين وفي الطابية بالجنوب الغربي وفي باب القنطرة وباب الجابية بالجنوب الشرقي ويفصل بين هذه الأحياء أسواق عامة ومناطق حرفية حول التقسيم أنظر : محمد عثمان: المرجع السابق،ص 12

[5] معاشي: المرجع السابق، ص 97.

❖ التيار المناصر للعثمانيين:

مثلما جاهرت أسرة "عبد المؤمن" بعدائها للعثمانيين، جاهرت أسرة "الفكون" بولائها لهم. ويبدوا أن اتصال العثمانيين بزعيم أسرة الفكون "يحيى بن محمد الفكون" كان مبكرا إذ يعود حسب بعض المؤرخين إلى سنة 926 هـ/1522 م حيث اتصل قائد الحامية العثمانية المرابط على مشارف قسنطينة بالشيخ المتوسط له لدى قبيلة "أولاد يعقوب الذواودة" لتمويلهم بالمواد الغذائية مقابل تزويد القبيلة بالعتاد الحربي، وقد تمت الصفقة بين الطرفين في نفس السنة والسبب الذي جعل "أسرة الفكون" يتصلون بالعثمانيين سوى الاعتقاد بأن وجوه الأملاك الواسعة لأسرة "الفكون" بالسهل الأبيض على مشارف المدينة جعل زعيمها "يحيى بن محمد" يتصل بسهولة بالعثمانيين الذين كانوا يرابطون بالقرب من المنطقة ولعل الشيخ أعجب بقوتهم ورأى أنها خير منفذ للبلاد بعد الضعف الذي كانت تشهده الدولة الحفصي كما أنه لا يستبعد استخدام العثمانيين لسياسة فرق تسد التي ميزت حكمهم بين الأسر القسنطينية حيث عمدوا إلى تقريب الأسرة الأقل شهرة لضرب أسرة "عبد المؤمن" الأكثر شهرة والمناصرة للدولة الحفصية[1].

وإذا كانت علاقة أسرة "الفكون" بالعثمانيين في سنة 928هـ/1522م لا تتعدى الوساطة فإنها أصبحت ولاء حقيقيا في سنة 941هـ/1534م تاريخ خروج آخر ولاة الحفصيين من قسنطينة إذ تشير المراجع إلى أن شيخ الأسرة "يحيى بن محمد" خرج من قسنطينة في هذه السنة للالتحاق بالقائد العثماني "خير الدين" بتونس فاعتبره العثمانيين شهيدا من شهداءهم إلى أن تبوأت المكانة الأولى بالمدينة بمنح منصب شيخ الإسلام * للابن الثاني للشيخ "يحيى" وهو "عبد الكريم الفكون" بعد أن أزيح الشيخ السابق "سيدي عبد المؤمن" من منصبه [2]. وقد لعب "عبد الكريم الفكون" (933هـ/1530م) الدور الأكبر في السعي لدخول العثمانيين من المدينة، ثم استقر حكمهم بها ومن بين الأعمال التي قام بها لخدمة هؤلاء مساهمته في إخماد العديد من الثورات التي نشبت في عهده ضد العثمانيين سواء كان ذلك داخل المدينة مثل ثورة أسرة "عبد المؤمن" أو خارجها مثل ثورة عرب "أولاد صولة" وكثيرا ما كان الشيخ يخاطر بنفسه عند خروجه لتهدئة هذه الثورات: وهو ما حدث سنة (975هـ/1567م) عندما غادر قسنطينة صحبة المفتي "عبد اللطيف المسبح" لتهدئة ثورة "العربان" خارج المدينة وكانت النتيجة أن وقع في قبضة الثوار ولم يطلق سراحه إلا بعد تدخل القوات العثمانية وإخماد الثورة بالقوة ولم تتوقف خدمات الشيخ للعثمانيين بعد هذه التجربة الصعبة بل عمل في السنة الموالية 976هـ/1568م على السفر إلى الجزائر للقاء الباشا وتقديم الولاء له باسم سكان قسنطينة، إلا أنه وقع في تجربة أخطر من الأولى، إذا

---

[1] معاشي: المرجع نفسه، ص 100.

* اختلاف المؤرخون حول تحديد تاريخ انتقال مشيخة الإسلام إلى أسرة الفكون، فمنهم من يرجحه إلى سنة 1563 م Vayssette ومنهم من عيده إلى سنة 1560 م أو سنة 1517 Mercier أما المصادر العربية منها تاريخ قسنطينة لصالح العنتري وكذلك أحمد العطار فهي لم تذكر شيئا عن تاريخ هذا الحدث أنظر: المرجع نفسه، ص 101.

[2] نفسه: ص 101.

بمجرد وصول الشيخ والوفد المرافق له إلى مدينة الجزائر وصل خبر نشوب معارك دامية بين سكان قسنطينة والحامية العثمانية المرابطة بالقرب من المدينة، الأمر الذي جعل الباشا يشك في نوايا الوفد ويأمر بإلقاء القبض على أعوانه إلا أنهم تمكنوا من الفرار إلى جبال القبائل ولم ينقذهم من انتقام الباشا إلا تأكد هذا الأخير من براءتهم وحسن نواياهم فقام بإكرامهم بدل معاقبتهم وتذكر المراجع أن الباشا قام بحملة تأديبية في قسنطينة عقب عودة الشيخ "الفكون" ورفاقه مباشرة[1] إذ استمرت الثورات مدة طويلة عجز فيها الأتراك عن بسط نفوذهم لفترة قصيرة فقط. لقد جاء تعيين "رمضان تشولاك" (1567-1574) كأول باي على بايلك الشرق في ظروف صعبة ومشاكل معقدة في الإقليم وقد جاء تعيينه على رأس مقاطعة الشرق بعد فتنة قسنطينة عام 1567 م وهي آخر مقاطعة يصلها حكامها من الجزائر العاصمة[2].

أما الشيخ "الفكون" فبعد عودته إلى قسنطينة مباشرة أخذ يدعو جهارا وبحماس كبير إلى مساندة العثمانيين والدخول في طاعتهم وحاول إقناع جماعة المدينة بذلك واستمر في خدمة هؤلاء حتى سنة 968هـ/1598م وقد توارثت أبناؤه وأحفاده الولاء والإخلاص للعثمانيين. ومن خلال ما سبق يمكن أن نستخلص عدة أمور منها:

- قوة الحجة لدى الشيخ "الفكون" في إقناع السكان بفتح أبواب المدينة للحكام الجدد.
- مدى الارتباط الروحي والاعتراف بشرعية الوجود العثماني بالجزائر والايمان بشرعية الخلافة العثمانية.
- الشعور بقوة العثمانيين العسكرية وعدم قدرة السكان على الوقوف في وجههم لأنهم يمثلون دولة عظيمة.

أمام حجة الشيخ "الفكون" خضع سكان المدينة على رأسهم أعيانها لهذا الرأي واتفق الجميع على قبول الانطواء تحت الراية العثمانية [3]، واستمر إخلاص أسرة "الفكون" للعثمانيين وتفانيها في خدمتهم واستمر تقدير هؤلاء لخدماتهم وفضلها في حمل السكان على طاعتهم وبذلك تبوأت الأسرة السكانية السامية بالمدينة فكانت كلمة شيوخها نافذة لدى العام والخاص في ذلك حتى الباي نفسه وخاصة بعد أن انتقلت مشيخة الإسلام إليها وهو ما أخذ المؤرخ "أحمد بن المبارك بن العطار" في قوله: «فلما قتلوه (الشيخ عبد المؤمن) ردوا المشيخة إلى ابن الفكون، فمن ثم صار يمشي بالركب كما كان الشيخ سيدي عبد المؤمن» والحقيقة أن شهرة الأسر لم تقتصر على مدينة قسنطينة بل تعدت حدود ولاية الجزائر إلى تونس كانوا محل تقدير حكام تونس ومحكوميها.

مما سبق يتضح لنا أن العثمانيين لم يدخلوا مدينة قسنطينة بسهولة كما كنا نتصور وأنهم لم يستعملوا القوة لتحقيق ذلك، بل استغلوا أهل البلاد لتسهيل هذه المهمة وتعمدوا الصبر إلى أن تحقق لهم النصر على المعارضين منهم بفضل المساندين لهم من سكان المدينة أنفسهم وليس هذا إلا نتاجا للسياسة الحكومية التي تميز بها القادة العثمانيون الأوائل[4].

---

[1] معاشي: المرجع نفسه، ص 102.

[2] فاطمة الزهراء قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 51.

[3] معاشي: المرجع السابق، ص 103.

[4] المرجع نفسه: ص 105.

❖ التيار الرافض للموجود العثماني:

تزعم هذا التيار كما أسلفنا الذكر أهم أسرة دينية بالمدينة وهي أسرة "عبد المؤمن"، يساندها في ذلك عرب"أولاد صولة"* وقد كانت هذه المعارضة شديدة إلى درجة أنها كانت سبب مباشر في تأخير دخول العثمانيين المدينة حتى النصف الثاني من القرن (10هـ/16م) إذ أغلقت أبواب المدينة في وجه القائد العثماني حسن آغا بأمر من شيخها سيدي عبد المؤمن، الأمر الذي جعل القائد يتمركز بسطح المنصورة في انتظار الظرف المناسب لدخول المدينة دون الاضطرار إلى سفك الدماء [1]، ومن هناك تم الاتصال بالشيخ "عبد الكريم الفكون" لتسهيل دخول القوات العثمانية إلى المدينة فكانت نصيحته للقائد العثماني بالتقرب من شيخ الإسلام "سيدي عبد المؤمن"، والتعهد له بالإبقاء على سلطته الروحية بالمدينة وأكد له أن ذلك كفيل بفتح أبواب المدينة أمامه، إلا أن محاولات العثمانيين لاستمالة الشيخ "عبد المؤمن" باءت بالفشل. الأمر الذي أدى إلى استعمال الحلية لاستدراج الشيخ إلى سطح المنصورة بدعوى التفاوض حول الصلح وهناك تم اغتياله.

وقد جاء على لسان الشيخ "أحمد بن العطار" في الموضوع: «... ونزل الأتراك بسطح المنصورة وشرعوا في بناء قصبة هناك لعسكرهم... وأظهروا العدل والسياسة وخالف سيدي عبد المؤمن أهل حومة باب الجابية... وتحيلوا على الشيخ عبد المؤمن... إلى أن تمكنوا به...» [2].

بعد مقتل الشيخ "عبد المؤمن" سنة (980هـ/1572م) هاجم العثمانيون المدينة وحاصروا أسرته وأتباعه الذين أصروا على المقاومة بحومة باب الجابية، ودام القتال حسب بعض المؤرخين مدة يومين كاملين انتهت بالقضاء على المقاومة وسلمت الأسرة أسلحتها لجماعة المدينة وبذلك فرض الأمن بالمدينة بفضل تدخل علماء المدينة وعلى رأسهم أسرة "الفكون" المناصرة للعثمانيين أما عن مصير أسرة "عبد المؤمن" الثائرة فرغم هزيمتها إلا أن العثمانيين احترموا شيوخها لمكانتهم الدينية وأبقوا للأسرة جميع ممتلكاتها بل يبدوا أن هؤلاء تركوا بعض المهام الدينية ومنها ركب إمارة الحج في يد شيوخ هذه الأسرة في زمن متأخر من حكمهم وخير أفرادها بين البقاء بالمدينة أو الرحيل عنها، فاختار بعضهم البقاء في حيهم بعيدا عن أي نشاط سياسي او الاتصال بالحكام الجدد ورحل البعض الآخر إلى جنوب البايلك ليستقروا بمدينة بسكرة وضواحيها، أما أتباع الأسرة وعلى رأسهم عرب "أولاد صولة" فواصلوا مناوشاتهم ضد العثمانيين إلى أن هزموا وشردوا فلجأوا إلى الجنوب ليستقروا شرق مدينة بسكرة [3].

---

*كانوا يتزعمون مشيخة العرب في العهد الحفصي.

[1] معاشي :المرجع نفسه، ص 98.

[2] المرجع نفسه: ص 98-99.

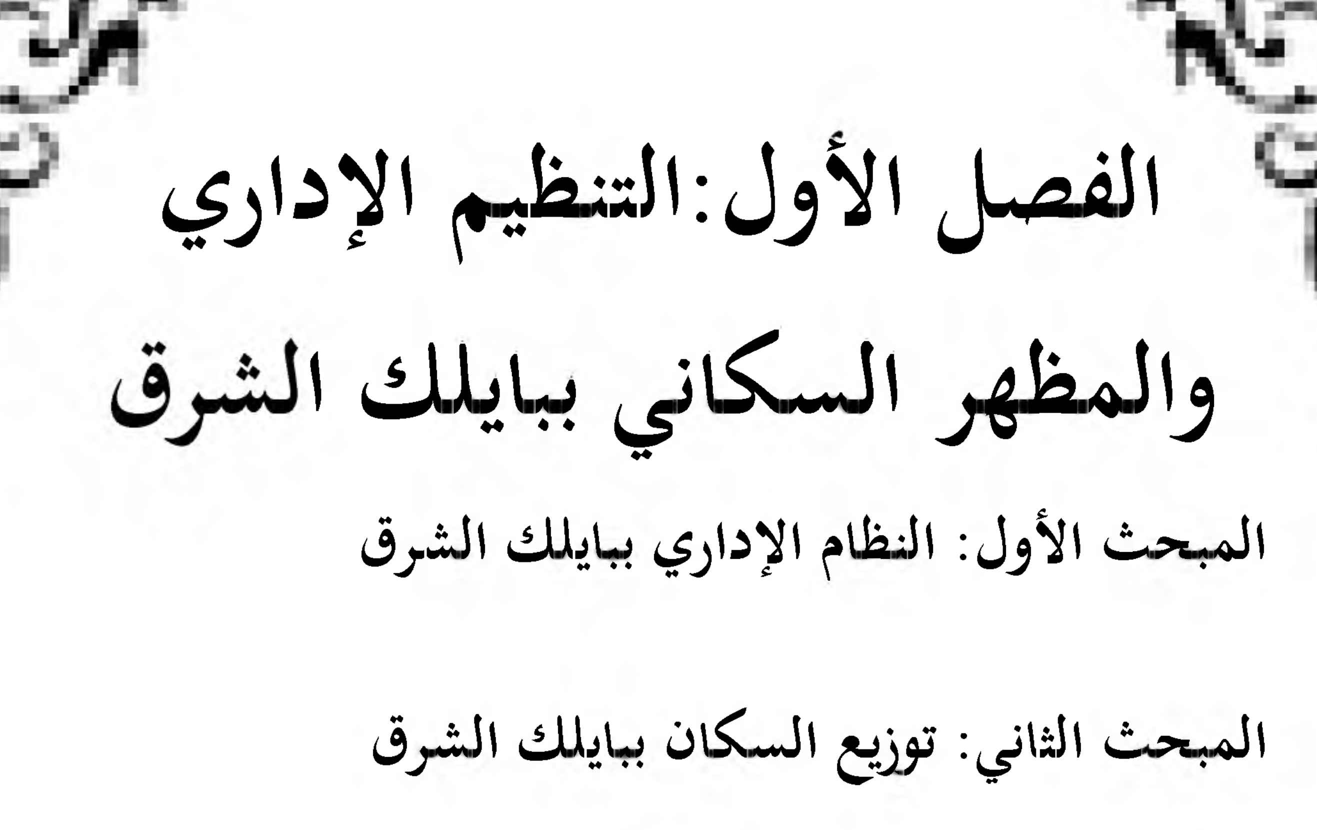
[3] نفسه: ص 99.

خلاصة:

في الأخير نستنتج :

- أن مدينة قسنطينة تحتل موقعا استراتيجيا هاما أثر بشكل كبير و مباشر في حياة المجتمع القسنطيني واستقراره.
- كما أنها منطقة متميزة بالنسبة لشرق دولة الجزائر.
- قسنطينة كانت المركز الرئيسي لسلطة الباي ببايلك الشرق.
- اختلاف المؤرخون حول تاريخ تحديد بداية السيطرة العثمانية على مدينة قسنطينة الا أنها المدينة الثانية بعد الجزائر العاصمة تدخل تحت السيطرة العثمانية.
- من خلال الروايات المذكورة حول دخول الترك نستنتج أن استقرارهم بمدينة قسنطينة كان تدريجيا.

الفصل الأول: التنظيم الإداري والمظهر السكاني ببايلك الشرق



المبحث الأول: النظام الإداري ببايلك الشرق

المبحث الثاني: توزيع السكان ببايلك الشرق

المبحث الثالث: الطوائف الاجتماعية ببايلك الشرق

المبحث الرابع: الظروف المعيشية لسكان بايلك الشرق

تمهيد:

من المعروف أن المحديث عن الحياة الاجتماعية بمنطقة معينة يجب علينا التعرف عن النظام السائد بالمنطقة و كذا معرفة الكثافة السكانية بها، لذا خصصنا هذا الفصل للحديث عن النظام الإداري السائد ببايلك الشرق، تضمن مبحثا لدراسة سكان البايلك من حيث العدد وتوزيعهم، وعلينا الإشارة إلى أن المجتمع القسنطيني تميز بتشعبه لكثرة القبائل والعشائر، فهو يعد مجتمعا فئويا بالدرجة الأولى، لكل فئة خصائصها المعينة سنتحدث عنها بالتفصيل في هذا الفصل، وإشكالية الفصل تضمنت عدة تساؤلات هي :

- بماذا تميز النظام الإداري العثماني ببايلك الشرق و ما هي أهم الوظائف الادارية ؟
- كيف كان التوزيع السكاني لبايلك الشرق بين الأرياف و المدن و ما العوامل المتحكمة به ؟
- ماهي أهم الطوائف الاجتماعية ببايلك الشرق و ما مدى تأثيرها على الجانب السياسي ؟
- بماذا تميزت الظروف المعيشية و الصحية لسكان بايلك الشرق ؟

المبحث الأول: النظام الاداري ببايلك الشرق.

أجمع العديد من المؤرخين أن أكبر منصب ببايلك قسنطينة في بداية الحكم العثماني كان محتكرا من طرف العناصر المحببة وأن الحكام العثمانيين لم يتدخلوا بالقوة لإحداث تغير جذري بالجهاز الاداري للبايلك[1].

فقد جاء في مختلف الخطابات الرسمية والفرامانات السلطانية منذ دخول الاتراك إلى قسنطينة وجوب احترام القوانين المحلية والابقاء على سيادة أمراء القبائل وشيوخها تفاديا للصدام معهم[2]،وهذا ما يدل على أن السياسة اللينة التي اتبعتها السلطات العثمانية تخوفا من قيادات بايلك الشرق بداية الحكم العثماني المتمثلة في الاسر المحلية. وهذا ما أجمع عليه معظم المؤرخين كما ذكرت الباحثة جميلة معاشي أن الحكم في بايلك الشرق في بداية الحكم العثماني متركز في خمس أسر محلية حاكمة[3].

إن العنصر الأول والأساسي في التنظيم الاداري ببايلك الشرق هو ما يسمى مشيخة[4]،وكانت الادارة التركية قبل مجيء "أحمد باي"* تتسم بعدم الاستقرار، اذ تعاقب عليها الكثير من البايات كما تتسم بطابع الارتجالية في الامور والكثير من التجاوزات، هذا إلى جانب غياب الأمن في مختلف ربوع البايلك**.

وقد أسس النظام العثماني الاداري في بايلك الشرق نظامين، الأول خاص بالمدينة والثاني خاص بالريف[5]:

1. **نظام المدينة:** كان الباي على رأس الجهاز الاداري ويعطى له حق التصرف المطلق[6]،يعين ويعزل باي البايلك من طرف داي الجزائر، وتبعيته للداي الذي يحدد تبعيته[7]،وقد كان باي قسنطينة يعتمد في حكم البايلك على النظام العشائري الذي كان سائدا آنذاك بحيث يكون رئيس القبيلة أو العشيرة كواسطة بين القوم والباي، كما يكون الباي نفسه واسطة بين الباشا بالجزائر وهؤلاء الرؤساء[8].

---

[1] جميلة معاشي : المرجع نفسه، ص 123.

[2] جهيدة بوعزيز: الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771-1837)-(1185-1253)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2011-2012، ص 121.

[3] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 124.

[4] صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850، ديوان المطبوعات الجامعية 2007، ص 28.

*الحاج أحمد باي: هو آخر بايات بايلك الشرق في العهد العثماني (1826-1850). لمزيد من المعلومات، أنظر: ، المرجع نفسه، ص 20.

**في عهد أحمد باي، عرفت الادارة الاستقرار إلى حد كبير فأخضع معظم القبائل الكبرى إلى حكمه، وأعاد تنظيمها الاداري من ذلك قبيلة أولاد عبد النور المعروفة بالبايلك من حيث كبرها واتساع مجموعات أفرادها.

[1] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 31 .

[6] رياض بولحبال: أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول دراسة وتحقيق رسالة ماجستير، اشراف اسماعيل سامعي، جامعة قسنطينة 2009- 2010، ص 23.

[7] بن شغيب: المرجع السابق، ص 214.

[8] يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، دار الطليعة للطباعة والنشر، الجزائر، 1965، ص 156.

بالإضافة إلى أن الباي كان يحمل (الضرائب) الدنوش الكبرى* بنفسه إلى الداي كل ثلاث سنوات[1].

أولا: ديوان الأوجاق: للباي موظفين تابعين له يدعون المخزن لكل واحد مهامه المخصصة به وهم:

1. **الخليفة:** يأتي بعد الباي في المرتبة الأولى وكان يحظى بنفس الاعتبار الذي يحظى به الباي في جولاته الخارجية[2] وهو المسؤول عن جميع الأوطان يقدم الأوامر للقياد في الضرائب حيث كان يذهب مرتين في العام إلى الجزائر العاصمة في الربيع والخريف لحمل الدنوش إلى الباشا عند عدم ذهاب الباي بنفسه[3]، كانت تخرج معه فرقة موسيقية تحمل الأعلام وحاشية تتكون من الشخصيات المعتبرة[4].
2. **قائد الدار:** وهو بمثابة رئيس البلدية حاليا، فهو يترأس عدد كبير من الموظفين وهو المراقب الرسمي لجميع الضرائب الحرفية بالمدينة[5]، وكانت وظيفة قائد الدار من أهم الوظائف بالبايلك فقد كان يتولى ادارة مدينة قسنطينة عند غياب الباي كما كان ينظر في الخلافات أو الخصومات التي تحدث، وكانت أراضي العزل ** تحت تصرفه، وتخضع شرطة المدينة*** لأوامره وقائد الدار موظف إداري رسميا ملزما بتطبيق القوانين الإدارية كغيره من الموظفين الإداريين، ويشاركه في الاشراف على شؤون المدينة شيخ البلد الذي يشرف إشرافا أدبيا على أمور المدينة العامة مثل جباية الضرائب والمشاركة في الاجتماعات. وقد احتكرت هذا المنصب أسرة الفكون ، ويذكر محمد العربي الزبيري المؤرخ لتاريخ قسنطينة أن شيخ البلد ينتخبونه.

لما له من خصال حميدة بالإضافة إلى أنه يراقب الشرطة والمؤسسات العمومية، وينظم شؤون المدينة[6]،إلى جانب العديد من من الموظفين الذين يخضعون لقائد الدار، لعل أبرزهم:

- أمين الخبازين.
- أمين الفضة

---

*الدنوش الكبرى: هي كلمة محلية يقصد بها الضرائب الكبرى، أنظر: فاطمة الزهراء قشي:المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 81.

[1] رياض بولحبال: المرجع السابق، ص 23.

[2] صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 27.

[3] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 31.

[4] صالح فركوس: الحاج احمد باي، المرجع السابق، ص 27.

[5] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 125.

**أراضي العزل: وهي تلك الأراضي التي يصادرها الباي أو يشتريها من القبائل، ويتنازل عنها لصالح كبار الموظفين المرابطين وقبائل المخزن التي ترضى بتقديم الجنود الولاء للباي، تعود ملكيتها للدولة مباشرة ويحق للحكام التصرف فيها. لمزيد من المعلومات، انظر: حياة بو دوبة، الملكية والمجتمع في منطقة فرجيوة خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، إشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012، ص 21

***شرطة المدينة: هي شرطة تتشكل من أربع مجموعات، كل مجموعة تضم ستين رجلا تم استيعابه من سكان المدينة يتولى رئاستها قائدان يشرف على تنظيمها قائد القصبة. لمزيد من المعلومات أنظر: صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 27.

[2] جميلة معاشي: المرجع السابق، 125.

[6] محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر، ص 22.

- ✓ قائد الباي: وهو المسؤول عن السلع التي تدخل الأسواق للتجارة ويتسلم الضرائب.
- ✓ قائد السوق: ومفتش الأسواق.
- ✓ قائد الزبل: وهو مسؤول عن تنظيف الشوارع والاسواق...
- ✓ قائد القصبة: وهو المسؤول عن شرطة المدينة في الليل.
- ✓ البراح: في الساحات العامة لتبليغ الناس أوامر قائد الدار أو الخليفة أو الباي.
- ✓ باشا الحمار: وهو المسؤول عن البغال[1].

3 **آغا الدايرة:** يعرف في بعض الأقاليم بآغا العرب أو باشا آغا أو خوجة الخيل، وهو قائد الحامية التركية المستقرة بمركز البايلك[2] وهو رئيس فرقة الفرسان وتوضع تحت تصرفه تسعة وثلاثون قبيلة [3]، وقد كان فرسان الدايرة ينقلون الرسائل من مكان لآخر ويتقاضون مقابل ذلك أجر يقدر بـ: 8 فرنكات مقابل أتعابهم[4]، كما أنه أثناء الغزوات يأخذون ثلث الغنيمة من المواشي أما الغنائم فقد كان الأغا يحظى بامتيازات عدة ، اضافة إلى ما تضمه الدايرة من قبائل ،اضافة إلى ما يظفر به كل سنة من برنوس التعيين الذي يغتنمه المحصول على ضريبة الفرحة التي لم تكن تقل عن دورو واحد للخيمة الواحدة أما بالنسبة لقيادة الدايرة فإنه يوجد بينه وبين الفرسان وسطاء من كبار الدايرة، كما كان يخضع تحت سلطته أيضا كاتب باشا شاوش الذي كان يوجد تحت أوامره ثلاثون شاوشا [5]، يضيف العنتري أن أغا الدايرة كان يتولى جمع الضرائب ويخرج مع الباي لمعاقبة القبائل المتمردة[6].

4 **الباشا كاتب:** وهو الكاتب العام، يحرر برقيات الباي ويشرف على النقود والخيول والبغال وقطعان الأغنام ويخرج لمراقبة أحوال البايلك[7]، وهو المكلف بوضع طابع الباي وخاتمه على التقارير والمراسلات الادارية داخل البايلك وخارجه ودفاتر الحسابات وهذا ما أكسبه نفوذ وتأثير على الباي ويخضع له كاتبا تحرير ومحاضر الحسابات المتصلة بالعدالة وكذلك المراسلات[8] ،إلى جانب عدة وظائف كل منها المسؤول عن مهمة* .

5 **الباشا مكاحلي:** وهو قائد خواص الباي، ويقود هؤلاء في المناسبات الرسمية[9].

---

[1] العرتري: المصدر السابق، ص 34.

[2] أحمد سليماني: تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 39.

[3] رياض بولحبال: المرجع السابق، ص 23.

[4] صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 27.

[5] المرجع نفسه: ص 28.

[6] العنتري: المصدر السابق، ص 32.

[7] أحمد سليماني: المرجع السابق ، ص 41.

[8] العنتري: المصدر السابق، ص 32.

* منها باشا سايس المسؤول عن خزانات البايلك وحمايتها ورعايتها والاعتناء بها وباشا شاوش. هو الذي توضع تحت تصرفه كتيبة من الجنود الإنكشاريين وفرقة من فرسان الصبايحية وقوات أخرى من المخزن. لمزيد من المعلومات، انظر: سليماني احمد: المرجع السابق، ص 41.

[9] المرجع نفسه : ص 42.

6 النقاد أو المقتصد: وهو المسؤول عن المصالح المالية والانفاق وجمع الضرائب وأعداد أموالها التي ترسل إلى العاصمة فهو صاحب السلطة فيها[1].

– إلى جانب موظفين آخرين لا يتصل بهم الباي مباشرة، منهم:

- **أغا الصبايحية:** هو المسؤول عن الصبايحية والشاوش الذين يقومون بدور المساعدين ومنهم شاوش محلة الشتاء مكلف بتوزيع ما يحتاجه جنود المحلة من المؤونة والاغذية والخيام[2].
- **الباشا سراج:** وهو المسؤول عن طرود الباي، والمكلف بخيول واسطبلات الباي، أوكل له قيادة قبائل وله أهمية متزايدة لحاجة البايلك إلى الخيل خاصة في الحملات[3] ،إلى غيرها من الموظفين الآخرين*

إلى جانب العديد من الوظائف المتعددة في الجهاز الاداري للبايلك الشرق، التي كانت تتفاوت من حيث الاهمية[4]، بالإضافة إلى الموظفين الموجودين بقصر الباي له مهامه المحددة. وقد كان النظام البلدي موجود آنذاك ويتكون من من مجلس الاعيان يترأسه شيخ البلد، ومجلس يختاره من الصناع والأمناء[5].

ومن ذلك نجد أن للبايلك جهاز اداري منظم يتولى شؤون المقاطعة ككل يأتي في أعلاه الباي الذي كان في الواقع مستقلا لا يخضع للداي إلا فيما يتعلق بجمع الضرائب، وكان الباي مسؤول أيضا على استتاب الامن في مقاطعته[6].

وكذا يعمل الباي على ابقاء الأهالي في حالة خضوع وطاعة، لذلك كثيرا ما كان يعمد على ترحيل بعض العائلات وتشتيت قبائل بأكملها، ليضمن الهدوء وتجنب الثورات، فقد كان الداي يرسل له سنويا حامية** من العساكر سخرها لإخماد الفتن[7].

2. نظام الأرياف: عندما نتحدث عن النظام الاداري في الريف يجب أن نتحدث عن قبائل المخزن* بالدرجة الأولى فقد استعملهم بايات قسنطينة لفائدة البايلك ولإقرار الأمن وإخماد التمردات واستخلاص الضرائب مما جعل هذه الشريحة

---

[1] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 32.

[2] سليماني احمد : المرجع السابق، ص 42.

[3] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 32.

*منهم باشا العلم الذي يحمل العلم وباشا الطبلة الذي يشرف على المكلفين بالموسيقى التي تصحب الباي، وباشا خزناجي يسخر لحراسة القوافل التي تستخلص الضرائب من الناس أو باشا مانق المسؤول على إعداد تقديم البغل والاحصنة للقافلة وقائد مهر باشا الذي يصحب الخليفة إلى مدينة الجزائر عندما يحل الدنوش في الربيع. لمزيد من المعلومات، انظر: المصدر نفسه: ص 32-33.

[4] صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 28.

[5] رياض بولحبال: المرجع السابق، ص 23.

[6] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 22 – 23.

**حامية قسنطينة تتكون من مائة خيمة تؤوي كل واحدة ثلاثين جنديا وتبقى في المقاطعة ستة أشهر. لمزيد من المعلومات، انظر: المرجع نفسه:ص 23.

[7] نفسه :ص 23.

*هي تجمعات سكانية ذات تكوين اصطناعي منهم العبيد وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال، ذات صبغة ادارية، عسكرية، فلاحية تعد حلقة وصل بين السكان في الارياف والحكام في المدن تشارك في الأمور الادارية للبايلك مثل: استخلاص الضرائب... لمزيد من المعلومات أنظر: ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، م و ك ، الجزائر، 1984، ص 105 – 107.

وسيلة ربطت غالبية سكان الريف بسلطة البايلك ووسيلة لمد نفوذ السلطة المركزية لإدارة البايلك بالمناطق الجبلية البعيدة مما جعلها ذات امتيازات واسعة من اقتطاعيات وأراضي ومنازل جعلتها على صلة دائمة بالجهاز الاداري البايلك الشرق، وتنصيب عشائر المخزن في الاماكن المهمة بالإقليم كان هو المعهود في بايلك الشرق فقد احتل قبائل المخزن عدة مناصب ادارية نظرا لأهمية هذه الفئة خاصة أهميتها في اعلانها على غرار الإنكشارية تبعيتها لأي باي أثناء استلامه مقاليد الحكم لدرجة يمكن القول فيها أن قبائل المخزن قوة مأخوذة من الجزائر لذلك اقتطع البايات لقبائل المخزن قوة مأخوذة من الجزائر للحكم[1].

بالإضافة إلى الأسر المحلية الحاكمة في الريف التي كان لها نفوذ قوي بالمناطق الريفية لما له أثر بالغ في التنظيم الاداري هناك، فقد كان لها مكانة سياسية كبيرة وسنتحدث عن هذه الأسر بعمق في الفصول القادمة[2].

اذن السلطة في الريف القسنطيني تستند إلى الأعراش والقبائل المخزنية والتي تنفذ أوامر القادة الأتراك ثم أصبحت وسطيه[3].

أما بالنسبة للوظائف الادارية التي تقوم بتنظيم الشؤون في الريف فهم كالتالي:

1. القياد: الباي هو الذي يعين القياد باقتراح من الأغا أو كبار الموظفين[4]، ولعل من أبرز قياد بايلك الشرق: قايد لحراكتة أو العوامي، وتحت تصرفه اثني عشرة قليلة وقائد الزمول[5].

قائد أولاد تلاغمة، قائد أولاد دراج في الحضنة، قائد ميله، قائد مسيلة، قائد زمورة، قائد تبسة، قائد عامر لغرابة، قائد سكيكدة، قائد اولاد عبد النور الذي يشرف على 31 قبيلة[6]... وتختلف أهميتهم باختلاف أهمية الجهات التي يشرفون عليها و بهذا فأن موظفي بايلك الشرق من أهمهم: قياد الحراكتة والنمامشة والحنانشة**

ولم يكن تأثير بايات قسنطينة يميل إلى تلك القيادات الكبرى، لذا كان هؤلاء البايات يتركون حرية التصرف لرؤساء الأهالي خاصة منهم المخلصين[7].

2. الحكام: لهم مهام مشابهة لمهام القياد لكنهم يشرفون على النشاط التجاري ومراقبة الاسواق. يساعدهم في مهامهم مجموعة من الموظفين.

---

[1] جهيدة بوعزيز: المرجع السابق، ص 44.

[2] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 18.

[3] رياض بولحبال: المرجع السابق، ص 24.

[4] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 30.

[5] رياض بولحبال: المرجع السابق، ص 24.

[6] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 30.

**كان هناك صراع جد قوي بين قبائل لحنانشة والنمامشة والحراكة وكانت ثوراتهم لا يكاد ينطفئ لهيبها. لمزيد من المعلومات، انظر: صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 29.

[7] صالح فركوس: المرجع نفسه، ص 29.

3 الشيوخ: كانت سلطة الشيوخ ادارية وعسكرية في آن واحد، كما كانت في غالب الأحيان وراثية، ولم يكن تأثير بايات قسنطينة إليها خاصة المخلصين [1]،ويذهب ابن العطار إلى القول "ان الباي اتته خلفة الولاية من الجزائر يلبسها هو الأول ثم يبعث بها إلى شيخ العرب وبعده إلى شيخ الحنانشة[2].

وتعيين مشايخ الصحراء كان من اختصاصات باي قسنطينة *، وعندما يقلدهم زمام الأمور (الحكم) يهدي إليهم معطفا مديحا بالخيوط الذهبية، ويضع تحت تصرفه الشيخ الواحد و عشرين خيمة من الجنود الاتراك وأعلاما وموسيقى عسكرية ويكون هذا الشيخ كالملك بالنسبة لسكان الصحراء الذين تبذل جميع الوسائل الممكنة لجلبهم إلى قسنطينة[3] ،ويخضع الشيوخ مباشرة للقياد و يتلقون مادة بجمع الضرائب والسهر على الأمن والاشراف على أمور الأهالي وقد كانوا يشكلون وساطة بين البايلك وسكان الأرياف [4].

ونلاحظ في أواخر العهد العثماني في الجزائر وفي قسنطينة خصوصا ظاهرة استبدال الشيوخ ** إذ أنه تم تنصيب أربعة في ظرف عام وما نتج عن هذا من حروب وصراعات وتمردات[5] .

وكنتيجة لخوف بايات البايلك من التمرد والحروب أولوا عناية خاصة بهم***.

ونذكر من هذه المشيخات: مشيخة أولاد بوعزيز بجهات بلزمة إلى الشرق من بريكة، ومشيخة أولاد بوضياف بالأوراس، ومشيخة ابن قانة بالزيبان ومشيخة قصر الطير بالهضاب العليا الغربية...الخ[6].

وكذا شيخ الحنانشة الذي يشرف على 12 قبيلة، وشيخ العرب بالزاب الذي يشرف على 11 قبيلة، وشيخ أولاد مقران بمجانة ويشرف على 13 قبيلة[7].

وما يلاحظ مما سبق ان الشيوخ كانوا في الاغلب دائما من العائلات المتنفذة التي هي متعاونة من البايلك. مما يدفعنا للقول أنها تكاد تكون وراثية.

هذا وقد قسم الريف القسنطيني إداريا إلى 4 أقسام على كل واحد منها حاكم مستقل ويخضع مباشرة للباي:

---

[1] صالح فركوس: الحاج أحمد باي ،المرجع نفسه،ص 29.

[2] جهيدة بوعزيز: المرجع السابق، ص 45.

*قام الحاج أحمد باي عام 1830 بإسناد وظيفة شيخ العرب بالصحراء للسيد بوعزيز بن قانة، هذا الاختيار كانت عواقبه وخيمة على مسرح الأحداث بالمنطقة، لمزيد من المعلومات، انظر: صالح فركوس: الحاج أحمد باي ،المرجع السابق، ص 29.

[3] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تع و تح، محمد العربي الزبيدي، 2005، ص 38.

[4] قشاعي: المرجع السابق، ص 47.

** وقد اضطر البايات على الاعتراف بزعامة شيوخها كمشيخات النمامشة والحنانشة والحراكتة، أولاد بو عزيز، أولاد عبد النور، لأن نفوذ هذه التجمعات كان واسعا في الشرق الجزائري على ثلث البايلك. لمزيد من المعلومات، انظر: سعيدوني ناصر الدين، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 180.

[6] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 24.

***فقد قام الحاج أحمد باي باستدعاء رؤساء القبائل، واجتمع بهم بالجامع الكبير بقسنطينة بحضور شيخ الإسلام، فقام بتعيين شيوخ حيث عاهدوه على استمرارهم في اخلاصهم والمحافظة على الامن والاستقرار داخل البايلك، وعندما رجعوا شكروه على حسن الضيافة التي حضهم بها والهدايا التي قدمها لهم. لمزيد من المعلومات، انظر: صالح فركوس: الحاج احمد باي، المرجع السابق، ص 28.

[6] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 46.

[7] العنتري: المصدر السابق، ص 30.



1 القسم الشرقي [1]: ويضم هذا الإقليم مناطق الحنانشة، فأسرة أحرار الحنانشة مع حكام الحدود الشرقية للبايلك[2].

ولشيخ الحنانشة مكانة مرموقة تضاهي مكانة الباي، اذ كان يحظى بامتيازات مثل ارتداء قفطان الباي واستعمال الختم الذهبي بجانب ما كان له من حرية في جباية الضرائب والتصرف بها دون مراقب، مع حرية الاشراف الإداري وقت السلم و وقت الحرب وكانت لهذا الشيخ قوة عسكرية، تسمى: المرزاقية[3].

2 القسم الغربي: وقد سيطرت أسرة المقراني في بداية الحكم العثماني على غرب البايلك من جبال البابور شمالا حتى الزاب جنوبا وبذلك اقتسمت زعامة ارياف البايلك مع كل من اسرة بو عكاز بالجنوب وأسرة الحنانشة في الشرق[4].

3 القسم الشمالي: كانت قبائل فرجيوة من القبائل التي يحسب لها ألف حساب في المنطقة، يدير شؤونها ويجمع أرزاقها بو عكاز بن عاشور ذات الأصل المكوي، وقد برزت في سنة 1562، فكانت فرجيوة * دوما لا تعترف بسلطة البايات وترفض تماما الغرامة[5].

4 القسم الجنوبي: لقد سيطرت على هذه المنطقة أسرة بو عكاز الذواودة حيث تحالفت معها أسرة بن جلاب التي توسع نفوذها بفضل هذا التحالف إلى أن شمل معظم المناطق الصحراوية من تقرت و تامسين حتى وادي سوف إلا أن تقلص نفوذ أسرة بني جلاب تدريجيا نتيجة الصراعات الداخلية التي انحصرت في مدينة تقرت وذلك في نهاية العهد العثماني[6].

وقد كان بجنوب قسنطينة الصحراوي صراع بين الاسر وبين القبائل حيث كانت الاسر الثلاث: ابن قانة، وبو عكاز وبنو جلاب تتقاسم النفوذ في المنطقة الجنوبية إذ كانت أسرة ابن قانة ضد كل من أسرة بو عكاز في الزيبان وأسرة بني جلاب في توقرت[7].

وفي حين كانت قبائل هذه المنطقة الصحراوية مثل: البوازيد في صراع ضد أولاد بابل[8].

وتعتبر اسرة بن قانة أسرة إدارية بالدرجة الأولى، حيث تقلدت العديد من المناصب الإدارية في ظل الحكم العثماني فحكمت المدن الصحراوية باسم العثمانيين وخلال ما سجل من تاريخها القصير يمكن تأكيد هذه الصفة اذ أن سيطرة

---

[1] العنتري: المصدر نفسه، ص 29.

[2] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 18.

[3] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 24.

[4] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 39.

*تميزت البنية الاجتماعية في ريف ،قسنطينة، فرجيوة حتى الفترة المتأخرة من الوجود العثماني بتنظيمها القبلي نج خمسة قبائل (زواغة، أولاد كباب، فرجيوة بني مروان، أولاد بو صلاح). لمزيد من المعلومات، انظر: حياة بو دوية: المرجع السابق، ص 35.

[6] المرجع نفسه: ص 39.

[6] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 51.

[7] عميراوي أحميدة: المرجع اسابق، ص 24.

[8] المرجع نفسه: ص 24.

شيوخها بدعم من بايات قسنطينة على إدارة جنوب البايلك فعين من بينهم حكام على بسكرة وتوقرت والحضنة ، ظلت هذه الاسرة تحافظ على مكانتها الإدارية والعسكرية وعلى امتيازاتها حتى الاحتلال الفرنسي [1] .

[1] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 70.

المبحث الثاني: توزيع السكان ببايلك الشرق

يعد بايلك الشرق من أكبر البايلكات في الجزائر العثمانية، حيث تميز بكثافة سكانية عالية مع العلم أنه بانعدام التقديرات المبنية على الطرق الإحصائية وإهمال سلطات البايلك لكل إحصاء كل ذلك ينقص من قيمة أي تقدير بحيث لا تتجاوز الفائدة من إعطاء فكرة عامة ونظرة شاملة على عدد السكان مع العلم أنه اختلفت وتباينت آراء المؤرخين حول عدد سكان البايلك. سنحاول من خلال هذا المبحث دراستها.

1 -عدد السكان حسب المؤرخين:

فيما يخص سكان الشرق الجزائري يمكن القول أن الدراسات التاريخية التي تحدثت عن سكان الإقليم قليلة إلا أن فيها مبالغة حيث ذهب Depellissier إلى القول أن عدد سكان الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني بلغ المليون ونصف المليون نسمة، في حين قال حسونة الدعيس: أن عدد سكان الشرق الجزائري بلغ مليون وثمانمائة ألف نسمة[1] في حين ذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن أغلب الاحصائيات وجل التقديرات ذهبت إلى أن عدد سكان الناحية الشرقية من إيالة الجزائر كان يقدر بما بين 1800 و30000 نسمة[2].

وعلى خلاف حمدان خوجة الذي قال إن سكان الجزائر كلها بلغ عشرة ملايين نسمة[3] وذكر المؤرخ الفرنسي نوشي Nouschi أن عدد سكان البايلك تصل إلى 866495 نسمة[4].

لذا عندما نقارن بين الكثافة السكانية بالجزائر ككل و بايلك الشرق نجد أنها متقاربة جدا مما يؤكد على المبالغة في الأرقام عند المؤرخ الفرنسي.

أما المؤرخ الفرنسي Vayssetes فقد ذكر أن بايلك الشرق كان يضم 5/2 من سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني وقدرهم بـ: 1.200.00 نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين نسمة[5].

وقد ذكر ناصر الدين سعيدوني في دراساته بعض الاحصائيات التي تبين عدد سكان بعض المدن الشرقية:

- عنابة: ذكر أن عدد سكانها يتراوح بين 2000 و4000 نسمة.
- جيجل: عدد السكان يتراوح بين 700 و3000 نسمة.
- بجاية: و قد كان في أواخر العهد الحفصي وقبل الغزو الاسباني المدمر لها يناهز 18000 نسمة حسب تقدير بيري، وبعدها أصبح 500 نسمة[6].

[1] بوضرساية بو عزة: المرجع السابق، ص 24.

[2] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 20.

[3] ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 134.

[4] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 300.

[5] قشاعي: المرجع السابق، ص 24.

[6] ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 134-135.

- وقد قدر القنصل الأمريكي "شارل" عندما ذكر سكان الجزائر كلها قال أن نصفهم كانوا في إقليم قسنطينة وحدها.[1]

أما القل فقد كان عدد السكان يتراوح ما بين 1000 و12000 نسمة ،وتبسة، بسكرة، زمورة، ميلة، سطيف، لا يتجاوز عدد سكانها الألفي نسمة[2].

أما بانانتي الإيطالي، فقد قدر سكان الجزائر بمائة وعشرين ألف نسمة فقد ذكر بأن سكان إقليم قسنطينة مائة ألف نسمة[3].

وقد توصل التميمي ببحثه إلى نتيجة هامة ونراها مطابقة للواقع آنذاك، وهي أن عدد سكان الشرق الجزائري كان حوالي مليون ومائة وواحد وثلاثين ألف نسمة، وهو العدد الموزع على سكان الريف والمدينة معا وكانت كبيرات المدن لا يسكن في أحدها أكثر من 45 ألف نسمة[4]، أما بالنسبة لأعداد الفئات قسنطينية فيذكر البعض أن تواجد الكراغلة ظاهرة شائعة في العهد العثماني حتى خارج العواصم الكبرى وقد استطاعت العائلات التركية والكرغلية أن تكون حوالي 5025 عائلة بقسنطينة[5]، أما المحليون أو الحضر فقد كانوا هناك حوالي 3500منزل وأغلبهم يمارسون التجارة[6].
وقد عرف بايلك الشرق الجزائري قحط شديد كانت نتائجه وخيمة جدا على الديموغرافيا والاقتصاد والمجتمع على حد السواء[7].

فعند دراستنا لعدد السكان لا يمكننا أبدا اغفال الظروف المعيشية السائدة في الشرق الجزائري وهي من أهم العوامل المتحكمة في الكثافة السكانية.

فيذكر مؤرخ قسنطينة أن وباء سنة 1793 امتد إلى جهات مقاطعة قسنطينة وقد كتب السيد كيبار مندوب الشركة الملكية الافريقية في عنابة في ذلك الحين أن حوالي مائة شخص كانت تموت في عاصمة الشرق الجزائري[8]، بالإضافة إلى وباء سنة 1816 الذي أحدث تغييرا بارزا في عدد سكان الشرق الجزائري، حيث يذكر مؤرخ قسنطيني أنه دام أربع سنوات وهناك من يجعلها ست سنوات، و قد انتشر هذا الوباء بسبب التنقلات.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10-14هـ/16-20م، ج2، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 171.
[2] ناصر الدين سعيدوني: دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 135.
[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 171.
[4] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 20.
[5] رياض بو لحبال: المرجع السابق، ص32.
[6] حسن بوخلوة: عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988هـ-1073هـ/1580-1663م)، جامعة وهران،2008-2009، ص 24.
[7] صالح العنتري: المصدر السابق، ص 27.
[8] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 51.

وقد جاء عن محمد العربي الزبيري أن مندوب الوكالة الفرنسية في القالة كتب سنة 1795 أنه قبل 12 سنة كان يسكن نواحي القالة 10 آلاف نسمة واليوم لم يبق فيها إلا حوالي 1000 أسرة[1]،كما أن باتانتي الإيطالي قدر سكان قسنطينة بمائة ألف نسمة وقال الكاتب الفرنسي ديفونتين عن قسنطينة في القرن 18 للميلاد بأنها آهلة بالسكان وأنها أكبر وأجمل من مدينة الجزائر وحسب رواية بوجول فإن عدد سكان قسنطينة قد بلغ قبيل الاستلاء على المدينة حوالي 20 ألف نسمة[2].

وفي رأي Nouschi يكون عدد سكان المدينة لا يتعدى نسبة ما بين 10% و20%، وكان رأيه مبنيا على رأي أحد المعاصرين لأواخر العهد العثماني، في الوقت الذي ذهب فيه سعيدوني إلى القول أنه لم يتجاوز سكان المدن والحواضر (في الجزائر عامة) في أنسب الأحوال[3] 6%، في حين نجد أن القنصل الأمريكي أقر بأن نصف سكان الجزائر كانوا في إقليم قسنطينة وحده وقد قدر ذلك بخمسة وعشرين ألف نسمة[4].

ونجد أن العنتري يرجع سبب التناقض في عدد السكان إلى الأوضاع السياسية المزرية وحساسية البايات القاتلة المتمثلة في الاجحاف الضريبي* الذي كان يعيشه سكان البايلك[5].

وقد كانت الأوبئة في مدينة قسنطينة تحصد يوميا الأرواح حوالي الثلاثين من الأشخاص، كما أنه جعل سكان بجاية يهربون إلى قمم الجبال[6].

وقد ذهب الكثير من المؤرخين أن الصراع والامراض التي استفحلت ببايلك الشرق في هذه المرحلة قد عطل السير العادي للنمو الديموغرافي وأحدث انتكاسة ديموغرافية المرجال[7].

ورغم المجهودات المبذولة من قبل السلطات المحلية فإن الوباء لم ينقطع حتى بلغ أوجه سنة 1794 للميلاد، وفي هذا الصدد توجد في محفوظات الوكالة الافريقية الرسالة الموجهة للقنصل الفرنسي فاليار Vallier يقول فيها صاحبها: "إن الطاعون مازال يقتل ما بين خمسين ومائة وخمسين شخصا يوميا في قسنطينة، ولا نعرف مدى الخسائر التي يحدثها في النواحي الأخرى من المقاطعة" كما ذهب العنتري في كتابه "مجاعات قسنطينة" أن بايلك الشرق الجزائري عرف

---

1 محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه، ص 24.

2 مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عبيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 219.

3 عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 21.

4 شارل وظهام: المصدر السابق، ص 36.

*ظروف البايلك أواخر العهد العثماني جعلت السلطة تتوجه بأنظارها نحو الداخل مجبرة سكان الأرياف على دفع أنواع عديدة من الضرائب الشرعية منها والمستحدثة التي استحدثتها البايلك بغض النظر عن الأحوال المعيشية التي يعيشها السكان والتي زادت سوءا مع اتساع سلطة البايلك. لمزيد من المعلومات، انظر: جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 52-53.

5 محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 24.

6 المرجع نفسه: ص 51.

7 جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 125.

قحط وجفاف كانت نتائجه وخيمة جدا على الديموغرافيا والاقتصاد والمجتمع على حد السواء [1]، فقد ارتفعت نسبة الوفيات إلى درجة غير معقولة خاصة في أواخر العهد العثماني.

وكنتيجة لهذه الأمراض* المنتشرة في البايلك في الفترات الأخيرة من العهد العثماني، من الصعب جدا أن يقوم الانسان بإحصاء مضبوط لعدد السكان خاصة في فترة الدراسة التي وصفها الزبيري بأنها فترة خوف وفوضى [2].

2- توزيع السكان حسب القبائل والاسر والاعراش:

عند دراسة المجتمع في بايلك الشرق نجد أنهم ينسبون أنفسهم للقبائل التي ينتمون إليها مثل الدراجي لأولاد دراج، البدري لبني بدر، الخطابي لبني الخطاب، الحناشي إلى الحنانشة، الحركاتي إلى الحراكتة، العبد النوري لأولاد عبد النور...

وهذه القبائل** التي ذكرناها هي الأكثر كثافة وشهرة في البايلك [3]،فقد كانت القبائل وفروعها تشكل معظم سكان الشرق الجزائري، وقد وصل عدد الفروع بهذا القطاع حسب بعض المصادر إلى 250 قبيلة أو عشيرة يتوطنون كلهم في الجبال والسهول وهم الأكثر قوة بفعل حصانتهم بالجبال الوعرة المسالك و متهاتهم في الحروب [4]، فقد انقسم الريف في في البايلك الشرقي إلى مجموعات عشائرية وقبائل عرفت بهذا الاسم تخضع لشيوخ وتوزع كل قبيلة إلى عدة دواوير تضم عائلات عديدة.

ومن تلك القبائل نذكر القبائل المستقلة*** وهي تعد أكبر مجموعة سكاني، وقد كان أغلبها مؤلفا من القبائل التي تعيش في المناطق الجبلية الحصينة: كالبابور وشمال قسنطينة والأوراس وتخوم الصحراء وغيرها [5]،ونذكر على سبيل قبيلة النمامشة [6].

ونذكر أيضا قبائل الرعية [7] ،التي تتكون من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة للبايلك والتي تتمركز في عين مليلة، ميلة، سطيف، واد الزناتي، المسيلة، العلمة، عنابة، سكيكدة، إضافة إلى قبائل عامر الشراقة وعامر الغرابة وأولاد علي والعشايش العطاطفة وأهل وادي الذهب وغيرهم****.

---

[1] صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بو نار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 27.

*انتشار الامراض والمجاعات تسببت في هلاك عدد كبير من السكان مما أدى إلى نقص اليد العاملة. لمزيد من المعلومات، انظر: حهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص112.

[2] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 54.

**كانت تتحمل الأعباء الضريبية الثقيلة، أرغمت على بيع محاصيلها الزراعيق بأسعار زهيدة. لمزيد من المعلومات، انظر : حهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 28.

[3] قشي فاطمة الزهراء: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 191.

[4] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 21.

***تعد اكبر مجموعة سكانية و يرجع هذا الى صعوبة مواطنها و عزلتها الطبيعية، و بعدها من مراكز السلطة و مواطن قبائل المخزن، بمزيد من المعلومات انظر: حهيدة بوعزيز: المرجع السابق، ص 29.

[5] المرجع نفسه : ص28.

[6] معاشي: المرجع السابق، ص19.

****كان لهذه الأسر مكانة سياسية وعسكرية واقتصادية.

[7] المرجع نفسه: ص 19.

بالإضافة إلى أن البايلك ضم العديد من العائلات التي لها نفوذ كبير خاصة في الارياف [1]، نذكر منها: اسرة المقراني التي كانت تستقر بضواحي مجانية التي تمتد مساحتها ما بين قيادة فرجيوة بالشرق وقيادة شيخ العرب بالجنوب.
فقد سكنت أسرة أولاد المقراني * بالحدود الغربية للبايلك منهم من تفرقوا في شرق الجزائر وسكنوا فيه، ومنهم من استقر بمنطقة القبائل يدعون أولاد عيسى و اخرى بجبل ونوغة و منهم اولاد احمد بن مقران، اما اولاد عنان وفرقة أخرى استقرت بجبل باتنة[2].

بالإضافة إلى أسرة بو عكاز التي سنتحدث عن تفاصيلها في المبحث القادم من هذه الدراسة إلى جانب أشهر الأسر الأخرى التي سكنت البايلك، كانت أسرة بو عكاز تحتل منطقة كبيرة من بلاد القبائل الصغرى التي تتميز بتضاريسها الوعرة وأشجارها الملتفة، كما شمل هذه القيادة داخل حوزتها قيادة فرجيوة، البابور، التي تتمركز بها قبائل هامة[3].
هامة[3].

أما عن أسرة أولاد احرار الحنانشة فقد وصل امتدادها إلى الحدود الشرقية للبايلك حتى إلى تبسة وشرق الأوراس، وحتى الزاب جنوبا، وإلى القالة وعنابة شمالا وحتى شرق قسنطينة وابن الناظور و مهونة و البايل من احواز قالمة، و سوق اهراس و تبسة الاوراس الشرقي، وحتى ما وراء الحدود التونسية[4].

ونلاحظ من تعدد العقود المسجلة باسم افراد اسرة شيوخ الحنانشة بمحكمة قسنطينة وخاصة من الفرع الموالي الحاج أحمد باي، حيث كان استقرار هؤلاء بقسنطينة شبه نهائي فقد كانت قبيلة الحنانشة المسيطرة على الحدود الشرقية للبايلك[5].

وكان شيخ الاسرة يعسكر بزمالته** في الصيف بجبل مسيلة أو بجبل حناش قلعة سنان وفي الشتاء ينتقل مع اتباعه إلى الجنوب أو يضرب خيامه على ضفاف وادي مجردة حيث يقضي كامل الشتاء[6].
أما أسرة ابن قانة فقد كانت تمتد من مناطق قبيلة النمامشة الغرابة، الرحالة، الشرق، منطقة الحضنة[7].

---

[1] صالح فركوس: الحاج أحمد باي ،المرجع السابق، ص 25.

* المقراني: صفة مشتقة من كلمة "أمقران" البربرية وتعني الكبير ويراد بها كبير العائلة أو كبير القوم أي القائد أو الرئيس. لمزيد من المعلومات، انظر: معاشي: المرجع السابق، ص 41.

[2] المرجع نفسه:ص 40.

[3] صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 25.

[4] معاشي: المرجع السابق، ص 34.

[5] جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة دكتوراه، اشراف كمال فيلالي، جامعة قسنطينة، 2007-2008، ص 120.

**زمالته، تعني: فرقته العسكرية.

[6] جميلة معاشي: الاسرة المحلية الحاكمة في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 37.

[7] صالح فركوس: الحاج احمد باي ، المرجع السابق، ص 25.

أما عن أسرة الفكو ن* فهي تعتبر من العائلات العريقة بقسنطينة أصلها من بلدة فكونة جبل الاوراس نذكر من أهم أفرادها: عبد الرحمان الذي استقر بفكونة، ومحي الدين الذي استقر بعين الصفراء، ويقال أن البيض سيدي الشيخ سميت عليه.

أما محمد فقد استقر بقسنطينة [1]، أما عن أسرة بني جلاب فقد استقروا بمناطق جنوب البايلك بالمناطق الصحراوية من توقرت وتامسين حتى وادي سوف فقد سيطرت أو بالأحرى حكمت أرياف جنوب البايلك الشرقي[2].

أما ناحية باتنة فقد نظمت القبائل الآتية السالمية، البوازيد أولاد سيدي سليمان أولاد زيد.

وقد سكن المنطقة المطلة على السهول والامراض الجنوبية حوالي 76 عرش، نذكر منهم: بني ميمون، بني فوغال، بني توقرت، وكذا أولاد عسكر، أولاد عطية [3]،ومن الاعراش أيضا التي سكنت المنطقة فرجيوة التي لها عدة فروع وتمتاز منطقة فرجيوة ببنية مجتمعها القبلي فهي تضم خمس قبائل كبرى من بين 12 قبيلة مستقرة في جهة ميلة، هذا ما أسهم في اتساع ملكية العرش خلال الفترة العثمانية[4].

من الملاحظ من خلال الدراسة أن القوائم المتعلقة بتوزيع القبائل الذين يقطنون بالإقليم الشرقي تطول ولا يسعنا إحصائها وعرض توزيعها كلها فهي قبائل عديدة متفرعة متشبعة هذا الأمر يسوق إلى نتيجة مفادها أن شساعة البايلك تبين لنا أن الإطار الجغرافي الذي كان يمارس فيه بايات قسنطينة سياستهم الداخلية لم يكن بالأمر السهل من حيث إدارة البايلك والقبائل أو اخضاعها لحكمه [5]، لذا فيصعب علينا تحديد استقرار كل قبيلة خاصة مع الصراعات الشائكة بين القبائل حول تملك الأراضي إلى جانب تشبعها وتداخلها وتفرعها.

3. النزوح الريفي الى المدن:

عند دراستنا لهذه الفترة أي أواخر العهد العثماني لا بد لنا أن نتطرق لظاهرة النزوح الريفي التي شهدها المجتمع القسنطيني، ويلاحظ أن عاصمة بايلك الشرق كانت نشطة الحركة تدب فيها الحياة يهاجر لها مختلف السكان من الغرابة، ووادي سوف ووادي ميزان من القبائل والشاوية أي من البدو بصفة عامة[6].

وقد صنفت الشريحة الآتية من الأرياف تحت اسم "فئة البرانية" التي تدل على الافراد المقيمين بالمدينة دون أن يكونوا حضريين، وقد فرض عليه الوضع الاجتماعي ونوعية النشاط الاقتصادي في المدن أن تنظم حسب أصولها الجهوية

---

*اسرة الفكون أول أسرة رحبت بالحكم العثماني وبقيت وفية له حتى نهايته، فقد أشار صالح العنتري إلى أن الشيخ الفكون هو الذي أقنع أعيان البلد بتسليم المدينة للعثمانيين باعتبارهم ممثلي خليفة المسلمين. لمزيد من المعلومات، انظر : صالح العنتري: فريدة منسية، المصدر السابق، ص 29.

[1] حسين بوخلوة: المرجع السابق، ص 61.

[2] جميلة معاشي: الاسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق، المرجع السابق، ص 51.

[3] علي خنوف: السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري، الميزان للنشر والطباعة، الجزائر، ص 38.

[4] حياة بو دويرة: المرجع السابق، ص 27.

[5] صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 26.

[6] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 229.

ومواطنها الأولى، مثل جماعة البساكرة ويقصد بهم كل من أهالي مناطق الزيبان ووادي ريغ وسوف وتوقرت، وجماعة جيجل وبني مزاب والقبائل وغيرهما من الجماعات الاخرى[1].

والواقع أننا لا نملك أي وثيقة رسمية تدل على عدد الجماعات التي لجأت إلى المدينة في هذه المرحلة لكن هناك ما يشير إلى عدد البرانية في مدينة قسنطينة وصل إلى 5000 فرد نهاية الفترة العثمانية[2].

ونرى في المقابل أن بعض الباحثين المختصين بدراسة المدينة والمجتمع القسنطيني قد ذهلوا لنتائج الجرد التي توصلوا إليها، وذلك لكثافة الانتماء القبلي عند سكان المدينة والنازحين إليها، والذي يؤكد على حركية القبائل وعدم استقرارها ومدى جاذبية مدينة قسنطينة لها[3]، ومن جهة أخرى يذكر لنا الشاعر "بلقاسم الرحموني" ما يوحي بالعدد الهائل من هذه الجماعات التي حلت بمدينة قسنطينة بعد سنة 1802 م قائلا:

من كثير العبد ان خلت ... رغمـــــا عمـــرت

كل جنس جاها يتهــدا

بالقبايل راها تحاشات ... والشوية كلتهـــم جات[4]

والسوافة ذوك الازفـــــات ... حتى مزيتـــــــة زادوا

مغاربة وشـــراقة حفـــلات ... جايين ليـــها بالكـثرات

فازعين ليها الكل بـــاثبات ... مثل هيـــــس اجرادوا

بني مزاب اقوات بسلـعات ... الخومس عرات الامــات

ومن هذا نستطيع رصد الجماعات التي نزحت إلى المدينة وهي: القبائل والشاوية والسوافة ومزيتة والمغاربة والشراقة وبني مزاب وهذا دليل واضح على كثافة نسبة البرانية في مدينة قسنطينة. فضلا عن الذين اختاروا الهجرة إلى المدن الكبرى بالجزائر أو تونس وهو الدليل على ذلك النزوح القسري لسكان الأرياف من جراء الصراع، حتى وان كانوا يعيشون في فقر ويسكنون الأكواخ على أطراف المدينة، وبعضهم يقضي الليل على الأبواب والاحياء أو خارج أسوار المدينة[5].

وإن كان العديد من الفلاحين قد هجروا أراضيهم والتحقوا إلى الجبال أو إلى المدن لتعاطي مهن أقوى فقد إنظم عدد كبير منهم إلى نظام "الخماسة" الذي ميزه ضيق الحال بالنسبة للمزارع الذي لا يحتاج عادة سوى لكوخ في مزرعة البايلك

---

[1] جميلة معاشي: الانكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 119.

[2] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 119.

[3] قشي: المرجع السابق، ص 191.

[4] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 119-120.

[5] المرجع نفسه: ص 120.

أو المالك، حيث تعطى له بقرة أو بقرتين حسب الانفاق يعتني بها مقابل انتفاعه بأرطال من الزبدة ويتقاضى الفلاح خمس المحصول[1].

هذا ما يوضح الوضع المزري للفلاح في هذا الحال حيث يتقاضى خمس المحصول بعد أن تخصم منه الديون المترتبة عليه[2].

بالإضافة إلى أن النازحين لم يستطيعوا تحسين حالهم حيث أن المهن التي كانوا يشغلونها سكان الريف مهن متواضعة جدا، بل وأعمال شاقة في الكثير من الأحيان كالأعمال التي كان يشغلها البساكرة من إحضار المياه للمنازل وتنظيف القنوات والمجاري من الاوساخ والقيام بالحراسة في الليل وحمل السلاح والبضائع. أما جماعة القبائل فقد اشتغلوا بالمهن اليدوية والاعمال الزراعية والحراسة الليلية، وبناء السفن والمنازل، كما عملوا في الرعي والحرث والخدمة والحجامة وقد كان بعض النازحين يشتغلون في خدمة القناصل الأوروبية بأجور قليلة[3].

وكما ذهب أغلب المؤرخين إلى أن النازحين إلى المدينة سواء إذا كانوا من المصنفين ضمن الهاربين من المجاعات، فكما نعرف أن وضع السكان في هذه الفترة لم يكن بأفضل حال من جراء الامراض التي سنتحدث عنها بالتفصيل في المباحث القادمة من الدراسة[4].

ولم تقتصر الهجرة الريفية على الفلاحين الفقراء والهاربين من الصراع واصدائه فقط بل شملت أيضا العائلات الكبرى وقبائل المخزن ممن تكونت لديهم ثورة هائلة نتيجة الامتيازات المتوالية لاستمالتهم فأصبحوا بذلك من كبار الملاك وهذا ما سمح لبعضهم بتحول نمط معيشتهم ودفع بهم إلى حياة أفضل بالمدينة [5]، وفي المقابل كان سكان الجنوب الشرقي الذين يوصفون بالبداوة ويعتمدون على نشاطين أساسيين هما الزراعة وتربية المواشي وهذا ما يفسر الصراعات وكثرة الحروب بين السكان حول موطن الكلأ والزراعة.

مما أدى فيما بعد إلى نتائج وخيمة على البايلك[6]، خاصة إذا نظرنا إلى الخسائر البشرية للريف. أثر هذه الظاهرة حيث حيث أن معظم النازحين إلى المدينة هم صغار السن وهو ما يؤدي إلى فقدان الريف لشبابه الأكثر قدرة على تحمل العمل الزراعي المرهق، وبالتالي تزداد مشاكل المجتمع الريفي تعقيدا عندما يصاب الإنتاج الزراعي بالركود نتيجة لقلة من يتولى الزراعة[7].

---

[1] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 58.

[2] المرجع نفسه: ص 58.

[3] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 120.

[4] معاشي: الاسر المحلية الحاكمة، المرجع السابق، ص 282.

[5] المرجع نفسه : ص 282.

[6] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 23.

[7] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 122.

المبحث الثالث: الطوائف الاجتماعية ببايلك الشرق

لقد تميز المجتمع ببايلك الشرق بانقسامه إلى عدة طبقات فاتخذ شكل الهرم الاجتماعي يأتي في قمته طبقة الاتراك ثم تليها الطبقات الأخرى هذا بالنسبة إلى سكان المدينة في البايلك فقد صنفناه في هذه الدراسة حسب الأصل والمكانة في الفئة التي ينتمون إليها، أما بالنسبة للفئة الاجتماعية بالريف والبوادي فقد صنفناه حسب علاقتها بالإدارة المركزية.

1-البنية الاجتماعية في المدينة:

1-1-طائفة الاتراك: وهم العنصر الحاكم للبلاد، فهم أفراد القوات العثمانية الذين سيطروا على مدينة قسنطينة ثم استقروا بها كموظفين اداريين أو حاميات عسكرية [1]، فنجد أن معظم البايات كانوا من الاتراك فهي الفئة المسيطرة رغم كونها الاقلية* وقد استقر الاتراك منذ مجيئهم إلى الجزائر في المدن أكثر من الارياف [2]، وربما كان الدافع من وراء هذا هو رغبة الجماعة التركية في إبقاء هيمنتها على المناصب الإدارية الحكومية[3].

والواضح أن أتراك قسنطينة، حسب ما جاء في السجلات الشرعية من العناصر الوافدة من مختلف مدن الولايات العثمانية بأوروبا وآسيا حيث لاحظنا نسبة كبيرة من أصحاب العقود من الإنكشارية يشار إلى موطنهم الأصلي ويأتي في مقدمة هؤلاء المنتسبون إلى مختلف المدن التركية[4].

ويوضح الجدول رقم(1) أهم العائلات التركية البارزة في الوثائق:

الترتيب	النسب العائلي	الرجال	النساء
01	كالغلات	02	00
02	العلج	02	00
03	التركي	02	01
04	ابن سماني	02	00
05	ابن القجّ	04	04

عائلات تركية النسب فيما بين 202هـ-208هـ/1787م-1795م[5].

وقد أشارت الأستاذة قشي إلى أن حضور الطائفة التركية كان باهتا إذا ما انطلقنا من سجلات الزواج لأن نسبتهم قليلة ولكن مكانتهم تبدو أوضح من خلال وثائق الأوقاف وعقود الملكية التي تورد أسماء الملاك أو الموظفين[6].

---

[1] معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 193.

*عدي فرحات باي الذي كان من العرب وابنه محمد وبعض الكراغلة مثل أحمد باي. لمزيد من المعلومات، انظر: حسن بحلوة، المرجع السابق، ص 30.

[2] جميلة معاشي: الانكشارية و المجتمع، المرجع السابق، ص 193.

[3] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 44.

[4] جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 193.

[5] قشي: المرجع السابق، ص 207.

[6] المرجع نفسه، ص 205.



وما يجب أن نشير له عند الحديث عن هذه الطائفة أن أصغر الاتراك شئنا يرفض باحتقار أية فكرة للمساواة بينه وبين الأهالي، خاصة إذا نظرنا إلى الفكرة المشبع بها العقل التركي: "**أن التركي ولد ليحكم ويتولى القيادة والأهلي ليخضع**"[1]. وقد نتج عن هذه العلاقة السيئة إبقاء الأهالي بعيدين عن أي مساهمة جدية في أمور الدولة والحيلولة دون ادماج الاتراك بالأوساط المحلية[2].

1-2- طائفة الكراغلة:

وهي الفئة التي سماها الأوروبيون الكولوغبيين وهم نتاج أب تركي وأم من السكان الأصلين[3] أي الحضر، وسنتحدث عن هذه الطبقة بالتفصيل لاحقا، حيث تزوج الكثير من بنات الاسر البلدية من الموظفين الساميين الأتراك[4] وقد ظهر الكراغلة الكراغلة لأول مرة في المناطق التي بها حاميات، نذكر منهم: قسنطينة وعنابة...[5].

ويعتبر الكرغلي كتركي ناقص مثل الحر الثاني عند العرب ويذهب سعيدوني أن هذه الطائفة تشكلت نتيجة المصاهرة بين العبد الإنكشاري وبعض الأسر الجزائرية[6] أما بالنسبة لعدد الكراغلة فإنهم كانوا أقل عدد من الفئات الأخرى[7].

و تعد هذه الفئة طبقة وسيطة بين الاتراك والأهالي ويذكر بعض المؤرخين أن تواجد هذه الفئة كان حتى في خارج العواصم الكبرى[8].

وكان لهذه الفئة نزوات وعقارات واستطاع البعض منها الوصول إلى الحكم مثل "أحمد باي" آخر بايات بايلك الشرق وهو ابن احدى بنات أسرة محلية صحراوية هي أسرة بن قانة * وقد كانت المناصب الإدارية من أهم الوسائل التي ساعدت الكراغلة في جمع المزيد من الثروات فقد انخرطوا في الاعمال التجارية الكبرى[9].وتعد الحامة وسيلة من أهم المناطق التي عرفت تجمعا هاما للأسر الكرغلية ببايلك الشرق الجزائري، حيث كانت هذه الأسر تملك أراضي واسعة قدرها Warnier بأكثر من ثلث مجموع الممتلكات[10].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 42.

[2] المرجع نفسه: ص 42.

[3] رياض بولحبال: المرجع السابق، ص 32.

[4] جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 193.

[5] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 155.

[6] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص45.

[7] قشي :المدينة و المجتمع ،المرجع السابق، ص 207.

[8] رياض بو لحبال: المرجع نفسه، ص 33.

*كانت أسرة بن قانة آخر من ظهر من الاسر المحلية الحاكمة ببايلك قسنطينة إذ لم تدخل الساحة السياسية إلا في النصف الثاني من القرن 12هـ/18م أي بعد استقرار العثمانيين بالجزائر بحوالي قرنين من الزمن ورغم تأخر ظهورها على مسرح الحياة السياسية بالبايلك إلا أنها لعبت دورا كبيرا في دعم سياسة بايات قسنطينة، حيث كانت سندهم القوي في فرض نفوذهم على الرعية خاصة في نهاية عهدهم بالبايلك. لمزيد من المعلومات، أنظر: معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق،المرجع السابق، ص 65.

[9] رياض بولحبال: المرجع السابق، ص 33.

[10] معاشي: الإنكشارية والمجتمع في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 363.

1-3- طائفة الإنكشارية:*

الإنكشاري هو من ينتمي إلى سلك الأوجاف من الجيش البري للإيالة، يتشكل من فرق تابعة للداي، توجد عناصر منها في البايلك كحامية للمدن تحت تصرف الباي [1]، وقد قدر حمدان خوجة قواة باي قسنطينة ب 100 خيمة وكل خيمة تأوي 30 جندي[2]..

وقد اختلف عدد قوات قسنطينة من فترة إلى أخرى فيقدر Payssonet قواة الباي ب 300 رجل، اذ يقول أن قوات الباي تتكون من 12 خيمة يأوي كل منها 25 رجل معظمهم من الاعلاج، أما التشريفا وهي المصدر الرسمي للإدارة العثمانية فتقدر نوبة قسنطينة لسنة 1215هـ/1820 ب 3 صفرات ضمت كل صفرة 16 إلى 20 رجل، أي 73 رجل[3]، أما شلوصر يقول أن معسكر الحاج أحمد باي كان يضم 120 خيمة تسع كل واحدة منها ل 50 جندي من المشاة[4].

ورغم هذا الاختلاف في عدد هذه الطائفة إلى أننا نستطيع القول إن بايلك الشرق في فترة الدراسة التي هي "فترة الداي حسين" لا بأس به.

نستطيع القول إن هذه الفئة الإنكشارية اندمجوا في المجتمع اندماجا كليا وخلفوا فئة اجتماعية هامة تحدثنا عنها سابقا "الكراغلة" التي ما زالت إلى اليوم تمثل أرقى سكان قسنطينة وهي جزء لصيق بالأسر القسنطينية العريقة بالعلم والجاه[5]، فقد كان هؤلاء الجنود يعملون بالحرف اليدوية قبل انخراطهم في سلك الإنكشارية، وعندما كانوا يرتقون بالمراتب العسكرية يفتخرون بنسبهم ويعتبرون أنفسهم من جنس أشرف من الأهالي كما ذكرت أغلب المصادر[6].

وكما أشرنا سابقا أن الإنكشارية اندمجت في المجتمع القسنطيني بشكل كبير ولعل هذا يعود إلى سبب مهم وهو مصاهرة ،تهم لجمع الطبقات وفئات المجتمع القسنطيني.

ونذكر على سبيل المثال: مصاهرة الإنكشارية لبعض الحرفيين سواء كانوا من الأهالي أو غيرهم... "تزوج الكحل بن بكير الإنكشاري بعايشة بنت البجاقي... في محرم 1254هـ..." طلق محمد بن عبد الله الإنكشاري زوجته الزهراء بنت الحاج محمد كان من جماعة البنائين (شوال 1224هـ)..."[7].

---

*كلمة إنكشارية : هي جمع لكلمة "إنكشاري" وهي عبارة تركية تتكون من كلمتين "يني" وتعني الجديد و"جيري" معناها النظام أي النظام الجديد "يني جيري" "yeni çeri" وهو المصطلح الذي أطلق على نظام الجند الجديد الذي أحدثه السلطان أورخان بتوجيه من أخيه الأكبر. لمزيد من المعلومات، أنظر : معاشي: الإنكشارية والمجتمع في بايلك الشرق: المرجع نفسه، ص 2.

[1] قشي : المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص 204.

[2] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 139.

[3] معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 61.

[4] شلوصر: المصدر السابق، ص 48.

[5] معاشي: الانكشارية و المجتمع، المرجع السابق، ص 365.

[6] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 204.

[7] جميلة معاشي: الإنكشاريةو المجتمع في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 265.

وتدل هذه العقود على زواج الإنكشاريين من أفراد المجتمع القسنطيني وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الاندماج الكلي لهذه الفئة في المجتمع.

1-4-طائفة البلدية (الحضر):

إذا كان المقصود بفئة لا الحضر هم سكان قسنطينة الأوائل أو العائلات العريقة التي كانت ممن اشتهر بالعلم ومنها عائلة الفكون* فهل أوضاع إلا أن مداول ضد الكلمة يبقى غامضا عند ابن الفكون في مؤلفاته [1]، إما المؤرخ ناصر الدين سعيدوني ذهب إلى أنها تعني بعض سكان قسنطينة من مهاجري الأندلس وأطراف بلد المغرب [2]، أما الباحثة معاشي فقد أضافت أن البلدية أو الحضر هم سكان المدينة الأصليون، وتنحدر بلدية قسنطينة من الأصول العربية، الأتراك العثمانيين الذين تزوجوا واستقروا بالمدينة[3]، وكذا نسب إليهم المحليون واليهود الذين اعتنقوا الإسلام وانظموا إلى الإنكشارية الإنكشارية (الاعلاج) وكذا اليهود المحليين[4]، وسنتحدث عن هذه الفئة بوضوح في العناصر القادمة.

وكما عرفنا في المبحث السابق أن قسنطينة معروفة بأنسابها القبلية المتشعبة والمتفرعة وكذا وجود عائلات حضرية عتيقة لها مكانة في المجتمع القسنطيني[5].

لعل من أبرز العائلات المشهورة والعريقة في إقليم قسنطينة إلى جانب عائلة ابن الفكون نجد عائلة بن نعمون وابن جلول...[6].

الجدول رقم(2) يمكننا من معرفة بعض العائلات الحضرية من خلال سجلات الزواج والطلاق[7]:

الترتيب	النسبة	الرجال	النساء	المجموع
01	ابن نعمون	07	00	07
02	ابن جاول	04	00	04
03	ابن العطار	01	00	01
04	ابن زكري	03	01	04
05	ابن الفكون	02	01	03
06	ابن المسبح	02	01	03
07	ابن محجووبة	01	01	02
08	ابن باديس	01	00	01
09	عبد المؤمن	00	00	00

[1] حسين بخاوة: المرجع السابق، ص 28.

[2] ناصر الدين سعيدوني: آراء و أبحاث...، المرجع السابق، ص 328.

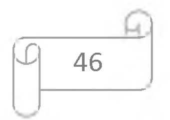
[3] جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 190.

[4] المرجع نفسه: ص 190.

[5] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 210.

[6] سليمان الصيد: نفح الازهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار،ط1، 1994، ص 21.

[7] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 210.



وتوضح الباحثة قشي هذا البعد في مجال الزواج والمصاهرة أنه عند البحث عن العائلات الحضرية في مجالات أخرى أمثال الوظائف والأوقاف والمبادلات المختلفة[1].

وهذا يفسر ما قاله سعيدوني عن العائلات الحضرية أنها كانت تتمتع بالامتيازات والوظائف[2].

مما يجعلنا نستنتج أن الأسر الحضرية العريقة كانت من أغلب المشاركين في الوظائف ويبرز مكانتها الهامة في الإقليم...

فإقليم قسنطينة في العهد العثماني تميز بظهور هذه الطبقة من الحضر منحها الأتراك كثيرا من المناصب الشرفية والوظائف الإدارية والثقافية والتجارية[3]، ولخصها سعيدوني وذكر أهمها: أسرة ابن باديس، أسرة عبد الجليل، أسرة ابن جلول،...وأبرز جلول،...وأبرز الدور الذي لعبته في البايلك[4].

أما فيما يخص مميزاتهم فذكرت الباحثة معاشي في نمط حياتهم اليومية أنهم يتميزون عن غيرهم في الهندام وأصناف الأكل والشكل الداخلي للمنازل وقد أشار "شو" show بنظافة وبذخ بلدية (حضر) من قسنطينة من الأتراك والعرب[5].
والعرب[5].

وعند الحديث عن حضر قسنطينة يجب أن نتحدث عن الحضر العرب، والحضر الأتراك، فالعرب نجدهم من الأشراف وأصحاب المال والعلم من السكان الأصليين والعرب الوافدين من الأندلس[6].

فقد احتكر البلدية العرب عدة وظائف في المدينة منها المناصب الدينية وعلى رأسها مشيخة الإسلام التي توارثها شيوخ أسرة الفكون التي سبق وتحدثنا عليها في المباحث السابقة[7].

أما فيما يخص الحضر الأتراك، فهم من أسر البايات والموظفين الساميين في البايلك ثم رجال المحلة من الإنكشارية لمختلف رتبهم الذين استقروا كما أشرنا في المدن طمعا في الوصول إلى المناصب العليا وجمع المزيد من الثروة[8].

كل جنس جاها يتهدا

بالقبايل راها تحشـــات

والشوية كالتهم جات

والسوافة ذوك الازفات

---

[1] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع نفسه ، ص 280.

[2] ناصر الدين سعيدوني: آراء وأبحاث، المرجع السابق، ص 380.

[3] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 210.

[4] سعيدوني: ابحاث وآراء، المرجع السابق ، ص 380.

[5] معاشي: الإنكشاريةوالمجتمع، المرجع السابق، ص 190.

[6] شاوصر: المصدر السابق، ص 86.

[7] جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 191.

[8] شاوصر: المصدر السابق ، ص 56.

حتى مزيتـه زادوا.. [1]

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن الهجرات في إقليم الشرق من مختلف الأجناس ومختلف الأماكن كما ورد في هذه القصيدة: الشوية والسوافة والمزيته...

فقد ذكر الباحثون أن فئة البرانية تشمل: البسكريون، القبائل والأغواطيون والميزابيون وغيرهم من سكان أطراف المدن[2]،وأما الميزابيون أو بني مزاب فقد عملوا في المطاحن والمخابز وامتلكوا الحمامات العامة ومحلات الجزارة[3].

أما البسكريون، فهم كل من جاء من الصحراء الشرقية سواء كانوا من أهل مزاب فعلا أو من توقرت ووادي سوف وغيرهم[4]، وقد اشتهر البساكرة والجواجلة واختصوا بصنع الخبز للإنكشارية، وكانت لهم مكانة خاصة لدى الحكام العثمانيون[5].

أما بالنسبة لأعداد هذه الفئة فقد أشار المؤرخ سعيدوني إلى أنه في وقت الرخاء الاقتصادي وتوفر العمل وصل عددها إلى 12 ألف نسمة في الجزائر ككل[6].

وفيما يخص بايلك الشرق وهو مكان الدراسة فقد ذهل الباحثون المختصين في دراسة المدينة والمجتمع القسنطيني قد ذهلوا لنتائج الجرد التي وصلوا إليها والذي يؤكد على حركية القبائل وعدم استقرارها في الريف ومدى جاذبية مدينة قسنطينة لها[7].

وقد كانت طبقة البرانية تمثل الطبقة الأكبر عددا بمدينة قسنطينة [8]، فقد أشار الكثير من الباحثين إلى أن عددها وصل إلى 5000 فرد براني في الاقليم[9].

ومن جهة أخرى يذكر لنا الشاعر "بلقاسم الرحموني" ما يوحي بالعدد الهائل من هذه الجماعات التي حلت بمدينة قسنطينة بعد سنة 1802 قائلا[1].

---

[1] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 120.

[2] حسين بخلوة: المرجع السابق، ص 25.

[3] معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص194.

[4] حسين بخلوة: المرجع السابق، ص 25.

[5] معاشي: الانكشارية و المجتمع ، المرجع السابق، ص 194.

[6] سعيدوني: دراسات و ابحاث، المرجع السابق، ص 102.

[7] قشي: المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص 191.

[8] معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 194.

[9] المرجع نفسه: ص 194.

من كثير العبد اندخلت رغــــــــــما عـــمرت

1 5-البرانية:

تشمل طائفة البرانية أناسا غادروا الأرياف بحثا عن العمل في المدن وهم معروفون باسم الجهة أو القبيلة التي جاءوا منها[2]،ويقصد بكلمة برانية، الطائفة التي ينسب أفرادها إلى مواطنهم الاصلية التي قدموا منها قبل أن يستقروا بقسنطينة[3].

وربما يرجع سبب نزوح سكان الأرياف والمدن الصغيرة بالبايلك وذهابهم إلى عاصمته إلى العمل والبحث أو تحسين المستوى المعيشي لأسرهم[4]،وربما تكون ضمن فئة البرانية فئة من الهاربين من المجاعات التي عرفها مكان الدراسة خاصة في فترة الدراسة، حيث وصف لنا العنتري وضعية سكان الأرياف البائسة قائلا "إن الأهالي قد تكلموا عن القمع حال نزول الشر*بهم في شكل شعر ونظم[5]، وربما يرجع سبب نزوح هذه الفئة إلى المدن إلى كثرة الصراعات في الريف القسنطيني بين القبائل والأسر المتنفذة.

وكذا تفاقم نفوذ البايات في الأرياف وما صاحبه من التناقض الديموغرافي لم يعهده المجتمع الريفي في بايلك الشرق من قبل وقد اشتغل أيضا البسكريون في احضار المياه للمنازل وتنظيف القنوات والمجاري من الأوساخ والقيام بالحراسة في الليل وحمل السلع والبضائع[6]، وما يلاحظ من هذا أن الأشغال التي استغلها النازحون أو البرانية في المدن كانت شاقة ومتواضعة جدا.

وكذا نجد القبائل والذين جاءوا من الأغواط والسوافة الذين يقصدون التل لاحتراف بعض الأعمال البسيطة وغير المربحة مثل: البناء والحالة وحفر الآبار والسقاية[7]...

فقد اشتغل البرانية من القبائل في المهن اليدوية والاعمال الزراعية وبناء السفن والمنازل والحراسة الليلية والحجابة[8]...

---

1 جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 120.

2 حسين بخلوة: المرجع السابق، ص 25.

3 سعيدوني: أبحاث وآراء ،المرجع السابق، ص 45.

4 معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 194.

*الشر: هي كلمة عامية يعني بها صالح العنتري نزول المجاعة.

5 صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 43.

6 جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 120.

7 معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 194.

8 جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 120.

كما أضفى سعيدوني إلى أن البرانية من الأعواط اشتهروا بالتنظيف والبساكرة بحمل الأثقال والحراسة والقبائل كما سبق وذكرنا بأعمال البناء وخدمة المنازل[1].

والواضح عند الدراسة لهذه الطائفة أنه من جراء الأوضاع الغير جيدة في الأرياف بالبايلك قرر السكان الهجرة والذهاب إلى المدينة للبحث عن ظروف معيشية أفضل وإن كانت الأسباب تختلف وتتعدد من صراعات قبلية وتقضى في مناصب الشغل، إلى جانب الظروف السيئة في الريف.

1-6-طائفة اليهود:

وقد قدر شلوصر عدد اليهود في قسنطينة سنة 1833م ب: 9 آلاف نسمة، منهم الأغنياء والفقراء، وإن كان معظمهم يسكن بيوتا متواضعة حتى يظهروا بمظهر الفقر فلا تفرض عليهم الضرائب وإن كانت هذه الظاهرة حسب نفس المصدر شائعة بين جميع السكان عربا وأتراكا، اتقاء لنهب الباي لأموالهم [2]، وأما المؤرخ أبو القاسم سعد الله فقد ذكر أن عدد اليهود في قسنطينة خلال القرن 18 قدر ب: 5 آلاف من أصل 60 ألف نسمة[3]، فقد كانت إدارة البايلك تفرض على اليهود ضريبة الجزية والتي قدرت ما بين 25.000 و50.000 فرنك بالنسبة ليهود قسنطينة الذين تمتعوا بحق ممارسة طقوسهم الدينية والتمتع بحماية الدولة مقابل تسديد ضريبة الجزية كل يوم خميس بمعدل قرش واحد على كل فرد يشكل الطائفة اليهودية[4] .

ويعود وجود اليهود في الجزائر ككل وقسنطينة خاصة إلى فترة قديمة منذ الفتح الإسلامي، وتكاثرت أعدادهم شيئا فشيئا[5].

أما فيما يخص حالتهم ومميزاتهم ونشاطهم داخل البايلك فاليهود كونهم فئات أجنبية على المجتمع القسنطيني [6]، عرفوا بمميزات خاصة كالخبث في معاملاتهم والتحايل وبالرغم من ذلك سمح لهم بالعيش وبممارسة النشاط التجاري كما سميت بعض الشوارع بأسمائهم[7].

فقد وجدت حارة سميت "حارة اليهود" بمدينة قسنطينة، ووجود حارة اليهود لا يعني بالضرورة وجود ظاهرة الانغلاق الاجتماعي التي أشارت إليها أغلب المصادر التي اعتمدنا عليها [8]،بل هناك مراجع عدة ذكرت أن تعامل اليهود

---

[1] سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 45.

[2] شلوصر: المصدر السابق، ص 56.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 152.

[4] قشاعي: المرجع السابق، ص 60.

[5] حسين بخلوة: المرجع السابق، ص 26.

[6] سعيدوني: دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 320.

[7] قشي: قسنطينة في عهد صالح باي، المرجع السابق، ص 07.

[8] نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر، 1700-1830، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، دار الشروق للطباعة والنشر والديوان، الجزائر، 2008، ص 128.

كان اجتماعيا مع البلدية العرب المسلمين امرا طبيعيا لا تعيقه الحواجز الدينية، بل يعد اليهود خاصة النساء أقرب إلى البلدية العرب اجتماعيا من البرانية لما كان يجمعهم من عادات وتقاليد ولا يحدث التنافر بين البلدية العرب واليهود إلا إذا تعلق الأمر بأمر ديني، فيصبح المسلم العربي ألذ أعداء اليهودي[1].

وهذا ما يظهر في الحادثة التي ذكر الفكون عن اليهودي المختاري الذي عمل في شرطة الأمير وقد تكلم في حق الرسول ﷺ وحكم عليه بالإعدام، وقد لعب الفكون دورا بارزا في اقراض هذا الحكم[2].

من طرف الأهالي ضد الطائفة اليهودية أهمها: ثورات 1801-1804-1808-1815[3].

التي أدت إلى هجرة العديد من العائلات اليهودية نهائيا من الجزائر، اذ هاجرت ألف عائلة يهودية إلى تونس و200 عائلة أخرى إلى ليفروتا بإيطاليا في 10-07-1808. وهذه الانتفاضات مع أنها تبين الجانب السلبي من حياة الجالية اليهودية بالجزائر إلا أنها في نفس الوقت تعبر بصدق عن بقاء هذه الجالية دخيلة على المجتمع الجزائري المسلم[4].

إلا أنه في المقابل نجد أن اليهود في الإقليم الشرقي يتمتعون بحرية تامة في ممارسة شعائرهم الدينية ويخضعون لقوانينهم الخاصة في الأموال الشخصية برئاسة أمين الطائفة الذي يعينه الباي[5].

كما أن اليهودي له حرية ممارسة أي حرفة في أي مكان مقابل دفع الجزية التي تحدثنا عنها سابقا طبعا [6]، فقد اشتهروا بالنشاط التجاري[7].

1-7-العبيد:

العبد هو الانسان المحروم من الأهلية وهو ملك لغيره يتصرف فيه انسان آخر تصرف ملكه فله كل الحرية في استخدامه في أي عمل يرغب فيه كما يمكنه بيعه أو هبته لمن يريد فهو له كل الحرية في التصرف فيه. والعبيد يتنقلون في المنازل ويقومون بأعمال التنظيف والغسيل، وبعضهم يشتغل في المخابز وأعمال البناء...[8].

ولدى العبيد أمين يعرف بقائد الوصفان[9]، وقد كان بعض تجار العبيد يعلموهم مختلف الفنون والصنائع، وهذا ارفع من من أثمانهم التي تراوحت بين 100 و150 ريال للذكور، أما الأما فقد وصل ثمنهم إلى 250 ريال[10].

وقد أشارت الباحثة جميلة معاشي أنه حسب العقود الشرعية يتراوح سعر الأمة ما بين 100 و150 ريال[1].

---

[1] معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 193.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 152.

[3] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي...، المرجع السابق، ص 134.

[4] المرجع نفسه: ص 134.

[5] معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 193.

[6] المرجع نفسه: ص 193.

[7] رياض بو لحبال: المرجع السابق، ص 33.

[8] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المرجع السابق، ص 48.

[9] المرجع نفسه: ص 134.

[10] ناصر الدين سعيدوني: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 105.

فقد كانت تجارة العبيد مربحة في الجزائر العثمانية، خاصة ببايلك الشرق كما يباع العبيد في أسواق مخصصة لهم تعرف بأسواق النحاسة[2].

حيث لعبت دورا كبيرا في إنعاش الاقتصاد بالمدن الجنوبية للبايلك امثال مدينة توقرت و وزقة، فمدينة توقرت مثلا كانت تستقبل سنويا 500 عبد، من السودان يقدر ثمن الواحد ما بين 150 و250 فرنك وقد يصل سعر العبد. إلى 5000 ريال بوجو (3000 فرنك) عند توفر المواصفات والشروط المطلوبة[3].

أما الرقيق الأبيض فأشير إليه " العلجة" أو "العلج" وقد ذكرت المراجع الفرنسية أن بعض البايات القسنطنية وعلى رأسهم "الحاج أحمد باي" كانوا يمتلكون محظيات تعود أصولهن إلى أوروبا، ثم شراؤهن من بعض أسواق النخاسة وخاصة الإسكندرية وتذكر نفس المراجع أن مبعوثي الداي إلى قسنطينة لتنصيب الباي أحمد المملوك سنة 1233هـ-1818م عادوا إلى مدينة الجزائر محملين بأموال خزينة قسنطينة و17 فتاة من بنات اليهود اهدوهن إلى الداي حسين[4].

وعند التحدث عن هذه الطائفة في إقليم قسنطينة نستطيع القول انها استطاعت تكوين طبقة اجتماعية خاصة بعد مقتل صالح باي 1792م، فقد سجلت سلسلة من عقود الزواج بين معتوقي ومعتوقات صالح باي.

إلى جانب أن العبيد استطاعوا تقلد المناصب في البايلك الشرقي خاصة في فترة الدراسة، فنذكر مثلا في عهد تشاكر باي (1229هـ-1233) (1814م-1818) كان قائد الدار بقسنطينة "يوسف معتوق صالح باي".

كما أن العبد الأسود أيضا له مكانة محترمة بين موظفي البايلك ومن الأمثلة على ذلك "العبد الأسود مرجان" الذي كان في عهد الحاج أحمد باي آخر بايات البايلك قائد "الدريبة" أي المكلف بحراسة حريم الباي[5].

وقد كان الباي الذي خلف تشاكر باي في حكم قسنطينة، كان مملوكا وهو " أحمد باي بن عبد الله" الإيطالي الأصل، وكان عبدا من عبيد الباشا الذي عرف بالمملوك وتم تعيينه على بايلك قسنطينة مرتين.

الأولى كانت سنة (1233-1818) والثانية بين (1820-1822) وقد عينه الباشا على رأس البايلك عندما تعاظم ضلع وطغيان العناصر التركية في هذه الفترة.

كما نجد أيضا أن حارس حريم نعمان باي 1811-1814 وكل على زواج الباي نفسه، وهو ما جاء في العقد المسجل في بيع الأول 1226هـ-1811م، ونصه: "تزوج على بركة الله المعظم الأرفع الهمام الأنفع سيدنا محمد نعمان باي أيده الله ونصره بأمة الله الحرة الجليلة، حلبية بنت المرحوم بكرم الحي القيوم الحاج بن عاشور المالكية أمر نفسها على صداق قدره ألفي ريال وقفطانان وحزامان و ... زوجها المكرم الأجل القايد عنبر قايد دار الحرم السيد الباي المذكور...[6].

[1] معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص 195.

[2] ناصر الدين سعيدوني: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 105.

[3] جميلة معاشي: الانكشارية و المجتمع، المرجع السابق، ص 196.

[4] جميلة معاشي: الانكشارية و المجتمع ،المرجع نفسه: ص 195.

[5] المرجع نفسه :ص 196-197.

[6] نفسه: ص 198.



وفي الأخير نستطيع القول عن فئات المجتمع القسنطيني انه رغم اختلاط الأجناس والأديان بالمدينة من اتراك وعرب ومسلمين ويهود فإن الطبقية برزت، خاصة بين فئتين أساسيتين هما: البلدية (الحضر) والبرانية، وهما فئتان يوحدها الدين والجنس لكنهما منفصلتان اجتماعيا ولا تختلطان وكانت السمة الأساسية لهما هي احتقار الحضر للبرانية كما سبق وأشرنا.

أما عن البنية الاجتماعية في الأرياف فقد تميز الريف القسنطيني بتعدد القبائل وتفرعها، وسنصنفها حسب علاقاتها بالسلطة البايليكية:

1 قبائل الرعية الخاضعة لسلطة قيادة البايلك: كانوا يمثلون مصدر الثورة للبايلك فهم يقومون بكل التكاليف المالية وجماعات الرعية كانت ملزمة دائما بالمساهمة في العديد من أنواع الضرائب * ونظرا لهذه الخدمات المتنوعة والمساهمات العديدة التي فرضت على جماعات الرعية فإنها أصبحت الأساس القوي المنتج بالريف في الإقليم الشرقي[1] .

ونستطيع القول من جهة أخرى انها أضعف حلقة في سلسلة المجتمع الريفي، لا يمكنها شق عصا الطاعة لأنها محصورة بين مراقبة قبائل المخزن وتهديد فرق المحلة بهجمات مباغتة، كما حظر عليها كل أنواع الأسلحة كشراء البنادق واقتناء البارود[2].

وقد طبق على أفراد قبائل الرعية نظام الخماسة ** الذي يسجد ويظهر بوضوح [3]،وقد غلب على هذه العائلات الطابع الروحي الذي كان له الدور الكبير في التأثير على سكان الأرياف [4] ، وكانت تقدم خدمات عسكرية لصالح البايلك المتمثلة في إقرار الأمن وإخماد التمردات والمشاركة في الحالات العسكرية وكذا استخلاص الضرائب من جماعات الرعية أو القبائل الممتنعة عن سلطة البايلك[5].

إضافة إلى ان هذه القبائل تمتعت بامتيازات عديدة متمثلة في تعيينهم على الأعراش وتقلدهم المناصب [6] .

إضافة إلى إعفائها من الضرائب الطارئة ما عدا العشور والزكاة الملزمة[7]، إلا أنه في المقابل عندما تخرج عن وفائها للبايلك المبايلك فإنه يجردها من حقوقها وامتيازاتها ويحولها على جماعة الرعية[1] .

*من الضرائب التي تحملها قبائل الرعية، ضريبة العشور، الزكاة، حكور، الغرامة، وخطية ومعونة وضيفة الدنوش...للمزيد من المعلومات، انظر: قشاعي: المرجع السابق، ص 129.

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 130.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 107.

** وهو نظام يقضي لحصول الفلاح على خمس الانتاج فهو يعمل في الاراض لفائدة البايلك لمزيد من المعلومات انظر: سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 130.

[3] المرجع نفسه، ص 130.

[4] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 56.

[5] قشاعي: المرجع السابق، ص 131.

[6] علي خنوف: المرجع السابق، ص 20.

[7] قشاعي: المرجع السابق، ص 133.

2 القبائل المستقلة أو القبائل الممتنعة عن سلطة البايلك: وأغلب هذه القبائل تعيش في المناطق الجبلية الحصينة: كالبابور وشمال قسنطينة والأوراس وتخوم الصحراء وغيرها منها قبيلة الحنانشة[2].

وقد كانت هذه القبائل ممتنعة عن تسديد الضرائب وقامت بعدة تمردات [3]،وقد كانت هذه المجموعة أكبر فئة سكانية في بايلك الشرق، ومر ذلك إلى صعوبة مواطنها وعزلتها الطبيعية وبعدها عن مركز السلطة وعن قبائل المخزن[4].

الاستغلال الذي تعرضت له من قبل سلطة البايلك فهم تحت امرة فرسان المخزن الذي يراقبونهم، فهم ملزمين بتقديم ما ينتجونه من انتاج فلاحي و حيواني مثل: القمح، الشعير، الزيتون، الزيت، العسل، الزبدة، الشمع، الصوف، [5] ... و قد كانت قبائل الرعية تعتمد في معاشها على تربية الحيوانات، معالجة الجلود، و كذا بعض الصناعات كصنع السروج.... [6].

الاجانب ان الظروف التي عاشت هذه القبائل كانت جد صعبة و تميزت بالتعاسة و الحرمان و البؤس[7]. فقد كانت كما سبق و ذكرنا تتحمل كل الاعباء الضريبية الثقيلة، و هذه الاخيرة لطالما استحدثت حسب متطلبات البايلك، كما رغمت على بيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة، و منع عنها الاتصال بالقبائل المعادية للبايلك[8].

3 القبائل المتحالفة مع البايلك لقبائل المخزن: لقد كان لهم علاقة ودية مع العثمانيون و قد كانت هذه الفئة تتعامل مع البايلك عن طريق مرابطيها الذين اصبحوا بحكم العادة و العرف يتوارثون حكمها معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني[9].

---

[1] المرجع نفسه: ص 134.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 109.

[3] قشاعي: المرجع السابق، ص 141.

[4] المرجع نفسه: ص 142.

[5] سعيدوني: النظام المالي...، المرجع السابق، ص 130.

[6] قشاعي:المرجع السابق، ص139.

[7] المرجع نفسه: ص 131.

[8] ناصر الدين سيعيدوني، المهدي عبدلي: المرجع السابق، ص 107.

[9] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 56.

المبحث الرابع: الظروف المعيشية لسكان البايلك

تجدر بنا الإشارة عند الحديث عن الظروف المعيشية في أي منطقة إلى الوضع الصحي للسكان في تلك المنطقة لما له من أثر في الأوضاع المعيشية، لذا عمدنا إلى الحديث في أول هذا المبحث إلى الظروف الصحية لسكان بايلك الشرق في فترة الدراسة خاصة إذا علمنا أنه مع نهاية العهد العثماني تعرض الإقليم إلى العديد من الأمراض والأوبئة التي ساهمت بدورها من تأزم الأوضاع المعيشية، سنوضح هذا محاولين ابراز النتائج المترتبة على معيشة السكان مع العلم أن الانسان الذي يسلم من المرض يستطيع ان يأمن من الجوع.

فالأوبئة والأمراض التي تعرضت لها مقاطعة قسنطينة قد تسببت في خسائر مادية جسيمة، وبالتالي ادت إلى نقصان في الإنتاج وتقهقر بالنسبة لمختلف أنواع النشاط. الأمر الذي من شأنه أن يؤثر سلبيا على الموضع المعيشي[1].

وقد وصف العنتري الأوضاع المعيشية لأفراد البايلك في هذه الفترة التي تعكسها الأسعار والغلاء حيث وصفها وصفا دقيقا ودون ملاحظاته السديدة حول دراسة الأسعار ارتفاعا و انخفاضا فقال[2]: "يحكى أنه في سنة 1219هـ/1804-1805م زمان الأتراك وقعت مجاعة شديدة وقحط وهول أضر بأهل بلد قسنطينة ووطنها ودام[3]، الحال كذلك عليهم ثلاث سنين متتالية[4].

ونذكر من الأوبئة التي أصابت المنطقة، وباء 1793: وهو طاعون أصاب مدينة الجزائر سنة 1793، نقله إليها بحارة قدموا من القسطنطينية، وظل محصورا فيها إلى منتصف جويلية حيث امتدت براثنه إلى جهات أخرى من جملتها مقاطعة قسنطينة[5].

وقد كتب السيد "كيبار" مندوب الشركة الملكية الافريقية في عنابة في ذلك الحين ان حوالي 100 شخص كانت تموت في عاصمة الشرق، بينما سلم الساحل بواسطة التدابير الوقائية التي اتخذها الحاكم القالة الفرنسي بإذن من الباي

---

[1] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 50.

[2] محمد الزين: نظرة على الأحوال الصحية للجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، ص 130.

[3] صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 27.

[4] المصدر نفسه: ص 28.

[5] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 28.

وتتمثل هذه التدابير في الموانئ ومنع القادمين إليها من الدخول ورغم كل هذه التدابير إلا أنه لم ينقطع بل بلغ أوجه سنة 1794[1].

ولولا حكمة بعض الولاة في هذه المحنة لهلك الناس جميعا حيث أن "عبد الله" كان يكاتب كبار الأعراش ويطلب منهم أن يحضروا الحبوب والوزرع إلى أسواق المدينة وبيعه هناك ليكتال منه الناس[2].

إلى جانب ان مرض الطاعون قد أدى إلى هجرة القبائل من مواطنها كقبائل القرفية التي غادرت أراضيها جراء الطاعون وأمراض أخرى ولم يبق منها إلا بني وحابة وأولاد سياسي وأولاد أحمد[3].

وفي هذا الصدد توجد محفوظات الوكالة الافريقية رسالة موجهة إلى القنصل الفرنسي فاليار Vallière يقول فيها صاحبها، " ان الطاعون مازال يقتل ما بين خمسين و مائة شخصا يوميا في قسنطينة، ولا نعرف مدى الخسائر التي يحدثها في النواحي الأخرى من المقاطعة"[4].

ويبدو أن هذا الوباء قد ظهر من قبل سنة 1785 وقد ذكر المؤرخين أن قدر عدد الوفيات من هذا المرض ما بين 5 و6 وفيات يوميا ثم تزايدت خطورة الوباء عندما ارتفعت اعداد الإصابات به حتى ارتفعت اعداد الوفيات إلى 100 وفاة في اليوم الواحد[5]، إلى أن أعيدت الكرة في عام 1793 كما سبق وذكرنا تجدر الإشارة إلى وباء 1799 الذي وردت الإشارة إليه بكيفية عابرة في جريدة "المونيتور" فيذكر صاحب المقال أنه حل بمقاطعة قسنطينة وانتشر حتى وصل إلى الجنوب حيث صار الموت يحصد يوميا ما بين مائة ومائة وعشرون شخصا[6].

إضافة إلى وباء 1816 ويعد أخطر زباء أصاء الايالة في الفترة التي نتناولها بالدراسة وقد اختلف المؤرخون حول مدة بقائه فهناك من يقول انه دام 4 سنوات وهناك من يجعلها 6 سنوات، كما ان الاختلاف بدا ظاهرا فيما يخص ظهوره وأسبابه.

أما فالانسي وكيون يتفقان على ان البداية كانت سنة 1817 وان العدوى جاءت من الإسكندرية عندما حلت سفينة الحجيج بميناء عنابة في اليوم الثامن من شهر جوان وعلى متنها جماعة من المصابين بهذا الداء العضال[7].

أما مارشيكا فإنه يجزم بأن الطاعون وصل عنابة يوم 7 جويلية سنة 1816م وان سببه يرجع الى قدوم بارجة اهداها الصدر الأعظم للداي يوم 8 ماي 1816 في حين دوكرامون يشير إلى ان الطاعون حل بالبلاد سنة 1818[8].

---

[1] المرجع نفسه: ص 51.

[2] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 35.

[3] قشاعي: المرجع السابق، ص 256.

[4] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 51.

[5] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص210.

[6] محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه، ص 52.

[7] المرجع نفسه: ص52- 53.

[8] صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 53.

وبغض النظر عن متى كان الطاعون وما أسبابه فإنه الشيء المروع كانت نتائجه وخيمة على السكان فقد أهلك المرض أعدادا هائلة من سكان الأرياف والمدن[1].

ومهما يكن فإن وباء "الطاعون" قد أصاب الشرق الجزائري في هذه الفترة وانتشر في كامل انحائه بسبب التنقلات وسلبية موقف السلطات اتجاه المصابين ولكن الاختلاف كان واضحا حول بدايته ونهايته، ولكن الجميع متفقون على ان المرض ألحق أضرارا كبيرة بالمنطقة حتى أنه منع الناس في نواحي عنابة من العمل وزهدهم في الحياة، وكان في مدينة قسنطينة يحصد يوميا أرواح حوالي 30 شخصا يوميا كما أنه جعل سكان بجاية وجيجل يهرعون إلى قمم الجبال[2].

إلى جانب كل هذه الأمراض قد تعرض إقليم قسنطينة إلى مجاعة شديدة وأزمة وقحط سبق وأشرنا إليها في أول مبحث قد تسبب في فقدان الكثير من الناس ومن بينهم العلماء: كالفقيه "عبد القادر السنوسي، ابن زرقة وأخيه الفقيه الهاشمي وابن عمهما الأديب مصطفى بن عبد الله[3].

فقد ذكر العنتري أنه حصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبلة فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب هول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به من قبل من يبس الزرع وعدم الحرث، ونزول القحط والفتن إل غير ذلك[4].

لقد أدت كل هذه الأوضاع إلى ارتفاع الأسعار مما أثر سلبا على معيشة الانسان في البايلك خاصة في فترة الدراسة حيث ارتفعت أسعار القمح وكما نعلم أن القمح هو الغذاء الأساسي في معيشة الانسان[5].

وقد أضاف العنتري فيما يخص ارتفاع أسعار القمح انه قد بلغ مبلغا لا عهد مثله حتى أصبح يباع الصاع الواحد من البر وقتئذ بخمسة عشر ريال والصاع من الشعير بسبعة ريالات وقد قال ان الناس صاروا يسمون تلك المجاعة بعام "الخمسطاش"* كون الزرع يباع بتلك القيمة[6].

ولعل سبب هذه المجاعة كما ذكر، مرض أصاب الزرع فأفسده [7]، وقد ذكر العنتري أن سبب هذا القحط والمجاعة والمجاعة والشر على بلد قسنطينة ووطنها مركب من أمرين أحدهما: نزول المجاعة والقحط في السنة الأولى وبقي لسنتين اثنين

---

[1] قشاعي: المرجع السابق، ص 29.

[2] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 54.

[3] محمد الزين: المرجع السابق، ص 130.

[4] العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 24.

[5] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص56.

* أي 15، سعر القمح آنذاك.

[6] العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 34.

[7] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 53.

بعدها، والثاني وهو أعظمها: ترادف الافتان و الأهوال التي لم تطمئن نفوس الناس للحراثة معها وصار الناس يسمون تلك المجاعة باسم "عبد الله باي"[1].

لوقوعها في زمانه والحق أن بدايتها كانت في عهد "عثمان باي" وامتدت[2].

وقد طالب اعيان البلدة بإخراج ما عندهم من فائض في الزرع وهكذا شيئا فشيئا حتى أصبح يدخل المدينة ويتداول فيها وخاصة من ناحية ريغة وفرجيوة إلى أن رفع الله جلّ جلاله عن عباده الضر[3].

وقد حاول "عبد الله باي" * أن يتعاون بحنكة مع هذا الوضع ،كما أن هذا الوضع أثار قريحة الشعراء كما ذكرنا سابقا فأخذوا في تنظيم ابيات تهكمية صار يتغنى بها الشعب كما ذكرنا سابقا، منها:

القمح يا باهي اللون	**من شعبتك لا زيادة**
أنت قوت كل مسكين	**بيك الصلاة والعبادة**[4]

ويظهر من خلال الأبيات مدى اشتياق الناس القمح وهذا دليل على غلاء سعره في تلك الفترة.

وهذا الوضع أدى بكثير من الناس من الأهالي على أكل الميتة وغيرها مما حرم الله أكله[5].

إضافة إلى هذا، الكوارث الطبيعية والظروف المناخية، وضعف التقنيات وسبل الإنتاج البدائية وعوامل أخرى أثرت في الإنتاج المعاشي المجتمع[6]، الريفي لذا بقيت إنتاجية العمل تبعا لذلك عند مستويات هزيلة لا تتجاوز أحيانا الحاجيات الحاجيات الضرورية للفرد والمجتمع فكثيرا ما كانت تقل الامطار في قسنطينة إلى حد الجفاف الذي أحدث مجاعة حادة أهلك فيها الكثير من الناس مثلما حدث ذلك في سنة1805 زمان حكم الباي عثمان كما ذكرنا[7].

أما عن السنوات التي انتشر فيها الجراد نذكر عام 1778-1779 فقد اجتاح الجراد وأهلك الزرع وأصبح الناس يموتون في مدينة قسنطينة [8] ،ثم أعاد الكرة سنة 1813-1815م حيث انتشر الجراد وأتلف المزروعات وتسبب في قلة الأقوات فارتفعت الأسعار في بعض النواحي عشرة أضعاف ما كانت عليه[9]، كما ظهر ان الجراد كانت نتائجه وخيمة على على الأوضاع المعيشة لأفراد إقليم قسنطينة[10].

---

[1] صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 40.

[2] المصدر نفسه: ص 40.

[3] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 35.

*فقد كان هذا الباي لا يطالب السكان بالمطلب المخزني و هو الضريبة التي كان السكان يدفعونها للباي في تلك السنة بل تركه للرعية و هذا الامر اصبح فيما بعد امر مقتدي به ، انظر: ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع نفسه، ص 35.

[4] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 55.

[5] المرجع نفسه: ص 55.

[6] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 109.

[7] المرجع نفسه: ص 109.

[8] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 27.

[9] قشاعي:المرجع السابق، ص 29.

[10] محمد الزين: المرجع السابق، ص 130.

وقد روى عثمان خوجة في كتابه [المرآة] عن معيشة سكان قسنطينة قائلا: "كان من المستحيل علي اثناء رحلتي إلى قسنطينة ان أتحمل العيش داخل هذه المساكن بل كنت أفضل النوم في الهواء الطلق على المبيت وسط سفينة نوح" على حد تعبيره[1].

وقد وصف شلوصر فقر سكان الأرياف ومن خلال وصف لباسهم فيقول ان الأولاد وأولاد الأولاد يحتفظون بالثوب الذي حمله أبوهم مئة سنة ويرقعونه رقعة إلى أن يتساقط على الجميع ولا يطرح حتى في هذه الحالة لعدم صلاحيته بل يباع في سوق من الاسواق[2].

وهذا الوصف يدل على الأوضاع المعيشية المزرية لسكان قسنطينة أو على حد تعبير شلوصر سكان أرياف، قسنطينة.

ونجد أيضا في عام 1819-1822م اختفت الاقوات وعمت المجاعة ببايلك الشرق الذي يعاني من البؤس والتعاسة، فاضطر البايلك إلى شراء كميات من الاقوات لتزويد سكان المدينة الذين تضرروا كثيرا من هذه المجاعة[3].

وقد وصف حمدان خوجة مساكن القرى الصغيرة التي تدل على الوضع المعيشي المزري بقسنطينة، فقال أنها تبنى بالأخشاب والقصب بربط بعضه بعضا ولكل منزل أربعة أوجه، وتفرش أرضه بنفسها مادة البناء ثم الكل بخليط من الطين وحشيش البقر ولمنع المياه من التسرب وعلى السطح يزرع نوع من العشب يسمى الدبس، ولا يزيد ارتفاع هذا البناء عن قامة الرجل وتأوي هذه المساكن في نفس الوقت النعاج والدواجن[4]...

ومن هنا نستنتج أنه الى جانب الظروف المعيشية المزرية نجد سوء الحالة الصحية بالنظر إلى الأمراض المذكورة سابقا التي انتشرت في أوساط البايلك نذكر منها {التيفوس، الجدري، الدمل والسل، الكوليرا، الهواء الأصفر، الحمى الصفراء والالتهابات الرئوية، ووباء البرسام الجاف، مرض الزهري والدفتيريا و الرمد المتقيح والتهاب العيون والعمى[5]}.

وقد ذكرنا في هذا المبحث على الحالة الصحية بالدرجة الأولى وهذا لما لها من أهمية وانعكاس على الحياة والمعيشة ، إلى جانب الغذاء والأكل حيث نجد في فترة الدراسة خاصة أنه إلى جانب الأمراض نجد الكوارث الطبيعية من جفاف وجراء حسب الاحصائيات المذكورة.

وهذا ما انعكس على أسعر الحاجيات الغذائية، والقمع بالدرجة الأولى. وقد أشار العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة إلى فقر الناس وبؤسهم بقوله: "إن الدراهم كانت قليلة بأيدي الناس في ذلك الزمان جدا، وعزيزة إلى الغاية ليست كهذا الوقت، وأضافت إلى أنه او كانت كثيرة وميسرة لها الحق الفقير فيمن الناس من ذلك الشر شيء، لأن البقرة في ذلك

[1] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 27.

[2] شلوصر: المصدر السابق ، ص 99.

[3] قشاعي: المرجع السابق، ص 29.

[4] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 27.

[5] ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 125.

الزمان تباع بأربعة ريالات وخمسة والكبش يباع بخمسة أثمان والكيلو منه بتونسية قال إنها تعني صور دين ، وقدحة الزبدة التي تزن زوج كيلو أو أزيد بربع الريال والرطل من التمر بريالين ونصف وقسى سائر المأكولات على ذلك السعر تجدها في غاية البخس ما عدا الزرع ،وقد كانت قيمة الزرع قبل تلك المجاعة والقحط ما بين ريال وريال ونصف للصاع الواحد، بحيث أنك لا تجد في ذلك الزمان ولا في الذي قبله وبعده من يهتم لأمر الزرع أبدا[1] .

إلا أنه أشار العديد من المؤرخين إلى أن فترة 1794-1798 بقلة الأقوات في كامل البايلك وارتفعت الأسعار ووضع البايلك حدا لتصدير الحبوب من فرنسا حيث اضطر صالح باي إلى التصريح إلى الشركة الملكية لإفريقيا بأن بايلك قسنطينة مضطر لإيقاف تصدير الحبوب إلى الشركة نتيجة لشدة الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية التي يعاني منها السكان والتي أهلكت قطعان المواشي أيضا ،أما عام 1800م فقد تميز بقلة الأقوات واختفائها، حيث اضطرت إلى استيراد الحبوب من الأقطار الأوروبية[2].

ويظهر من هذا كله ان حالة البايلك في أواخر العهد العثماني كانت سيئة ،عندما نريد دراسة العوامل أو الأسباب المؤدية إلى ذلك فإننا ننظر بالدرجة الأولى إلى الاحداث التي تزامنت مع هذه الحالة في تلك الفترة، ولعل أبرز حدث في تلك الفترة هي الثورة التي قادها ابن الاحرش*.

فقد ذكرت العديد من النصوص عن الخراب وفقر الريف القسنطيني جراء هذه الثورة اذ عم الشر والقحط [3]،فبعد هذه الثورة اضطر الناس إلى فتح مطاميرهم وتوزيع ما كانوا يخزنونه على إخوانهم الضعفاء الذين أشرفوا على الهلاك [4]،فلعل أبرز سبب في إفقار الفلاح والسكان هي ثورة ابن الأحرش** التي توقفت بسببها الدورة الزراعية في كثير من الأرياف[5]،رغم الأرياف[5] ،رغم ان العديد من المؤرخين اعتبر ثورة ابن الأحرش ماهي إلا تعبير عن الوضع المزري الذي آل إليه المجتمع الريفي الريفي بالبايلك[6] .

فقد أشير في عدة مصادر ومراجع بأن ثورة ابن الأحرش هي السبب الرئيسي لما حل بالبلاد الجزائرية عامة وقسنطينة خاصة من محن وما أصاب سكانها من بلاء وشقاء[7] .

---

[1] العنتري :مجاعات قسنطينة ، المصدر نفسه، ص 34-35.

[2] قشاعي: المرجع السابق، ص 26

*ابن الاحرش فتي مغربي مالكي المذهب من اتباع الطريقة الدرقاوية جاء الى القبائل و ادعى انه المهدي المنتظر فكان صاحب شعوذة و حيل ، انظر محمد يوسف الزياني: دليل الحيران و انيس السهران في اخبار مدينة وهران ، تق و تع، المهدي بو عبدلي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1978، ص 207.

[3] محمد صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 39.

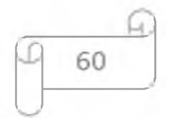
[4] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 55.

** هي ثورة قادها ابن الأحرش إلى جانب إتباع الطريقة الدرقاوية وبعض القبائل ضد سلطة البايلك كان من نتائجها إضعاف سلطة البايلك بالأرياف وزيادة انعزال المدن والخسائر الفادحة في الأموال والارواح وتسبب في انتشار حركة تمرد واسعة في أوساط القبائل ومواجهة قسنطينة والقضاء على المحلة التركية وقتل الباي عصمان واوي زهور. لمزيد من المعلومات، انظر: ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص191-192.

[5] العنتري: مجاعات قسنطينة ،المصدر السابق، ص 28.

[6] جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 87.

[7] سعيدوني : دراسات و ابحاث، المرجع السابق، ص 168.



إلى جانب هذه الثورة نجد الصراع القبلي بين أفراد المجتمع الريفي وخاصة بالأوراس بين صف الغرابة وصف أولاد عبدي وقد أدى هذا الصراع العسكري إلى العديد من النتائج السيئة التي أثرت على المجتمع[1].

إضافة إلى ان سياسة البايات وحكام البايلك دور في تدهور الأوضاع المعيشية لأفراد البايلك خاصة السياسة الجبائية الثقيلة التي سبق ان تحدثنا عنها مما اضطر بعض القبائل إلى إعلان التمرد ضد النظام المركزي، فقد شهدت منطقة شمال الأوراس في الفترة ما بين 1803م-1805م تمردين، الأول قام به الحنانشة والثاني قام به النمامشة [2]،إلى جانب ان سلطة البايلك تتبع سياسة القمع للفلاحين أثر كل محاولة التهرب من الضرائب * فقد اسفرت تمردات مجانة سنة 1813 إلى هلاك الكثير من سكان البايلك خاصة في الارياف[3].

وقد كانت قبائل توقرت هي أكثر القبائل المتضررة في بايلك قسنطينة وأشدهم بؤسا[4].

ومن هذا نستنتج أن هذه المرحلة من الفترة العثمانية في بايلك الشرق كانت سيئة جدا تفاعلت عدة عوامل ساهمت في تأزم الوضع المعيشي للفرد القسنطيني، سواء في الريف أو المدينة.

فمن جهة الامراض والأوبئة ومن جهة أخرى الكوارث الطبيعية، إلى جانب الصراع الذي تفاقم خاصة في الأرياف والثورات المحلة، كل هذا أسهم بشكل أو بآخر في تدهور الأحوال المعيشية لسكان البايلك ، ويضاف إلى ذلك انعدام الإجراءات الوقائية من طرف سلطات البايلك بالمدن والارياف واقتصارهم على العلاج التقليدي الذي يقوم به ذوي الخبرات والتجارب والذي يعرف عادة بالطالب أو العشاب، إلى جانب عدم التفطن إلى نظام الحجر الصحي بالموانئ ونقاط العبور المؤدية إلى بايلك قسنطينة والتي لا يلتجأ إليها إلا في الحالات النادرة وبإلحاح من الوكلاء الأجانب[5].

كما أن أغلبية الحكام والموظفين لا يهتمون إلا بعناية صحتهم فقط، وقد وضعوا تحت تصرفهم طبيبا أجنبيا المسهر على حالتهم الصحية [6]،والأمر الذي زاد من سوء الصحة بالبايلك أن السكان لم يهتموا بأمور الصحة وكانوا لا يولوها اهتماما فلم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد الأمراض والأوبئة بل اعتبروها أمرا طبيعيا[7].

---

1 ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 490.

2 محمد الزين: المرجع السابق، ص 132.

*لان الضرائب التي كانت تفرض عليهم من ثلاث جهات مختلفة الحكام المحليين، سلطة البايلك، شيخ العشائر البدوية التي تمثلها قبيلة اولاد سعيد، انظر نصر الدين سعيدوني: دراسات و ابحاث، المرجع السابق، ص 538.

3 جهيدة بو عزيز: المرجع السابق، ص 125.

4 ناصر الدين سعيدوني: دراسات و ابحاث، المرجع السابق، ص 538.

5 ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 54.

6 قشاعي: المرجع السابق، ص 31.

7 ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 195.

خلاصة الفصل الأول:

خرجنا من دراسة هذا الفصل بالنتائج التالية :

- مقاليد السلطة كانت بيد فئة محدودة يأتي أعلاها الباي أما الوظائف السياسية و المخزنية تنافست حولها الأتراك كما كان الحظ الأوفر و الامتيازات للقبائل المتعاونة مع سلطة البايلك و الملاحظ أن للأسر العريقة مكانة هامة و نفوذ قوي خاصة بالأرياف.
- الواضح من دراسة المجتمع في بايلك الشرق أنه اتخذ طابعا طبقيا وفئويا كما سبق وذكرنا الطبقات الاجتماعية آخذين بعين الاعتبار المكانة في المجتمع.
- كما كانت الكثافة السكانية عالية بالبايلك حسب آراء المؤرخين.
- الى جانب تأثير الأوضاع الصحية على الحياة الاجتماعية في البايلك في أواخر العهد العثماني حيث خلفت الأوبئة المنتشرة اضرارا جسيمة وعددا كبيرا من الضحايا.



الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية ببايلك الشرق

المبحث الأول: النظام الاجتماعي في بايلك الشرق و مختلف مظاهره.

المبحث الثاني: نظام الزواجِ و الطلاق

المبحث الثالث: الحياة الثقافية و العلمية

المبحث الرابعِ: الحواضر الهندسية للبايلك

تمهيد:

تتضمن المجتمعات الانسانية على مظاهر اجتماعية تختلف باختلاف العقيدة و العرف وسنوضح من خلال هذا الفصل مظاهر الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق مع الاشارة الى الملامح الكبرى لهذه المظاهر, و ذلك بالتطرق الى الاسرة كونها تعد من ابرز الانظمة الاجتماعية بالإضافة الى العادات و التقاليد التي كانت سائدة في المجتمع القسنطيني خلال العهد العثماني، و كذا الزواج كونه اساس المؤسسة الاسرية،وكذا التعليم و الحياة الثقافية اساسهم التمسك بالدين الاسلامي. و كذا الحواضر الهندسية للمبايلك و هو بدوره مرآة عاكسة لنمط وخصوصية العمران في بايلك الشرق.

المبحث الاول: النظام الاجتماعي في بايلك الشرق و مختلف مظاهره

الاسرة: و تتألف من الوالدين والابناء و يلعب الوالد و من يحل محله عند فقدانه دور الرئيس و الموجه و المسير و الممون و المخطط في كل شيء اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا و سياسيا و يعطيه كل افراد الاسرة طاعة عمياء في كل الشؤون الخاصة و العامة و ذلك مما اكسب الاسرة تماسكا و انضباطا و مكانة و احتراما لدى الغير[1].

تعد الاسرة* شكل من اشكال التنظيم الاجتماعي و يتميز بسيادة القيم العائلية و التي تؤكد تبعية المصالح الفردية لمصالح و رفاهية العائلة ككل و يتميز هذا التنظيم بإحساس اعضائه بالتوحيد و الولاء العائلي و العون المتبادل و الاهتمام باستمرار وحدة العائلة[2].

---

[1] يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمع الريفي...، المرجع السابق ص 481.

*تختلف الانماط الاسرية باختلاف المجتمعات اذ نجد:

- الاسرة الممتدة: اسرة تتكون بنائيا من ثلاث اجيال او اكثر و لهذا تضم الاجداد و ابنائهم غير المتزوجين و ابنائهم المتزوجين (او بناتهم) و كذلك احفادهم انظر: محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ت، ص 180.
- الاسرة الزواجية: او الاسرة النووية او النواتية اي الاسرة المكونة من العناصر الاساسية في الاسرة (الاب، الام، الاولاد) في مسكن واحد انظر : مسعودة كسال: الطلاق في المجتمع الحضري الجزائري عوامله و اثاره، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1985/ 1986 ص 12.

-و ما يمكن ملاحظته ان مفهوم الاسرة الممتدة سائد في المجتمع الريفي تلاحمت و تفاعلت فيما بينها بفضل وحدة اللغة و العقيدة ، اللتين جاء بهما الدين الاسلامي انظر: يحي بوعزيز:الحياة الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق ،ص 481 . اما مفهوم الاسرة الزواجية فغالبا ما يكون سائدا في المجتمع الحضري نظرا لاختلاف القيم و المعايير و العادات الاجتماعية، فتتميز الاسرة الممتدة بنوع من الثبات و الاستقرار بالرغم من تعاقب الاجيال اذ يتغير افراد الاسرة و لكنها تظل محتفظة بشخصيتها و مسؤوليتها تجاه افراد الاسرة كما تطغى فيها روح الجماعة على الفرد الا ان مفهوم الاسرة الممتدة يتميز في الضيق في المجتمعات الحضرية اكثر فاكثر نظرا للتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و العمرانية التي يشهدها المجتمع الحضري انظر: كسال ،المرجع السابق، ص 11-18.

[2] محمد عاطف غيث: المرجع السابق، ص 176.



فلا تأتي اهمية الاسرة* من كونها فقط احدى مؤسسات المجتمع المعنية بإنجاب الافراد وحسب و انما باعتبارها احدى العوامل الاساسية في بناء الكيان التربوي و ايجاد عملية التطبيع الاجتماعي للأفراد و اكسابهم العادات التي تبقى ملازمة لهم طوال حياتهم لما لها من اثر في تكوين النمو الفردي و بناء الشخصية فمنها يتعلم الانسان اللغة و يكتسب بعض القيم و الاتجاهات، ولها يرجع الفضل في تعلم الانسان لأصول الاجتماع و قواعد الآداب و الاخلاق كما انها السبب في حفظ كثير من الحرف و الصناعات التي يتوارثها الابناء عن ابائها [1].

فان البنايات الاجتماعية في الايالة الجزائرية لا تختلف اختلافا كبيرا من منطقة لأخرى بل انها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان سواء في بايلك الشرق او الغرب او التيطري. و كذلك هو الحال بالنسبة للأسرة التي هي الخلية الاساسية في تكوين الجماعات و توسيعها.[2]

فالأسرة توجد وسط حركة المجتمع و تغطي معالم التغيير على المدى المتوسط و الطويل من خلال الممارسات في مجال الاحوال الشخصية والعلاقات العائلية و المصاهرات.[3]

ما يهمنا في هذا الصدد هو معرفة معالم و ملامح الاسرة في بايلك الشرق و كذا التقرب من اهم عنصر داخل الاسرة و المتمثل في المرأة و وضعيتها و مكانتها في هذا المجتمع و طريقة عيشها و لباسها و مدى حضورها في الساحة الاجتماعية و الدور الرئيسي الذي تلعبه في ممارسة العادات و التقاليد داخل الاسرة و خارجها.

كانت الاسرة في الاقليم الشرقي تتألف من الوالدين والابناء ، الوالد هو الموجه و الرئيس [4]،فهي اذن اسرة ابوية يعتبر الاب فيها مركز القوة و سلطته مطلقة و نهائية [5].

---

*وجدت الاسرة نفسها امام واجبات جملة منها:

- ✓ انها مسؤولة عن نشأة اطفالها نشأة سليمة متسمة بالاتزان و الاستقرار و الود و الطمأنينة و ان تبعد عنهم جميع الوان العنف و الكراهية ، و لابد من شيوع المودة و تفاهم الاسرة مما يساعد على نموه الفكري.
- ✓ انها مسؤولة عن مراقبة الابناء و متابعتهم دائما في مسار حياتهم اليومية سيما في ابعادهم عن سبل الانحراف، و ان افضل طريق لحفظ الابناء هو مصاحبتهم و مراقبتهم.
- ✓ انها مسؤولة على تعليم الابناء الكيفية السليمة للتكيف الاجتماعي و تكوين العلاقات الاجتماعية من خلال ما يتعلمه عن اشكال التفاعل على النحو الذي يتوافق مع قيم المجتمع و مثله و معاييره بما يجعلهم قادرين على التفاعل مع الاخرين في المجتمع انظر : مأمون طربيه: السلوك الاجتماعي للأسرة مقاربة معاصرة لمفاهيم علم الاجتماع العائلة ، الطبعة الاولى، 2012، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ص 13-14-15.

[1] المرجع نفسه:ص13.

[2] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ، ص 45.

[3] قشي:المدينةو المجتمع، المرجع السابق ص 337.

[4] يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية، المرجع السابق، ص 481.

[5] غيث: المرجع السابق ،ص 45.

اما داخل البيت فان الام و الاخت الكبرى هي صاحبة الامر و النهي و اذا ما تعلق الامر بشؤون بالغة الاهمية مثل الزواج و الطلاق او البيع و الشراء فان رب الاسرة يعقد مجلسا عائليا يستمع فيه لآراء جميع الافراد الراشدين و لذلك كان نظام الاسرة ديموقراطيا على الرغم من مظهره الديكتاتوري او الابوي[1].

و المجتمع في بايلك الشرق سواء منه الحظري او الريفي[2]،هو مجتمع في اغلبه مسلم العقيدة عربي اللسان، و الحضارة ،كما في الغرب و الوسط. إذا بقيت بعض اللهجات المحلية الامازيغية متداولة في بعض الجهات و الى جانب[3]، وجود اقليات دينية مثل طائفة اليهود التي كانت تتمتع بحرية ممارسة طقوسها الدينية مقابل دفع الجزية و الى جانب اللغة العربية المتداولة بين الاكثرية كانت توجد اللغة التركية و هي لغة الادارة و العبرية و اللهجات المحلية مثل الشاوية و القبائلية .....الخ.

كانت اللغة الفرنسية تعمل في دوائر الاعمال و الوكلاء الاجانب الذين كانوا يقيمون بالبايلك اما اللغة الفرنكية هي خليط من اللغة الاسبانية و الفرنسية و الايطالية و العربية فكانت تمثل واسطة الاتصال عادة بين الاجانب والاهالي[4]، و من ابرز سمات المجتمع في بايلك الشرق [5]،تحلي روح المحافظة على التراث العائلي مع التمسك بمعاني الاسماء اللغوية و رموزها التاريخية و التأثير بأسماء اهل البيت و تداولها اكثر من غيرها و تعد الاسماء العائلية من التراث المتوارث ابا عن جد و لازال الهدف الى يومنا هذا يتمثل في احترام الاجداد و تجسيده في اسماء الابناء بهدف بعث الفقيد،و قد عمل التقيد بالأسماء العربية لغة و الاسلامية ثقافة و العائلية تداولا وتراثا، على ابعاد الاسماء الغريبة و الجديدة و الدخيلة النادرة[6].

ومن الشائع في مجتمعنا ان تسمية المولود عملية مهمة تعطى الاولوية فيها للكبار حيث يتم اختيار اسم المولود في قائمة من اسماء الاباء و الاجداد او من توفي من الاقارب و الذين يراد الاحتفاظ بذكراهم و بعثهم في من دخل الدني جديدا لإحياء الفقيد[7]، و ما يلاحظ على الاسرة في اقليم الشرق او بايلك قسنطينة [8]، احترام الاسلاف بتخليد اسمائهم، هذا النمط من التفكير يبعد الاسماء الجديدة و الغريبة و غير متداولة، ان " **محمد بن عبد الكريم بن يحي الفكون** " لمن النماذج الشهيرة في بايلك الشرق التي تعد احسن مثال يعبر عن تفضيل الاسر احياء ذكرى الفقيد من خلال منح اسمه الى مولود جديد[9].

---

[1]الزبيري: المرجع السابق ،ص 45.

[2]شالر: المصدر السابق ،ص 39.

[3]يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية...،المرجع السابق ،ص 496.

[4]شالر: المصدر السابق، ص 40.

[5]صالح عباد: المرجع السابق ، ص 292.

[6]قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق ، ص 184.

[7]المرجع نفسه: ص 179.

[8]يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق ، ص 480.

[9]قشي : المدينة و المجتمع، المرجع السابق ص 179.

وما يلاحظ ايضا من خلال الاسماء الموجودة في عقود الزواج و الطلاق في الفترة المدروسة تأثير اسماء اهل البيت، حيث جاء اسم **فاطمة** و اسم **محمد** على راس القائمة احتل اسم **محمد** الصدارة بلا منازع في اسماء الرجال قبل ان يضاف له احمد الصيغة القرآنية لاسم الرسول محمد صلى الله عليه و سلم.

ان **احمد** و **محمد** هما اسمان لشخص واحد رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي يحمل اسمه معاني العرفان بالحمد و الشكر الى الله عز و جل من خلال ذلك يبرز تأثير اسماء اهل البيت و يظهر الانتماء الاسلامي لأفراد الاسرة في مجتمع الاقليم الشرقي من الايالة الجزائرية كما تتم تداول اسم **علي** فهو ابن عم الرسول صلى الله عليه و سلم و صاحبه و زوج فاطمة و رابع الخلفاء الراشدين كذلك تم تداول اربعة اضعاف مقرنة بالأسماء السابقة الذكر[1]،كما تم اختيار الاسماء التي لها معنى تفاعل كلما تم التلفظ بها مثل اسم "عمار" و هو من عمر ، يعمر، تعميرا، وهو اسم طيب يتبرك به لان العمارة في البيوت فالمولود الجديد ينتظر منه عمارة الدار ولأن احسن الاسماء الاسلامية ما حمد وعبد*، ورد اسم عبد الله ، و تم تداول كذلك الاسماء المشتقة من الاوصاف الحميدة و الفضائل جاءت في صيغة الفاعل من ذلك نذكر : صالح، الطاهر، الحسن، المسعود، المبارك والبشير... الخ، كذلك تداولت الاسماء و التي تنحدر من التراث النبوي المستمد من القرآن الكريم مثل: ابراهيم، عيسى، يحي، موسى، يوسف، اسماعيل، و هذه النمطية في تسمية أفراد العائلة ، لم تمنع تداول بعض الأسماء الدخيلة و النادرة مثل اسم تركية ناتج عن آثار الوجود التركي و اسم علجية، و اسم حفصية [2].

كما تميز المجتمع في بايلك الشرق بتأصل العقيدة الدينية الاسلامية بين افراد الاسرة و الاهتمام بحفظ القران الكريم و تعلم اللغة العربية و قواعدها و آدابها و التكافل الاجتماعي و الاقتصادي في ميدان الواجبات و الخدمات و التجنيد الجماعي الالي لمقاومة الاخطار الخارجية و الداخلية فمن الناحية الدينية يلاحظ تمسك السكان الشديد بالدين الاسلامي و العمل على تطبيق اركانه ومبادئه العامة و تفرعاته المختلفة سواء في ميدان العبادات كالصلاة و الصوم و الزكاة و الحج او المعاملات كالإرث ، الزواج ، الطلاق و الشفعة و الرهن و غيرها. وهذا ما يفسر المركز الممتاز الذي يحتله لديهم المفتي و القاضي و الامام ،و معلم القران الكريم[3].

و يعتبر الدين الاسلامي القوة الروحية و الوحيدة [4]، واهم مصدر تأخذ منه التشريعات و تبني عليه العلاقات الاجتماعية [5]،غير ان التمسك بالدين الاسلامي صاحبته مظاهر سلبية كالدروشة والشعوذة و الخرافات

---

[1] قشي :المدينة و المجتمع، المرجع نفسه، ص 181.

*ما حمد: محمد، احمد، محمود، حميدة، حمود، حمودة، حمادة انظر : المرجع نفسه :ص 181.

*ما عبد: عبد الله، عبد النور، عبد الحق، أي كل الاسماء التي تتركب من الاسماء الحسنى انظر : نفسه: ص 182.

[2] نفسه: ص 181-184.

[3] يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية...، المرجع السابق ،ص 497.

[4] شاوصر: المصدر السابق، ص 83.

[5] الزبيري: المرجع السابق ،ص 48.

الخرافات والاباطيل و من بين هذه **الشعوذات** و **الخرافات** ، الايمان بقدرة الموتى على رزق الناس بالأطفال و الاموال، ومنع الضرائب و الشفاء من الامراض و الاسقام ، لذلك كانت تقام لهم الحفلات و الزردات عند قبورهم واضرحتهم و الايمان بجدوى التمائم و التعاويذ في شفاء الامراض و الزهد و التقشف في الحياة.[1]

ومن بين الرحالة الاوروبيين الذين ارخوا ظاهرة الدروشة و الخرافة **"شلوصر"** اذ قال في شان الشعوذة واصحاب الكرامات "....يوجد في الجزائر نوعان من المرابطين يمثل النوع الاول اصحاب المساجد الذين تعلموا القران فصاروا يعلمون القراءة و الكتابة و يعلمون الاطفال ، اما النوع الثاني فيمثله رجال دراويش يظلون فالهواء الطلق ليلا نهارا ... و هم اوسخ ما رأيت في حياتي اذ انهم لا يغتسلون ولا يحلقون وجوههم ولا يمشطون شعورهم و ليس هناك ما هو ابعث على القرف من شعورهم الكثيفة الطويلة فوق رؤوسهم العارية ....ويعتقد السكان المحليين ان لهم صله بالله وانهم لذلك اصحاب كرامات، ويستشيرهم الجنس اللطيف بصورة خاصة من كل ما يتعلق بالأمراض الجنسية والحمل وفي كل مرة يعيدونهم بانهم سيطلبون ذلك من الله في المناسبة القادمة ....
فاصبح ايمان الناس بكراماتهم بلا حدود" ،ما كان الاهالي يلجؤون في حالات الامراض النفسية والحمى الى كتابة التمائم و الرقاوي لدى الشيوخ الذين يتعاطون هذه المهنة وكان البعض منهم يبالغ في الامر فيخلط بين العلاج و الشعوذة كوسيلة لابتزاز اموال البسطاء[2].

ولا شك ان هذا الصنف من المرابطين ،لا يمثل المتصوفين الحقيقيين ذلك ان من سمات المتصوف والزاهد والمرابط الحقيقي الابتعاد عن الدنيا و مجانبة اهل الحكم و اتباع قواعد الدين. لكن كثرة هذا الصنف المنحرف خلال العهد العثماني وسكوت ارباب السلطة عليه و تبادل الرشى والهدايا بين الطرفين تدل على المرض الذي اصاب المجتمع في بايلك الشرق آنذاك على غرار الايالة الجزائرية فهذا الصنف من ادعياء التصوف كان يستعمل جميع الوسائل لنشر الجهل والخرافة ، لقد ذكر ابن الفكون **(منشور الهدايا)** نماذج كثيرة على طلب المرابطين العطايا والهدايا من المسؤولين ،وعلى تورط اعياد الولاية في الفساد والتحلل واتهمهم الفكون بالزندقة واتخاذ التصوف ذريعة للموصول الى الدنيا واستغلال عقول العامة ، وقد جاء في مقدمة مؤلفه ما يلي: "اما بعد ،فلما رأيت الزمان باهله تعثر وسفائن النجاة من امواج البدع تتكسر وسحائب الجهل قد اظلمت، واسواق العلم قد كسدت فسار الجاهل رئيسا والعالم في منزلة يدعى من اجلها خسيسا وصاحب اهل الطريقة قد اصبح و اعلام الزندقة على راسه لائحة ، و روائح السلب و الطرد من المولى عليه فائحة ... ربما صارت الطائفة البدعية مقطعا للحقوق، وقسما يقسم به في البر و العقوق...من مات منهم (**اي الطائفة البدعية**) بنوا عليه و شيدوا بناءات و جعلوا الالقاب التي لا تصلح لهم و هي من اوصاف سادات العلماء العاملين و الصلحاء الفاضلين الكاملين "[3].

[1] بوعزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية...، المرجع السابق، ص 497
[2] شلوصر: المصدر السابق، ص 84.
[3] أبو قاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، ج1،المرجع السابق، ص477 -479-480.

كما ان البايات على غرار السكان المحليين كانوا يؤمنون بالدراويش، اذ يضيف شلوصر بقوله : " ... فقد كان الباي يخشى ان يدعو عليه فيصاب بالعمى..." و من الروايات الشعبية التي تثبت مدى تأثير الخرافة على المجتمع ان صالح باي [1]، اقدم على اعدام ولي صالح اسمه سيدي احمد على الرغم من توسل حاشيته و جهاد البلد المعفو عنه و اعتقد السكان ان هذا الولي قد تحول الى غراب و يرى في ذلك طالع الشؤم ينذر بالعاقبة الوخيمة على صالح باي[2].

كما تذكر بعض المصادر ان باي قسنطينة **حسن بوحنك** اعطى للمرابط الشليخي قصرا كما انشا له الباي المذكور زاوية[3]،و عليه فقد كانت ظاهرة الاعتقاد في المرابطين و كرامتهم شائعة في الاقليم الشرقي على غرار الايالة الجزائرية و قد غطت هذه الظاهرة العهد من اوائل القرن **10 هـ/16م** الى اوائل القرن **13هـ / 19م** ورغم سلبيات هذه الظاهرة فان تأصل العقيدة الدينية كان لها تأثيرا ايجابي مهم الدوام[4].

1. **مكانة المرأة الاجتماعية في بايلك الشرق :** موضوع المرأة في العهد العثماني من المواضيع التي لم يتطرق لها الكثير من الباحثين المهتمين بهذا العهد و ذلك لقلة المادة الخبرية و شحها و تفرقها في المصادر المتمثلة فيما كتبه بعض الرحالة الاوروبيين بالإضافة الى مذكرات الاسرى و القراصنة، وسنحاول في هذا الصدد اعطاء لمحة عن وضعية المرأة في الشرق الجزائري اثناء العهد العثماني و مكانتها الاجتماعية، و مدى مساهمتها في عقود المعاملات و المبادلات الاقتصادية و التي كتبت في اطار اسلامي، هذا الدين الذي رفع عن المرأة تهمة القصور الدائم و جعلها اهلا لإدارة اموالها و التصرف والتعاقد من غير اللجوء الى الرجل [5]،خلافا لما كان يشاع من ان المجتمع هو مجتمع الرجل فان المرأة قد لعبت فيه دورا اساسيا في الميدان الاقتصادي و الاجتماعي و حتى السياسي و الثقافي[6].

لقد كان للمرأة في مجتمع بايلك الشرق مكانة علمية خاصة على غرار نساء الجزائر فهي اساس العادات و التقاليد و القيم المتوارثة . غير ان حياتها المحتشمة داخل المنزل حال دون التعرف على اوضاعها الخاصة بدقة، فليس هناك سوى القليل من المصادر التي تتعرض لها و مع ذلك فان المرأة في بايلك الشرق كان لها دور مهم في الحياة الاجتماعية لم ابدا كما تدعيه الكتابات فان المرأة في بايلك الشرق كان لها دور مهم في الحياة الاجتماعية لك يكن ابدا كما تدعيه الكتابات الغربية انها تقوم بدور ثانوي و لم يقتصر عملها على تربية الاطفال و شؤون البيت

---

[1] صالح عباد: المرجع السابق ،ص 292.

[2] سعيدوني: دراسات و ابحاث، المرجع السابق، ص 73-74.

[3] أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق ص 373.

[4] المرجع نفسه: ص 487.

[5] صرهودة يوسفي: معاملات و مبادلات اقتصادية في قسنطينية اواخر العهد العثماني، ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة قسنطينة، 2004-2005، ص 134.

[6] شريفة طيان: ملابس المرأة الجزائرية بمدينة الجزائر ، دراسة لنيل شهادة الماجستير في الاثار الاسلامية، جامعة الجزائر، معهد الاثار، 1990-1991 ص 13.

من طبخ و غسيل بل تعدته الى اعمال و اشغال يدوية متنوعة كصناعة الاواني و غزل الصوف و نسج الحياك والبرانس و الجلابات، و اعمال التطريز, كما كان لها باع في مجال المعاملات و المبادلات هذا ما سنتطرق اليه لاحقا، اضافة الى بعض النساء كنا على دراية بصناعة الحرير مث ل الاندلسيات اللائي تعلمن هذه الصناعة في وطنهم الاصلي، و جلبن معهن هذه الحرفة الى الجزائر و باقي اقاليمها و لم تقتصر الصناعة داخل البيت و انما فتحت ورشات عامة تحت اشراف معلمات اندلسيات، هذا يدخل في مضمار تأثير المرأة الاندلسية على المرأة الجزائرية[1]،كانت وضعية المرأة المدنية تختلف كثيرا عن نظيرتها بالريف فالمرأة الحظرية هي سيدة بيتها الا انها محرومة من الشارع [2]،مهما كانت طبقتها الاجتماعية سيما اذا كانت ذات جاه ومال فلا تخرج وحدها بدون صحبة وصيفتها او برفقة اطفالها [3]،وهي كذلك محرومة من مشاركة الرجل في الحياة العامة [4]، لعل من سيئات العهد العثماني عدم اعطاء نصيبها من التعليم و هذه الظاهرة عمت كافة اقاليم الايالة الجزائرية، حيث حرمت المرأة من تعلم القراءة و الكتابة حتى لا يكون لها اتصال بالخارج ذلك ان المرأة الجزائرية المسلمة كأنها كانت غائبة طيلة هذا العهد على المسرح الرسمي فلا اميرات و لا سيدات مجتمع يشاركن في الحياة العامة و يكن قدوة للأخريات، و لا شواعر او كواتب يسهمن في الحياة الثقافية و ارقية الذوق الاجتماعي.

فالمجتمع الجزائري[5]، من هذه الناحية كان اشل و لعل السبب في ذلك يعود الى ان الحكام كانوا غالبا من من الغراب و المغامرين و كان ما يشغل وقتهم هو جمع الاموال و البقاء في الحكم و اذا اهتموا بالمرأة فلا يعنيهم منها سوى كونها جارية بالدرجة الاولى و لا يعنيهم كونها عنصر مهم في المجتمع وجب تعليمها و تثقيفها، كما ان معظم الحضر و سكان الريف قد اهملوا هذا الموضوع عملا بقاعدة " **الناس على دين ملوكهم** " و غيرة على بناتهم في مجتمع لا تكاد المرأة تظهر فيه حتى يعتدي عليها و قد شذت عن هذا الوضع بعض بنات الاغنياء اللائي كن يحضرن المعلم الى بيوتهم او بنات المعلمين انفسهن و لذلك نجد من حين لآخر فتاة متعلمة.

اما المرأة الريفية فقد كانت اكثر حضورا من المرأة الحضرية و كانت تقوم بدورها الاجتماعي والاقتصادي بدون تحرج في حدود البيئة والتقاليد الدينية[6]،اذ تتمتع بحرية كاملة وبإمكانها الخروج من البيت متى ارادت [7] ،وكانت ،وكانت تقاسم الرجل كل متاعب العمل من حرث وسقي وعلف الحيوانات ...و كانت بالطبع تربي الاولاد و

---

[1] شريفة طيان: المرجع نفسه، ص13.

[2] عبد الله شريط و اخرون: الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965، ص 156.

[3] طيان: المرجع السابق ص ،13.

[4] الزبيري:المرجع السابق، ص 156.

[5] ويليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تع، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 105.

[6] سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، ج1،المرجع السابق ،ص 340-342.

[7] طيان:المرجع السابق، ص 13.

تقوم بأعباء المنزل، كما كانت تنسج ملا بس الاسرة من برانيس و قنادير و مناديل بالإضافة الى نسج الزرابي و الحياك وغيرها[1].

وتقوم بأعمال كثيرة على حد تعبير شلوصر " ... تستطيع امرأة واحدة القيام بالعديد من الاعمال ففي الفجر تحلب الابقار و الاغنام ثم تأخذ واحدة في مخض الحليب، بينما تنظم اخرى الخيمة و الباقيات يسقن الماشية الى الرعيان، و تتم تهيئة الزبدة على الصور التالية: تعلق بعمود خشبي ذي عقب و ثلاث سيقان في علو الانسان تقريبا قربة تحتوي على اللبن الجديد بواسطة حبال من ارجلها الاربعة و تجلس المرأة امام العمود و تمسك عنق القربة و تحركها هنا و هناك بدون انقطاع ، و هكذا تنشا الزبدة بعد مدة قصيرة، بعد ذلك تجلس امرأتان خلف المنسج لتنسجا البسة للرجل و لا نفسهما و للأطفال و ينتصب المنسج بصورة مستقيمة و يربط به جزء من الخيوط و تمرر البقية بالأصابع، و تثبت بواسطة خشبة، و في الوقت نفسه تجلس امرأة ثالثة خارج الخيمة تشد خيوط صوفية بين اربعة اعمدة و تنسج القماش الذي تصنع منه الخيمة و هناك اخريات يهيئن القطور للرجل والاسرة كلها.. و تهتم المرأة بربط الماشية و حلبها بينما تغزل اخرى الصوف مستعملة مغزلا... و تمسك تحت ذراعها عصا لفت حولها الصوف و تسحب منها خيطا، و تضعه حول المغزل و تديره فوق فخذها، ثم تبعده عنها الى تحت و تدعه يدور ، و اثناء سحبها للخيط من الصوف ببطء ينشا خيط سميك و بعد العشاء تعود النسوة الى عملهن السابق ينسجن و يغزلن حتى ساعة متأخرة من الليل...."[2].

وقد كانت هذه الاخيرة **(المرأة)** سواء كانت بالمدينة او الريف تتمتع باحترام خاص من الرجال[3]، اضافة اضافة الى هذا فقد كانت هناك عادات اخرى شائعة في ارياف بايلك الشرق.

تزويج البنت في سن مبكرة ابتداء من الثانية عشر و احيانا حتى قبل ذلك، و عدم اشراكها في الارث اذا ما تزوجت الا في ظروف خاصة و المبالغة في احترام المرأة لدرجة الاحتشام من ذكر اسمها، و اعتبار ذلك عيبا من العيوب كقول احدهم وهو يذكر زوجته " **المرأة او العائلة اكرمكم الله** " و سيطرة الاب على ابنائه و ابقائهم تحت حمايته، و كفالته حتى بعد زواجهم و انجابهم للأطفال، مما يجعل الاسرة كثيرة العدد معقدة المشاكل في الميادين الاقتصادية والاجتماعية، وعدم اخذ راي الابن و البنت عند تزويجهما، و عدم السماح رؤية بعضهما الا اذا سمحت الصدف بذلك عرضا ويكتفي فقط برؤية الام و رايها و راي الاب والمهر بسيط و غير معقد, يطبق فيه راي و حكم الشرع الاسلامي و في الطلاق و الارث كذلك[4].

ومن خلال ذلك يمكن القول بان الاسرة في ارياف بايلك الشرق هي اسرة ممتدة تتكون بنائيا من ثلاث اجيال و اكثر لهذا تضم الاجداد و ابنائهم غير المتزوجين و ابنائهم المتزوجين.

---

[1] سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق ، ص 157.

[2] شلوصر: المصدر السابق ، ص 93.

[3] شريط: المرجع السابق ، ص 156.

[4] بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 502.

وكان افراد المجتمع في بايلك الشرق يفضلون انجاب الاطفال على البنات، و يحتفل بهم دونهن و يتناول افراد الاسرة طعامهم على اقداح مشتركة و بصفة جماعية و في وقت واحد الرجال وحدهم و النساء وحدهن والاطفال وحدهم، و يفضل الرجال بالأطعمة الجيدة، و لا يخاطب الرجل زوجته باسمها و كذلك الزوجة لا تسلم عليه و لا يسلم عليها بحضور احد، و ان غاب سنوات عليها، و لا يكلم الابن زوجته بحضور ابيه و امه و لا يتدخل في تسمية ابنائه و بناته و لا في تزويجهم مادام ابوه و امه على قيد الحياة اللهم اذا خرج عليهما وخاصمهما، و هو امر نادر قليل الوقوع [1].

ويتوجب على المرأة الحضرية اثناء خروجها من منزلها لقضاء حاجتها وضع الحباب فتتلحف " **بحايك**" تغطي به جسمها كاملا و قد فرض هذا الحجاب على كل النساء مهما كانت جنسيتهم ، فالمرأة المسلمة تضع " **حايك**" ابيض اللون و تغطي وجهها بقطعة قماش لا يظهر منها سوى العينان بينما المرأة اليهودية فقد خصص لها اللون الاسود وكانت بذلك تتميز عن النساء الاخريات ، و بالنسبة للمرأة **الزنجية** فتتحجب هي كذلك بحايك يخالف حايك المرأة المسلمة و اليهودية ويكون في اغلب الاحيان **ازرق سماوي** و تلتقي الزنجية مع اليهودية في عدم تغطية وجهها، وجرت العادة ان تذهب المرأة مرة فالأسبوع الى الحمام الشعبي و هي مناسبة تظهر فيها الازياء وتعرض اثناءها النساء ما تملكه من حلي و جواهر [2]، و يبلغ عددها 20 حماما و لعل اول حمام بناه الاتراك كان حمام " **ثلاثة**" الكائن بحي الشط ويطلق عليه ايضا اسم حمام "لهوا" كونه بني فوق المنحدر اما سبب تسميته حمام ثلاثا فانه كان الوحيد الذي حدد سعره بثلاثة " **صوردي**" بينما حدد في الحمامات الاخرى بخمسة [3]، كما انت المرأة في بايلك الشرق تواظب على زيارة الاهل و الاقارب، كما كانت تخرج للترفيه في الحدائق العامة وتخرج لزيارة اضرحة الاولياء الصالحين و المقابر[4].

في هذا الصدد يقول المؤرخ شلوصر: "…. ان النساء العربيات لا يعرفن التسلية او الاجتماعات العامة باستثناء حفلات الزواج و مأتم اقاربهن…. "[5].

بالإضافة الى هذا فقد قامت المرأة في بايلك الشرق بالعديد من الخدمات الاجتماعية و الخيرية العامة ، فقد كانت توقف الاوقاف على الفقراء و المساكين و تساهم في تحبيس الكتب و نحوها على المساجد و مراكز التعليم [6]، و كمثال على هذا " حبست امة الله تعالى راضية بنت قاصد شاوش الانجشاير جميع الدار الشرقية المفتح اسفل سويقة ابي ثعلب من باب الجابية على نفسها ثم على من سيوجد لها من الذكور و الاناث على حد

---

[1] بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية…، المرجع نفسه، ص 502.

[2] طيان: المرجع السابق ، ص 14.

[3] محمد عثمان : المرجع السابق ، ص 42.

[4] طيان: المرجع السابق ،ص 14.

[5] شلوصر: المصدر السابق ص 94.

[6] سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر،ج1، المرجع السابق ص 159.

السوية بينهم على الحرمين الشريفين، و الشطر الاخر يكون واقفا على الجامع الاعظم المعروف بسيدي الكتاني قعدة الحرام **1202** هـ".[1]

ومن المؤثرات الخارجية على الزي المحلي نجد اساسا بعض التقاليد الاندلسية و التركية التي اضحت سائدة في المجتمع الجزائري. وذلك بفضل قدوم المهاجرين الاندلسيين منذ اواسط القرن **9هـ/15م** و مجيء جماعات من الاتراك العثمانيين منذ القرن **10هـ/16م** و هذا ما سمح بانتشار عاداتهم وتقاليدهم التي اضحت رفدا حضاريا قويا في انماط الحياة وطريقة العيش فيما يتعلق بلباس المرأة الجزائرية وعليه اصبح اهتمام المرأة في الايالة الجزائرية عامة وفي بايلك الشرق خاصة منصبا على زي المرأة الاندلسية وطريقة لبسها الذي كان خلاصة امتزاج حضاري بالأندلس وللتقاليد البغدادية العريقة والمتمثلة خصوصا في **السروال** الابيض والذي يستر اسفل جسمها و **الحايك** الذي يلفها من الراس الى القدم، **النقاب** للوجه، **القميص** المصنوع من الكتان والقطن وتنحصر معظم هذه التأثيرات الخارجية في ملابسها اكثر والتأثيرات التركية قد انحصرت في المراكز الحضرية و المدينة بينما تقل او تكاد تنعدم في المناطق الريفية الا انه على الرغم من التأثيرات الخارجية بقي اللباس المحلي يتمتع بخصوصية و قد سجل حضوره في الاوساط المحلية على الرغم من منافسة اللباس التركي[2].

1.1. انواع الالبسة و الحلي:

لقد كانت للمرأة مكانة خاصة و متميزة في العهد العثماني سمح لها بالاهتمام بمظهرها الخارجي اذ اتبعت في زيها و اناقتها المرأة التركية، و تأثرت بطراز اسطنبول الذي جلب الى الجزائر بواسطة المبعوثين و العائدين منها قصد اداء مهماتهم التي كلفوا بها، و كانت نساء بايلك الشرق شديدات الرغبة في استعمال الروائح و الاطرزة المزركشة و التركيبات العطرية ، فالمرأة في بايلك الشرق معروفة بأناقتها و حبها للعطور و النباتات التزينية و هي متعلقة بعادة تقطير الورد و الزهر في كل عام، و ذلك خاصة في عهد البايات، و يكون موعد التقطير في فصل الربيع مرفوقا بإقامة الولائم و الافراح كتعبير عن الاحتفاء بهذا الموسم، و يستعمل ماء الزهر و الورد في تحضير بعض الحلويات و الاكلات و التقطير فوق القهوة لإعطائها نكهة خاصة[3].

يعتبر اللباس عنصرا اساسيا من عناصر الحضارة الانسانية و تعبيرا صادقا عن حضارة اي امة و مرأة صادقة لمكونات اي شعب من الشعوب في اي فترة كانت كما يعرفنا عن الاجتماعية و الاقتصادية و يبين لنا نمط المعيشة و ذوق العصر بالإضافة الى الاطلاع على طبقات المجتمع و مستواها الصناعي و التجاري و الفني والاجتماعي[4].

---

[1] قشي: المدينة والمجتمع، المرجع السابق ص 157.

[2]طيان :المرجع السابق، ص 06.

[3]محمد عثمان : المرجع السابق ص 44.

[4]طيان: المرجع السابق ص 27.

فمن مظاهر لباس المرأة في بايلك الشرق الملفت هو ارتداء الملاية في تنقلاتها خارج البيت و هي عبارة عن ملحفة سوداء و يقال انها ارتدتها حزنا على موت صالح باي الذي كانت له شعبية و منزلة خاصة لدى اهالي قسنطينة[1] .

اختلف لباس المرأة الحضرية كثيرا عن لباس المرأة الريفية في البايلك فقد تميزت المرأة الحضرية بلبس[2]،**الحايك** الذي يصنع عن الصوف او الحرير و تستخدمه المرأة لتستر نفسها عند خروجها، فلا يوجد ما هو افضل منه في توفير الدفء بالرغم من خفة وزنه ، و يظهر **الحايك** في الوثائق بالوان مختلفة منها الابيض والاحمر و هذا النوع من الملابس يوجد بكثرة في عقود الزواج **الصداق**، و عقود الهبات و التركاة و الى جانبه توجد القندورة او الجبة.

والتي يصفها بعض المؤرخين بانها اهم اثواب النساء الحضاريات و يصفونها بانها فضفاضة و بلا اكمام ومتعددة الاوان و تصنع من المخمل و الحرير، و قدورد لفظ القندورة في عدة عقود منها عقد في محرم 1239هـ ذكر فيه "...الحمد لله توفيت و عصبها جانب بيت المال لا وارث لها في علم الشاهدين وانحصر مخلفها في لحاف ،مطرح ،حايك ،محرمتان ،قمجة و قندورة..."[3].

فيصنع الحايك من الصوف فيه 6 بوصات في الطول و 2 في العرض سماه الرومان الطوجة فهو يستعمل معطف في النهار و غطاء بالليل وهو لباس غير مريح لأنه يتحتم على لابسه ان يمسكه بيده فهو يصنع من الصوف الابيض او الاحمر او الحرير ويستعمل غطاء الفراش لأنه يوفر الدفء و خفيف الوزن.

اما الحزام فتستعمله المرأة كما يستعمله الرجل، وحزام المرأة يضع من الصوف المغزولة و تلفه المرأة لفة واحدة علة خصرها اما حزام الرجل فيضع من الصوف اوالحرير يلفه عدة مرات حول وسطه، ويعلق عليه " **يطقانا**" وهو سيف تركي محدب، ويضع في طياته ساعته ومحفظته ونقوده.

اما بالنسبة للباس نساء الارياف او المرأة الفلاحة في البادية قال سبنسر ويليام : بانها تلبس حايك وتحته قميصا وسراويل وقد تحول الجزء الاعلى من الحايك الى اشكال من الكيس وذلك بقصد حمل الاولاد الصغار ويغطي راسها بقطعة قماش قد تخللها خيوط ذهبية و فضية و تلبس معها قطعة مثلثة من القماش قد زركشت ولونت بتفنن كبير وتدلت على الظهر[4].

ويأتي بعدها لباس خاص يدعى **القفطان** ويعتبر من الالبسة غير الاصلية بالجزائر، ودخل الى الجزائر مع دخول الاتراك[5].

---

[1] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 44.

[2] محفوظ سماتي: الامة الجزائرية نشأتها و تطورها، تر، محمد الصغير بنائي، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، ص 76.

[3] يوسفي: المرجع السابق، ص 38.

[4] شالر ويليام: المصدر السابق ، ص 83.

[5] يوسفي: المرجع السابق ،ص 39.

وهو مفتوح اليدين مصنوع من قماش قطني و في مقدمته قطعة من القماش الحريري الاصفر على شكل لهيب النار [1] ،و هذا قيمته باهظة حيث يقدر ما بين 50 الى 60 ريال ويطرز بخيوط من الذهب او الفضة على الكتف ومن الامام و في **الحزام** له ازرار كبيرة مزينة بخيوط ذهبية او فضية على الجانبين وتضاف اليه في بعض الاحيان جواهر لتزيينه، نظرا لثمنه الباهض فانه يلبس من طرف اعيان المدينة خاصة العائلات التركية[2].

وبالإضافة الى ذلك نجد " **الشال**" تتزين به المرأة في بيتها و هو كثير الالوان و في وسطه شريط لكي يساعد على تثبيته و يستعمل هذا الشال المصنوع من الصوف كأداة المتدفئة في ايام الشتاء، و يكون لونه احمر او ابيض[3].

ان اللباس التقليدي للرجال نجد على راس القائمة ثوب فضفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام و قلنصوه احيانا يدعى جلابة في المغرب الاقصى و يدعى جبة في تونس و برنوس في الجزائر [4]، و هو نوع من المعاطف له شكر دائري ينسج في وسطه **قلمون** و يصنع في العادة بقطعة واحدة بدون تخريط،, و هو بهذا الشكل يتسم بالبساطة و الاناقة ويستعمل لصنع نسيج البرنوس الصوف الناعمة البيضاء التي تمزج احيانا بالحرير [5]، او تستعمل لنسجه الوبر وهو شعر الجمل و تصنع زخارفه و حواشيه من الحرير، و كان يلبس في فصل الشتاء و يحمل في الاصفار وينسج من خيوط امتن[6].

والى جانب ذلك يوجد **السروال** الذي يرتديه الرجال غالبا على بايلك الشرق ويكون فضفاضا بين الرجلين وينزل حتى العقب ولا يلبس وحده و انما يلبس مع القندورة و البرنوس وهناك ملابس اخرى تابعة لملابس التي ذكرنا منها : الترخيمة، المحرمة (عصابة) القمجة، العمامة [7]، اما لباس الرجلين فهو البلغة التي تمل زي الرجل الرجل و اما الجوارب فلا يلبسها الا الشيوخ و في حالة البرد فقط[8].

وتغطي المرأة الريفية راسها بمنديل منسوج بطريقة جيدة بخيوط ذهبية و فضية كما تضع معه قطعة قماش مثلثة الشكل مصنوعة من الكتان و مزخرفة بطريقة فنية عالية تشد هذه القطعة مؤخرة الشعر بحيث يظهر منه خصلة ومن عادتها ان تترك شعرها طويل يصل بعض الاحيان الى الارض [9].

---

[1] شالر: المصدر السابق، ص 103.

[2] يوسفي: المرجع السابق، ص 39.

[3] المرجع نفسه: ص 39.

[4] سبنسر ويليام: المرجع السابق ،ص 103.

[5] شالر: المصدر السابق، ص 83.

[6] سليماني احمد: المرجع السابق، ص 61.

[7] يوسفي: المرجع السابق ،ص 39.

[8] شالر ويليام: المصدر السابق ،ص 83.

[9] طيان: المرجع السابق، ص 164.

جدول رقم (3): خاص بأنواع الملابس المنتشرة في الاقاليم الشرقي من الايالة الجزائرية

نوع الثياب	مما يصنع	سعره	ملاحظات
الحايك	الصوف	10 اريلة	تستعمله النساء
الترخيمة	/	04اريلة الى 06اريلة	تستعمله لتغطية الوجه
قندورة	المخمل/الحرير	01اريلة الى 02اريلة	تلبسها المراة
برنوس	الصوف	08ريال الى 30ريال	بمثابة المعطف للرجل
شال	الصوف و الحرير	/	للنساء
قفطان	الحرير	02ريال الى 50ريال	/

يعتبر الحلي من اللواحق الضرورية المزخرفة و الجمال نظرا لدوره الهام في الحياة العائلية و الاجتماعية والاقتصادية للمرأة خاصة اثناء الاحتفالات و الاعراس [1]،و ان المرأة الحضرية في بايلك الشرق تمتلك مجموعة من الحلي الثقيلة و الخفيفة من كلا المعدنيين الذهب و الفضة فالحلي يعكس انتمائها الاجتماعي فالذهب يدل عل غناءها علما انه قليل التواجد نظرا لقيمته الثمينة و الغالية و لعل هذا ما يفسر ظهور الصداق في صورة متواضعة اجمالا[2] ،كما يفسر غياب الحلي الذهبية بانه كان يستخدم في صناعة العملات الى جانب انه لا يوجد له مناجم مناجم في الجزائر فهو يأتي مع القوافل من السودان،أما الحلي الاكثر انتشارا المصنوعة من الفضة[3].

ولعل ابرز انواع الحلي المتداولة من طرف المرأة الحضرية سواء ذهبية او فضية: الخلخال الذي يعتبر اكثر الحلي شيوعا في معاملات البيع و الشراء, فهو بالنسبة للنساء في ذلك الوقت علامة من علامات الابهة و الغنى، كما يستخدمونه للفت و الانتباه، و يمكن للمرأة ان تضع من واحد الى الواحد فوق الاخر، و كانت المرأة الواحدة تستحمل في رجلها ثروة، فهو اغلى الجواهر الفضية و يصنع من الذهب و الفضة.

المقياس فهو من الحلي التي تلبسها المرأة في ايديها و يصنع من الذهب و الفضة و يكون عريضا وفضفاضا وكلما قل عرضه عرف باسم المسايس ، وهذا بالإضافة الى الاقراط التي تضعها المرأة في شحمة الاذن وكانت تضعها المرأة الغنية او الفقيرة لكنها تختلف فالمعدن و الحجم بالإضافة الى الخواتم التي تدل على مكانة المرأة الاجتماعية، اذ لا تتمكن من وضعها الا المرأة الغنية التي لها خدم و حشم و تكون غالبا من الذهب ومن الحلي التي وردت في وثائق المعاملات و المبادلات نأخذ مثال ذلك " الحمد لله اشهدت امينة بنت محمد بنت الصالح وهي بحال الصحة تعلم ما تقول وما يقال لها انها اوصت بأربعة خواتم لامها و اوصت لربيبها بخلاخل ذهبا وحضر زوجها قاسم فأجاز ما اوصت به..."[4]

[1] Musée national de arts et tradition populaires : la vie quotidienne Alger, 2007,P37-38-39.

[2] قشي: المرجع السابق، ص 311.

[3] يوسفي: المرجع السابق ،ص 49.

[4] المرجع نفسه :ص 40.

و كانت المرأة الريفية تتزين بعقود و اساور و اقراط و خلاخل و خواتم الفضة او النحاس و حتى الحديد[1].

جدول رقم (4) : خاص بأنواع الحلي الواردة في المعاملات و المبادلات[2].

نوع الحلي	معدنه	سعره	ملاحظات
خلخال	فضة	من 31 الى 100 ريال	من خلال اسعاره نلاحظ انه له احجام و اوزان كثيرة و هي التي تتحكم فيها
مقواس	الفضة	من 15 الى 25 ريال	/
	الذهب	من 50 حتى 80 ريال	يوجد بقلة فالعقود
قرطين	الفضة	/	/
	الذهب	من 50 الى 100 ريال	تباع حسب الحجم
الخاتم	الفضة	01 ريال	عند عامة الناس
	الذهب	10 ريال	يوجد عند النساء من طبقة الاعيان
خلالة	الفضة	40 ريال	كثيرة الاستعمال
	الذهب	35 ريال (صغيرة الحجم)	نادرة الوجود

العصابة: و هي عبارة عن شريط من الذهب مرشوشا بلؤلؤ من الالماس و الزمرد, بالإضافة الى خيط الروح فهو حلي المجبين تضعه النساء تحت العصابة يتكون من 19 فصا مرتبط فيها بحلقات و كل فص مرصع بالماس بالإضافة الى الرعاشة و بها تكتمل حلية الراس[3].

2.1. الاعياد الدينية و الموسيقى:

ان الاعياد الدينية كانت في ذلك العهد و لا تزال كثيرة منها: احد ايام الاسبوع المباركة و هو يوم الجمعة و يسمونه نهار الجمعة حيث قال شالوصر انه لم يجد فرقا بينه و بين الايام الاخرى، فالناس يذهبون كالعادة لأداء الصلاة و يمارسون اعمالهم. و كذلك عبر سبنسر عن الفرحة بقبول شهر رمضان شهر الصيام شهر التوبة و الغفران و بنهايته يأتي العيد الصغير فبمجرد رؤية الهلال يعلن عن بداية الصيام بطلقة مدفع و يبدا الامساك في الثالثة صباحا بعد صلاة الفجر فينقطعون عن الاكل و الشرب و لا يضعون الماء في افواههم عند الغسل و لا يدخنون و لا يشربون الدواء و اذا ارغمهم المرض فيصومون تلك الايام فيما بعد[4].

لأنه سبحانه و تعالى امرهم بهذا في قوله:" يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (183) اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر و على

[1] طيان: المرجع السابق ،ص 165.

[2] المرجع نفسه: ص 164 .

[3] Musée national du Bardo : les parures et Bijoux arts et Algeriens alverse l’histoire, Alger, 2007, P105-106.

[4] شالوصر: المصدر السابق، ص 85.

الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرا له و ان تصوموا خيرا لكم ان كنتم تعلمون(184)"[1].

فكان المسلم يصوم يوما كاملا حتى يسمع طلقة المدفع و الاذان فيتناول الصائم فطوره و هكذا يصوم المسلم حتى رؤية الهلال ثانية [2]،وهو هلال عيد الفطر حيث يقبل الحضر و الفلاحون و اصدقاء و غرباء بعضهم بعض في الراس او في الكتف اليمنى و يتبادلون التهاني حتى ينضم الباي ليلة العيد حفلة عشاء تعزف خلالها الموسيقى و في يوم العيد ايضا بإمكان اي انسان ان يدخل القصر ليتمنى اسيده الباي عيدا سعيدا.

وفي حوالي 9 صباحا يركب الباي جواده و الطبول تتعالى و تتبعه اجود خيوله و بغاله مغطاة بأسرجة و اغطية مطرزة و يحيط بموكبه عدد كبير من الاهالي شيوخا و شبانا راكبين و راجلين و يجلس الباي فوق مخدة في رحبة و يبدا السباق بين الخيل تحت انغام الموسيقى و صوت البارود،بعد ذلك يوزع الباي الهدايا على خدامه و حراسه، و يقدم الجوائز لأحسن الفرسان اما الاطفال فتقام لهم اراجيح و خيام يتناولون فيها عصير الليمون و البرتقال مجانا و يصدر عادة العفو عن الاسرى الذين شفع فيهم[3].

يدور العيد 3 ايام يرتدي فيه الاهالي ما لديهم من البسة و خاصة الاطفال يرتدون الثياب المطرزة بالذهب والفضة و السراويل المصنوعة من الصوف او القطن مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة[4].

وبعد مدة شهرين و عشرة ايام [5]، حسب ما ذكر ويليام شالر في مذكراته يأتي عيد اخر و هو **(عيد القربان بيرامي)** حسب العثمانيين و معناه الحرفي و عيد المسلم الكبير للتضحية عيد الكبير او الاضحى لدى عالم المسلمين الناطقين بالعربية و يحتفل فيه بذكرى التضحية المقدسة من قبل ابراهيم بكبش بدل ابنه اسماعيل [6].

و يحتفل به بالطريقة نفسها الا ان على رب العائلة ان يذبح لكل فرد ذكر من افراد عائلته خروفا ويؤكل اللحم لمدة ثلاث ايام بأكملها[7].

---

[1] سورة البقرة :الاية 183-184، ص 28.

[2] داود ابو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان 1830-1855، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989 ،ص 131.

[3] شاوصر: المصدر السابق، ص 86.

[4] داود ابو العيد: المرجع السابق، ص 134.

[5] شالر ويليام: المصدر السابق ،ص 175.

[6] سينسر ويليام: المرجع السابق ،ص 120.

[7] شاوصر: المصدر السابق، ص 86.

اما عن المولد النبوي الشريف فكان فيه الاحتفال مميز حيث تكون مختلف الاطباق من الحلويات والمأكولات كما تستعمل فيه الشموع[1].

فهو عيد كبير بالنسبة للأطفال فالمدارس تزين بالأعلام والازهار ويقف التلاميذ امامها ويدفع المارة النقود للأطفال فيرشون وجوههم بالماء المعطر،وتوجد بقسنطينة مدارس كثيرة ، ولذلك فمن المستحيل ان يمر المرء في هذا اليوم بشارع من الشوارع دون ان يتوقف[2].

اما عن حفلات الختان والولادة فهي حفلات تشبه الحفلات الاخرى تماما فكان الاطفال يختنون في سن الرابعة ويدعى الرجل الذي يقوم بهذه العملية(البشار) يقدم له الاثرياء مقابل ختن ابنائهم هدية لا تزيد عن ثمانية بوجو،اما ابناء الفقراء فيختنهم مجانا ويتم ختان ابناء البادية على يد (المرابط) فالختان بالنسبة لعرب الريف حفلة دينية اكثر منها دنيوية اما الحضر فالعكس من ذلك يطعمون ويكررون نفس الحفلات التي تقام بمناسبة الاعراس[3].

اما عن العقيقة تتمثل في ذبح كبشين للذكر وكبش واحد للأنثى ثم يعلن اسم الولد وغالبا ما يكون الاسم من احد اسماء العائلة حيا كان او متوفيا وبعد الذبيحة يوزع اللحم على المحتاجين وسند هذا العمل الخيري ليحفظ الله هذا الطفل من كل اذى اما النصف الاخر يحضر كمؤدبة للعشاء المدعوين وفي نفس اليوم تقص خصلات شعر المولود وتوزن عند الصائغ ويحول وزنها من الذهب الى عملة نقدية وتمنح الفقراء[4].

اما عن **الموسيقى** الجزائرية فقد عرفت تنوعاواختلافا ففي الارياف كانت تعتمد على المعاني اكثر من الانغام، أما في المدن الكبيرة فالأمر مختلف عن ذلك لان الأندلسيين والعثمانيين الذين استقروا بمدينة الجزائر نقلوا معهم موسيقاهم البديعة ولقد نشا بمدينة الجزائر خليط من الموسيقى الاندلسية الخالصة النقية والموسيقى الاعجمية الاغريقية التي اتى بها العثمانيون مع الموسيقى المحلية فتكون من ذلك ديوان الموسيقى الجزائرية التي احتفظ بها اهل الجزائر حفاظا دينيا وتناقلوها لفظاً وانغاماً وهي موسيقى علمية فنية واسعة الغنى الى درجة مفرطة، ومن هنا اعتبر المجتمع الجزائري في العهد العثماني ان هذه الفنون(الموسيقى) من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها[5]، كذلك بالنسبة الى مدينة قسنطينة على الرغم من وجود الموسيقى المحلية والاندلسية

---

[1] سعد الله ابو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ،ج1، المرجع السابق،ص156.

[2] شاوصر: المصدر السابق، ص 86.

[3] داوود ابو العيد: المرجع السابق، ص 139.

[4] Musée national de l'arts et traditions populaires : la vie quotidienne , apcit ,p 68 .

[5] سعد الله ابو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 440.

فقد ادخل العثمانيون بعض الاتهم وادواتهم الموسيقية على الطرب القسنطيني ، فالطراز الموسيقي كان من النوع المختار وهو طراز شديد الحدة النغمية وقد اصبح شعبيا في الامبراطورية العثمانية من طرف الجند الانكشاريين وكان معبرا عن تضخم وقوة العثمانيين والنوع الشعبي الاخر من الموسيقى كان الاندلسي ، وقد جاء به المهاجرون الاندلسيون من اسبانيا ثم امتزج من حيث استعمال الآلات الشرقية في غرفة مثل العود والرباب *، الطار والناي، و قد ظهرت في تركيبات مواويل الدراويش الاناظوليين على مستوى الاصوات النصف نغمية[1].

فيطلق على التراث الموسيقي المسمى بالاندلسي في مدينة قسنطينة باسم المالوف *ويخلف هذا اللون الموسيقي الكلاسيكي عن بقية الانواع الموجودة في المدارس الاخرى [2]،وبقي فن المالوف متداولا بين سكان قسنطينة والمدن الكبرى لان الموسيقى التركية ظلت محدودة الانتشار في اوساط اهل الحواظر لان الموسيقى الاندلسية كانت اجمل وارقى من التركية [3] ،وتعتبر قسنطينة عاصمة المالوف بفنانيها وفرقها ذات الصيت العالمي وفي هذه المدينة يتفرع الملوف لعدة طبوع **كالعيساوة والفقيرات والوصفان** و اصل كلمة مالوف،هو وفي المتقاليد ويغني باللغة العربية الفصحى ويحتوي على 24 نوبة نسبة الى ساعات اليوم ولم يطبق منها سوى 12 نوبة بسبب عدم التمكن من الاحتفاظ بكل النوبات بسبب تناقلها شفهيا فقط[4].

الا ان ظاهرة الموسيقى والغناء في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني, احدث اختلافا حادا بين الفقهاء ورجال الدين وظلت مطروحة امام انشغال المفتيين و رجال السياسة في القرن 17م بسبب قوة التيار السلفي في المدينة و شيوع التيار الصوفي بها، و قد اثارت هذه الظاهرة حفيظة الشيخ عبد الكريم الفقون حيث استنكر لجوء البعض من اهل التصوف الى استعمال الموسيقى في المدينة و الانشاء بمرافقة الالات الموسيقية و اطلق عليهم جماعة الشرب في زعافهم و الات طربهم و لهوهم [5]، وعلى الرغم من ذلك. فقد ثبت المالوف في مدينة قسنطينة و ظل اهلها متشبثين بهذا الفن الذي اصبح رائجا بين عامة الناس

*عبارة عن كمان ذي حبلين اثنين انظر : ويليام سبنسر: المرجع السابق ،ص 121.

[1] المرجع نفسه: ص 121.

*المالوف: هو احد انواع موسيقى الطرب الاندلسي، و هو مصطلح يطلق على الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربي بقسميه الدنيوي و الديني المتصل بمدائح الطرق الصوفية ، نشا في الاندلس و ارتبط، في بعض الاحيان بالمدائح، و هو لا يتقيد في الصياغة بالاوزان و القوافي انظر :محمد عثمان: المرجع السابق ص 44. و المالوف مصطلح الفنانين القسنطينيين هو ما اطلق على الموسيقى الاندلسية التي هاجرت من الاندلس و استقرت بقسنطينة فالفها اهلها و اعتادوا عليها منذ العهد الحفصي و قد اشتهرت به ايضا مدن اخرى كعنابة و سكيكدة انظر : سميرة زغيب: المالوف من الاندلس الى المغرب العربي دراسة تاريخية و فنية في مدينة قسنطينة، ص 96.

1 محمد عثمان : المرجع السابق ،ص 44.

[3] عبد العزيز فيلالي، لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 46.

[4] محمد عثمان: المرجع السابق ،ص 46.

[5] عبد العزيز فيلالي، لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 166.

وخاصيتهم، و قد كان العثمانيون يكثرون من اقامة الحفلات الشعبية و الرسمية التي تمارس فيها الموسيقى والغناء، حتى احرز هذا الفن على كل الاحترام و التقدير[1].

[1] عبد العزيز فيلالي، لعروق محمد الهادي: المرجع نفسه ، ص 166.

المبحث الثاني: نظام الزواج

1. الزواج

1.1. مفهوم الزواج:

1. **الزواج لغة:** استعمل لفظ الزواج لاقتران احد الشيئين بالأخر بعد ان كانا منفصلين فيقال تزاوج القوم ، ازدوجوا : تزوج بعضهم بعضا[1].

وهو حدث عظيم في كل المجتمعات خاصة في المجتمع الاسلامي من حكمته بناء الاسرة و حفظ و تقويم الروابط الاجتماعية و هو رابط شرعي يلتزم بمقتضاه تنفيذ ما انفق عليه في العقد لأنه نصف الدين [2].

كذلك هو الاقتران و الاختلاط لقوله عز وجل : " **اذا النفوس زوجت**" معنى هذا قرنت بأعمالها و ابدانها[3].

وقوله كذلك: «**حشروا الذين ظلموا و ازواجهم و ما كانوا يعبدون** "[4].. قال تعالى: " **و زوجناهم بحور عين** " بمعنى اقترنوا بهن[5].

2. **الزواج اصطلاحا:** هو عقد فرضه الله تعالى للإنسانية جمعاء و لمصلحة المجتمع البشري، في اقامة دعامة الاسرة التي هي عماد الامة فيذكر انه من سنن الانبياء و المرسلين لقوله تعالى: " **و لقد ارسلنا رسلا من قبلك و جعلنا لهم ذرية**"[6]،و من هنا شاع لفظ الزواج في اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام و الاستقرار لتكوين اسرة [7] ،لأنه اداة تناسل لحفظ الهيئة الاجتماعية [8]،فالزواج نظام الهي شرعه الله تعالى لخير الانسانية و ذلك لان حفظ النوع الانساني لا يتحقق الا بالزواج في اطار العلاقة الشرعية لان المنشئ للأسرة وهي الوحدة الاولى لبناء المجتمع و من هنا قضت الحكمة و الارادة الالهية و الفطرة التي فطر الله الناس عليها ,بضرورة الاجتماع والاتصال بين الرجل و المرأة في اطار الحقوق و الواجبات ووحدة الدم في نظام الاسرة[9].

وقد عرفه علماء الاجتماع بانه غالبا ما تستخدم كلمة " زواج" للدلالة على مؤسسة اجتماعية هذه المؤسسة التي تفرض على الشريكين عددا من الحقوق و الواجبات[10] .

---

[1] محمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن 20، مج4 ، ط3، دار المعرفة بيروت، 1971،ص 685.

[2] سليماني احمد: المرجع السابق، ص 49.

[3] سورة التكوير: الآية 17.

[4] سورة الصافات: الآية 22.

[5] سورة الدخان: الآية 54.

[6] سورة الرعد: الاية 38.

[7] العربي بلحاج: الوجيز في شرح قانون الاسرة الجزائرية، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 99.

[8] زهيدي يكنّ: الزواج و مقارنته بقوانين العالم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ببيروت ،(دت) ،ص 30:

[9] بلحاج: المرجع السابق، ص 100.

[10] عطا الله فؤاد خالدي و دلال سعد الدين العلمي: الارشاد الاسري و الزواجي، ط1، دار الصفاء، عمان ، 2009،ص 81.

فكل المجتمعات تضمن استمراريتها بمؤسساتها الزوجية ، و من دونها لا يمكن ان نفهمها على حقيقتها و من المهم دراسة ظاهرة الزواج كتنظيم اجتماعي قائم بذاته، فهو التزام جوهري بالنسبة للأطراف المعنية (**الزوج و الزوجة**) و كذلك لعائلاتهم و ذريتهم و المجتمع بصفة عامة، و الزواج بطبيعته الاساسية مرشح ليكون عقدا مدى الحياة [1].

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة * فليتزوج فانه اغض للبصر و احصن للفرج و من لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء**"[2].

ان الزواج في نظر بعض المجتمعات التقليدية ان الفتاة تهيا لان تكون زوجة قبل كل شيء و عليها ان تتدرب لمهمة ان تكون اما و ربة منزل و زوجة مطيعة و هكذا تصبح الغاية من ضرورة الارتباط الزواجي شخصية ونفسية و اجتماعية حيث تدل هذه الضرورة الى اتحاد رجل و امرأة بناءا على ود متبادل يستمر هذا الاتحاد مدى الحياة و يقول الانثروبولوجين ان الاسرة في الاصل الحقيقي للزواج و ليس الزواج هو اصل الاسرة[3].

فالزواج*** اذن شان عظيم في المجتمع خاصة و انه يتعلق بإنشاء علاقات المصاهرة، هذا ما يجعل مفهوم الاسرة مفهوما واسعا و ممتدا لا مفهوما قاصرا على الزوجين فحسب، فهو اساس تكوين الاسرة ولبنتها الاولى و لهذا الشأن احاطته الشريعة الاسلامية بهالة من القدسية و الاحترام[4].

وقد كانت ايام العهد العثماني سواء بالجزائر او ضواحيها (قسنطينة) ظاهرة شائعة في خصوص العرف الزوابي تتمثل هذه الاخيرة في المتوسط و يتم دائما من طريق امرأة مسنة صديقة لعائلة الزوج او الزوجة تسمى بالوسيطة****[5].

---

[1] بلحاج: المرجع السابق، ص 100.

*القوة: ماديا و معنويا انظر: ابن المنظور: لسان العرب، مج1، ج1، دار الحديث القاهرة، 1423هـ/2003م، ص398.

** ان الصوم يقطع شهوة النكاح انظر: المصدر نفسه :307.

[2] ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردة البخاري (256هـ/869م): صحيح البخاري، تخريج و ضبط، صديق جميل العطار، مج3،ط1،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003 م ، (باب النكاح رقم الحديث 5066)، ص 1303.

[3] مأمون طربيه: المرجع السابق ، ص 42.

[4] ابي الفرج ابن الجوزي: احكام النساء، دار الجيل- بيروت، (دت)، ص 75.

*** - **من اسباب الدفع للزواج**: تبادل الحب مع شخص اخر، البحث عن الامن الاقتصادي، انجاب الاطفال، تحقيق الاستقرار النفسي و العاطفي، الاستجابة لرغبة الوالدين ، الحصول على رفقة العمر ، الحماية و الشهرة و الوصول الى مكانة اجتماعية انظر: مأمون طربيه :المرجع السابق ،ص 51-52.

– **و من انماط الزواج**: الزواج الداخلي، الزواج الخارجي، الزواج المتعدد، الزواج المؤقت، الزواج المدني، انظر: المرجع نفسه ص (57،56،53،54،55،52)

****الوسيطة : هي امرأة مسنة صديقة لعائلتي زوج و زوجة المستقبل و يقمن بعمل ذي قيمة و يذهبن من بيت الى بيت في مهمات للعائلات اللائي لهن اولاد في سن الزواج و يستعمل عند تواجد النساء القابلات للزواج، و يجلبن الاخبار من وقت لآخر حول التطور الجسمي للفتيات من البيوت الى الاباء الراغبين في القيام بعقود زواج لبنائهم ، كما ان المتوسطات كن مفيدات في تزويد الاباء بالمعلومات الاقتصادية المتعلقة بأصهارهم المحتملين للمستقبل انظر: ويليام سبنسر: المرجع السابق ،ص 116-117.

فالتخطيط للزواج و عقده لم يكن عن الزوج لان الشباب اذا اراد ان يتزوج فانه لا يستطيع ابدا ان يقيم علاقة شخصية مع فتاة لأنه لا يجد وسيلة لدخول بيت الاسرة، و حيث يسمع ان لهذا الرجل او ذاك فتاة في سن الزواج فانه يرسل الوسيطة [1] ، اذن فالتخطيط للزواج كان يتم عن طريق الامهات و العلاقات النسوية التي تسعى بين الطرفين حيث يلتقي النساء سواء في الزيارات المتبادلة في المنازل او في الحمامات العمومية التي يترددون عليها كثيرا و التي تفتح ابوابها في فترة ما بعد الظهر للنساء فقط . [2]

والزواج آنذاك كانت له مميزات و شروط فمن مميزاته الزواج المبكر في سن 12 و 13 سنة. و كان حيث يبلغن هذا السن نضجن و بلغن سن البكر*[3].

هنا تنتهي دور الوسيطة بعد قبول الزوج والزوجة بالتقدم الى اهل الزوجة و خطبتها من اهلها فالخطبة تمثل في تقاليدنا اجزاء اولياء وتمهيدا من الاجراءات التي يقوم بها الخاطب او اقربائه للاتصال بالمخطوبة و اوليائها من اجل التعرف على العروس وعلى اسرتها ومن اجل تبادل الرضاو القبول بين اسرة الخاطب و اسرة المخطوبة بشان المصاهرة والتزاوج واقامة العلاقات الطيبة بينهما [4]،فالخطبة في مجتمعنا اليوم عبارة عن اتفاق يسبق قراءة الفاتحة ويقع غالبا بين والدي الخطيبين او اولياء هما و ينتهي بإيجاب و قبول المصاهرة بين العائلتين دون ابرام اي عقد وغالبا ما يكون ذلك غيابيا دون حضور الخطيبين الى مجلس الموافقة بالزواج و اتمام مراسيم الخطبة ،اما الفاتحة** عبارة عن عقد زواج شفهي وفقا لقواعد الشريعة الاسلامية فيه رضا المتعاقدين الذين يمثلهما ولي الزوجة و الزوج ويتم فيها تحديد الصداق تليه قراءة الفاتحة و الدعوات المزوجين و تقديم الصداق [5].

نتطرق في هذا الصدد الى ابراز ملامح مؤسسة الزواج في جوانبها الاجتماعية في المجتمع القسنطيني اواخر العهد العثماني، من خلال عينة من السكان القاطنين بالمدينة قامت الاستاذة قشي بدراستها ضمت العينة مختلف فئات المجتمع و الذين سجلوا زواجهم امام المحكمة الملكية لقسنطينة فيما بين صفر 1202هـ و ربيع الاول من عام 1208هـ، و قد تضمنت الصداق الذي يعد المدخل الى مؤسسة الزواج و كذا مكوناته و الشروط الزوجية القسنطينية و طريقة العرس القسنطيني.

---

[1] وليام سبنسر:المرجع نفسه ،ص 116.

[2] سليماني احمد: المرجع السابق، ص 49.

*البكر من النساء: التي لم يقربها رجل انظر: ابن منظور: المصدر السابق ،ص 483.

[3] ويليام سبنسر: المرجع السابق ،ص 116.

[4] عبد العزيز سعد: الزواج و الطلاق في قانون الاسرة الجزائرية، ط1 1406هـ/1987م، ص 65.

**الفاتحة: هي طريقة ترك مباركة الزواج كل الاشخاص المهتمين و القاضي و الحاضرون يرفعون ايديهم مبسوطة قريبة من وجوههم و يقومون بقراءة صلوات بصوت منخفض رافعين ايديهم الى السماء و ينتهون بتمرير ايديهم على لحيهم و كذلك تم عقد الامان و الاتفاق انظر: المرجع نفسه:ص66.

[5] نفسه :ص 66.

3. اركان الزواج

✓ **رضا الزوج و الزوجة:** هو النصف الاخر لبناء الاسرة، و زوج المراة **(بعلها)**[1]، و تنص المادة العاشرة من قانون الاسرة ان يكون الرضا بإيجاب من احد الطرفين و قبول من الطرف الاخر بكل لفظ يفيد معنى النكاح الشرعي.[2]

✓ **الشهود:** عن الحديث الشريف الذي مفاده : " لا نكاح الا بولي و شاهدي عدل " انه من بين الخصائص التي يتميز بها عقد الزواج في الاسلام حضور الشهود ساعة ابرام العقد و تحريره و ذلك لضمان شرعيته و اثباته، و لما للشهادة من اهمية عند انكاره او جحوده من جانب احد المتقاعدين[3] .

2.1. الصداق و مكوناته:

أ. **الصداق:**

كانت رمزية عقد النكاح بمدينة قسنطينة تبين مدى طبيعة التقارب بين العائلات، و ترتيب مستلزماته من صداق و فرح و تكافئ اجتماعي هذا ما اكدته الدكتورة فاطمة الزهراء قشي، حين قالت : **" ان المبادلات الاسرية تميزت بالتنوع و التفتح و تبقي تحديد درجة التقارب و التكافؤ بين الاصهار "**[4]، و الصداق هو نفسه المهر، و يجوز لفظ الصداق بكسر الصاد كما يجوز بفتحها [5]،و الصداق هو اسم المال قل اكثر الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها و تكريما لها ليساعدها في الاعداد لاستقبال الحياة الجديدة ،وقد عرف الفقهاء الصداق بانه المال الذي يدفعه الرجل للمرأة رمزا ارغبته في الاقتران بها، و عرفه قانون الاسرة الجزائري بانه هو ما يدفع نحلة للزوجة من نقود او غيرها من كل ما هو مباح شرعا ،وعرفه الفصل السادس عشر من مدونة الاحوال الشخصية المغربية بانه هو ما يبذله الزوج من المال المشعر بالرغبة في عقد الزواج [6]، و للصداق عدة مسميات هي: الصداق، المهر، الاجر، العلائف، الحباء، النحلة، الفريضة حيث قال تعالى : " و اتوا النساء صداقهن نحلة* " [7]،و الصداق يعطى كنوع من التقدير و الاحترام للزوجة و هو ليس بيع العروس لزوجها بل هدية هدية و هبة خالصة، و للزوجة الحق ان تتصرف كيفما شاءت، لان الصداق شرط اساسي لصحة العقد بغض النظر عن قيمته و قد دلت السنة على ذلك لقوله صلى الله عليه و سلم : " من كشف خمار امراته و نظر اليها

[1] ابن منظور: المصدر السابق،ص 429.

[2] عبد العزيز سعد: المرجع السابق، ص 96.

[3] المرجع نفسه :ص 106.

[4] فاطمة الزهراء قشي: دوائر المصاهرات في قسنطينة مع نهاية القرن 18، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا، في العلوم الاجتماعية و الثقافية ، ع4،وهران 1998، ص 17.

[5] حماش خليفة : الاسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر اشراف فاطمة الزهراء قشي، 1462هـ/ 2006م، ص 354.

[6] عبد العزيز سعد: المرجع السابق، ص 116.

[7] سورة النساء: الآية 04 .

وجب عليه الصداق ، دخل بها او لم يدخل "،و الصداق نوعان: **الصداق المسمى** و هو الصداق الذي يثبت بمجرد اتفاق الزوجين معا مهما بلغت قيمته طالما تم بإرادة الطرفين و رضاهما او اتفاق ينوب عن الزوجين شرعا او بعبارة اخرى هو ما اتفقت عليه في العقد الصحيح و **صداق المثل** في حالة عدم تسمية العقد و المماثلة تكون في الجمال، و حكم الصداق الوجوب على الرجل دون المرأة و يثبت بواحد من امرين بمجرد العقداو بالدخول الحقيقي[1].

اننا لم نعلم في الفقه الاسلامي حول الصداق اي تحديد متفق عليه للمبلغ او المقدار المثالي الذي سيقدم للمرأة كرمز لتأكيد الرغبة في الزواج بها كما ان الفقهاء المسلمين على الرغم من انهم خاضوا كثيرا في الحديث عن مقدار الصداق الا انهم لم يتمكنوا من الاتفاق على مبلغ معين سواء بالنسبة الى الحد الادنى او الاعلى. و ذلك بسبب رواية احاديث متنوعة و احداث مختلفة و بسبب عدم ورد نص في القران او السنة يحدد صراحة او ضمنا اقل او اكثر ما يجب ان يدفعه الزوج مهرا و صداقا المزوجة. و الذين يقولون بعدم تحديد حد ادنى يحتجون بقوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه سهل بن سعد: "التمس و لو خاتما من حديد" . و الذين يقولون بعدم تحديد حد اعلى للصداق يستندون الى قوله تعالى :"**و اتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا**"[2].

وبهذا فان الاعتقاد بان تسجيل عقود الزواج في المحكمة في الفترة العثمانية لم يكون سائدا و ان عقود الزواج كانت تتم مشافهة و ان التدوين من سمات العصر الحديث و ان القرن العشرين بعد الاحتكاك مع الغرب، او مع الادارة الاستعمارية يعد اعتقادا خاطئا، ذلك لان سكان عاصمة اقليم بايلك الشرق (قسنطينة) كانوا يترددون على المحكمة لتسجيل العقود، و قد تضمنت عقود الزواج هذه العديد من الامور منها الصداق و مقداره بالتفصيل (معجله، مؤخره، ملحقاته) . و الى جانب ذلك تضمنت العقود قوائم من الحلي و الملبوسات، و هي اضافات اختيارية مكونة للصداق، و تعكس عادات قسنطينة في هذا المضمار[3].

ب. **مكونات الصداق القسنطيني:** جاءت مكونات الصداق القسنطيني على قسمين اولهما يتمثل في المبلغ المالي الذي اصطلح عليه باسم النقد. اما القسم الثاني فيتمثل في ملحقات الصداق من البسة وحلي.

- **المبلغ المالي:** فالمبلغ المالي يمثل الشطر الاول من الصداق والمسمى العقد تسمية صحيحة وتراضى عليه الزوجين، ويأتي لفظه في نص العقد "..... على صداق قدره..." وكانت العملة التي ورد بها في العقود هي الريال*، ولم يعثر على عملة اخرى غيرها وقد تعرض الدكتورحماش خليفة الى هذه النقطة وارجع السبب في هذا الامر الى المحافظة على العرف الاجتماعي وحماية قيمة الصداق ومنعها من التأثير بارتفاع وانخفاض العملات التي

[1] بلحاج: المرجع السابق، ص 104.

[2] عبد العزيز سعد: المرجع السابق ،ص 111.

[3] قشي: قسنطينة، المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 295.

*الريال: عملة اسبانية متداولة من اوائل العهد العثماني تزن 10 غرامات فضة، انظر: ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 201.

كانت مستخدمة آنذاك [1]، و يمكن استخلاص ان المبلغ المالي للصداق يكشف عن النمط السائد آنذاك بمجتمع مدينة قسنطينة و مستواه الاجتماعي، فكلما كان المبلغ النقدي للصداق معتبرا كلما تكون مكونات جهاز العروسة معتبرة ايضا[2].

وقد تكون ظاهرة ارتفاع قيم الصداق الى سبب القحط الشديد الذي اصاب مدينة قسنطينة ونواحيها والذي كان سببه كما يرى العنتري هو هجوم الجراد على الوطن، وقد استمر هذا القحط 3 سنوات حيث اتلف الزرع والنباتات والتي ادت بدورها الى ارتفاع اسعار الحاجيات، هذا الى جانب انحطاط الصناعات التقليدية والحرف ومختلف النشاطات الاقتصادية الممارسة، الناجم عن غلاء المعيشة[3].

انه من الطبيعي ان الحالة الاقتصادية والسياسية تنقلب تلقائيا على الحالة الاجتماعية للمدينة ذاتها وذلك ان هذه الميادين مرتبطة ببعضها البعض، فالناحية الاجتماعية للسكان تعتمد على الوضعية المعيشية والاقتصادية والتي بدورها قد تتأثر من الناحية الايجابية او السلبية بالنظم السياسية في اوضاع الامن و الاستقرار اوحالة الحرب.

- **لواحق الصداق:** و تمثل الجزء الثاني من الصداق و يأتي ذكرها في نص عقد الزواج بعد المبلغ المالي، و هي مجموعة من الالبسة التي تلبسها المرأة في بيتها، و تظهر بها امام باقي النساء في المجتمع القسنطيني خاصة المناسبات و الافراح، و كذلك حياتهما الاسرية، و كانت احيانا تذكر في نص العقد و ذلك ربما لتفادي حصول اي نزاع حولها بين اطراف العلاقة فيما بعد.

و يمكننا الاستنتاج ان المبلغ المالي للصداق و قيمة لواحقه تبين مكانة الاسرة و ما تملكه من ثروة فهو يعتبر من بين الرموز التي تحدد حقيقة الفوارق الاجتماعية بالمدينة.

1 -**القمجة:** لقد حازت القمجة على المرتبة الاولى في عينة الدراسة ضمن الشروط المضافة للصداق حيث تم ذكرها في 61 عقدا، و تراوح سعرها في السوق ما بين 10 اريلة و 50 فرنك بينما كان سعرها ما بين1203(هـ/ 1208)(1794/1788م) ما بين ريالين و 15 ريال، انها التسمية المحلية للباس الداخلي النسوي او القميص وهي لباس من قماش خفيف و لين، بدون ذراعين قد تضاف له اكمام من شاش او ما شبهه،تتبع اللباس الخارجي القندورة في الطول و العرض و لا تزيد عنها.[4]

تفصل القمجة على شكل مخروطي ضيقة من الاعلى و عريضة من الاسفل احيانا تكون الرقبة مربعة الشكل والملاحظ على القمجة انها تطورت من حيث الشكل و نوعية القماش و كذا التطريز فأحيانا تكون مصنوعة من

[1] حماش خليفة : المرجع السابق، ص 355.

[2] عائشة غطاس: الصداق في مجتمع مدينة الجزائر 1672-1854، مجلة انسانيات، العدد4، 1998، ص26.

[3] العنتري: المصدر السابق، ص 16.

[4] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 305.

القطن، و الحرير، و الساتان، و يتغير تصميم القمجة من موسم لآخر فالقماش الدافئ يرتدي في الطقس البارد والعكس[1] .

2 **الملحفة:** بمعنى الملحاف او ما تلتحق به المرأة عند خروجها من البيت و هي تلبس فوق القميص ليغطي شفافيته و قد جلبه الاندلسيون معهم و اصبح يعرف بالحايك [2]، و هي عبارة عن قطعة قماش بدون خياطة بها تثنيات فضفاضة تشد الى الكتفين بمشبكين ، و لقد ادخلها الاندلسيون الى الجزائر عند فتوحات المرابطين للأندلس فلبستها المرأة هناك، و ظهرت في الوجود مرة اخرى عند قدوم الاندلسيين الى بلاد المغرب،و اصل الملحفة بدوي و يبدو ان المرابطين اخذوه معهم من الاندلس الى بلاد المغرب [3] ولونه ابيض و يصنع من الحرير المخمل و المرمة، في نهاية القرن 18 ذكرت اكثر من 10 انواع من الملاحف[4].

وهو لباس تقليدي بالنسبة لمدينة قسنطينة تحت اسم الحايك و كان يلبس معه ايضا، العجار، فالحايك ذو قيمة حضارية، حيث كانت العروس القسنطينية لا تغادر بين اهلها لتزف الى بيت زوجها الا بارتداء هذا اللباس التراثي، و كان يصنع احيانا من الحرير المزين بخيوط الذهب و الفضة، غير ان هذا النوع كان محصورا عند بنات العائلات الميسورة الحال فقط،و في وصف المرأة القسنطينية و لباسها يقال انهن يمتلكن ذوقا رفيعا في الهندام والزينة ويعرفن بفن التناسق بين الالوان و ملاءمتها لأيام الاعياد و الافراح. فهن فنانات بأتم معنى الكلمة في استعمالهم المحايك[5].

3 **الحزام:** كان يلبسه الرجل ثم قلدته المرأة فاصبح للجنسين و الاحزمة عموما متنوعة فمنها الجلدية والقماشية التي كانت تطرز بالفضة و الذهب و الحرير، و يعد الحزام من تبعات القفطان لأنه ضروري لشد القفطان عندما يكون طويل حتى لا يلامس الارض، و للحزام مكانة خاصة في مكونات الصداق، و له رمزية استثنائية و يكتسب معنى قوي في ربط العروس بعائلتها الجديدة ،و كانت لا تزال مدينة قسنطينة الى اليوم، محافظة على عادة تحزيم العروسة من قبل اخ الزوج او اي شخص من شباب العائلة، و يكون ذلك في اليوم السابع من حفل الزفاف، فاذا تحزمت العروسة فهذا دليل على شروعها في حياتها الجديدة. و تحمل مسؤولية بين زوجها، لتكون العلاقة وثيقة و وطيدة بينهما[6].

---

[1] نفيسة لحرش: تطور لباس المرأة الجزائرية،ط1 ، دار النشر، انوثة، الجزائر، 2007،ص 77.

[2] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 303.

[3] طيان: المرجع السابق، ص 28.

[4] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 304.

[5] نفيسة لحرش: المرجع السابق، ص 49.

[6] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 306.

و يعتبر الحزام كذلك من أدوات الزينة كما ان ارتداءه قد يدرج من زاوية التباهي و التفاخر بغرض اظهار الثراء، وهو عبارة عن رباط تشد به المرأة لباسها من جهة الخصر، و قد يكون الحزام من حبات اللويز المخيطة على قطعة قماش سوداء، ينتهي الحزام في احد جانبيه بحلقة معدنية بها زخارف مقاسة فيما يخص الطول حوالي **1,56**م اما العرض فيقدر ب0,09م و سعره يتراوح ما بين **10 و 15** ريال[1] .

4 **القفطان:** هو نفسه قفتان و خفتان في اللغة التركية و اللفظة الثانية هي كلمة فارسية و هي عبارة عن لباس خارجي له شهرة واسعة في الدولة العثمانية [2]، كما انه عنصر من العناصر المهمة في اواحق الصداق[3]. و قد ارتبط بلباس الامراء و الخلفاء و هو غالبا ما يكون من الحرير المرصع بالفضة و لهذا كانت رمزية القفطان قوية لان العروسة تشبه بالسلطان فوق عرشه بكسائها الفاخر هذا و يذكر هايدو ان القفطان كان يلبس فوق الروب او القندورة او الجبة و يشبه لباس القديس و هو مفتوح من الامام ومزين بالقفل على الصدر و له ذراعان قصيران الى حد المرفقين و ينزل الى وسط الساق و ربما كان اطول[4] .

وعادة يشترط على اهل الزوج ان يكون القفطان من اقمشة مختلفة يكون واحد منها مطرزا بالذهب و يطالب ان يكون جاهزا قبل يوم الزفاف لأنه هو لباس العروس يوم عرسها[5].

5 **الامة:** في الغالب تكون الامة من رقيق السودان الصالحة المخدمة و قد اقتصر دورها للأشراف على راحة الاسر التي تحظى بمكانة مرموقة بالمجتمع فهي التي كانت حريصة على امتلاك الاماء، ففي العهد العثماني كانت العبيد تباع و تشترى في اسواق مخصصة لهم تعرف بأسواق النخاسة [6]، و اصبحت الامة تدرج ضمن الشروط المقترنة بعقد الزواج في صداق بناتهن، لكي تعتمد عليها في تدبير شؤون البيت و عنصرا من عناصر الملكية تستفيد منها وقت الحاجة و ربما على هذا الاساس كانت اغلب النساء اللوائي حصلن على هذه الامة من عائلات غنية، تتراوح سعر الامة ما بين **100 الى 150** ريال . سنة 1208هـ/1793م[7].

كما يتضح ان شرط الامة شرط مادي و رمزي في نفس الوقت و تشترط الامة على العريس قبل البناء او يهب الاب الميسور الحال احدى جواريه و خدامه لابنته و في قسنطينة نهاية القرن 18 لم تسجل الهبات و الهدايا

---

[1] طيان: المرجع السابق، ص 116.

[2] حماش خليفة: المرجع السابق، ص 239.

[3] شريفة طيان: المرجع السابق، ص 106.

[4] قشي:المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 307.

[5] طيان: المرجع السابق، ص 155.

[6] ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البو عبدلي: المرجع السابق،ص 105.

[7] فاطمة الزهراء قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق ،ص 306.

للعروس، بل كان نصف مطالب الامة مؤجلة و غير منجزة، و لقد وردت في نسبة ضئيلة جدا من عقود الزواج مما جعلها عنصرا مميزا لفئة محدودة و معينة[1].

6 **الجوهر**: ان وجود الجوهر في مكونات الصداق ليس بأمر غريب. انما الذي بلغت الانتباه هو كون الحلي الذهبية و حتى الفضية كانت غائبة عن قائمة الصداق الرسمية فارقية من الجوهر او قيمتين في الكمية المتعارف عليها و المتداولة رمزا المحلي[2].

فالجوهر حجر كريم تحدث عنه المسلمين منذ زمن مبكر و يعد من اغلى اللواحق التي تبعت الصداق في مدينة قسنطينة[3]، فقد كان من ادوات الزينة و الحلي الخلخال و هو شبيه بالأساور التي تلبس باليد غير انه يلبس بالقدم بالقدم و في طرفيه يوجد راسي ثعبان و هو مصنوع من المعادن النفيسة كالذهب و الفضة و الخلاخل رائعة في التصميم و النقوش، و كانوا في بعض المناطق يلبسون الخلخال اجباري عندما تبلغ سن الرشد و لا تخلعه الى غاية يوم الجرية*، اين ينزع لها خلخال بيت والدها و يلبس لها خلخال بيت زوجها[4].

عشية العرس يأتي اقرباء العريس امام بيت العروس و بأيديهم القوانس و تجلس و ترتدي رداء يتلمع بالذهب، و تحمل فوق بغل الى بيت زوجها ، و تصاحبها الموسيقى و تنتهي الحفلة بوليمة. و تصبح الزوجة منذ تلك اللحظة خاضعة لأوامر زوجها[5].

و كانت الحفلات تختلف حسب الظروف المالية للعائلات و حسب المجموعة الاجتماعية المعنية، و ربما كما هو متوقع حسب التنوع المدني و الريفي.[6]

3.1. الشروط الزوجية : (للزوجة القسنطينية)

اذا كانت مسالة الشروط في عقد الزواج من اقدم المسائل في المجتمعات الاسلامية فهذا ما يفسر تواجدها في هذه الفترة و تثبت المصادر ان الرسول عليه الصلاة و السلام قد عالج في احاديث كثيرة تخص مسالة الشروط[7].

التكفل بنفقة اولادها من غيره اكلا و شربا و كسوة مدة الزوجية بينهما.

---

[1] فاطمة الزهراء قشي: المدينة و المجتمع، المرجع نفسه ، ص 110.

[2] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع نفسه، ص 311.

[3] حماش خليفة : المرجع السابق ، ص 282.

*الجرية: عبارة عن حفلة تعارف بين عائلة الزوجين، يقدم فيها للعروس جهازها و بعض الهدايا من اهل زوجها و تكون بعد الخطبة و قبل الدخول و يتم تحديد موعدها باتفاق بين العائلتين و توصلت الدكتورة قشي الى انها اعادة مستحدثة لهذا هي قليلة الظهور انظر: قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 312.

[4] نفيسة لحرش: المرجع السابق، ص 143-144.

[5] شلوصر: المصدر السابق، ص 87.

[6] ويليام سبنسر: المرجع السابق، ص 117.

[7] خليفة حماش: المرجع السابق، ص 187.

شرط السكن ببلد العقد لا يخرجها منه الا برضاها و اذنها و قد كان هذا سائد خلال العهد العثماني وهذا ما يؤكد النظرة السائدة التي تتميز بها الحضر و نظرتهم الاحتقارية الى البادية فكانت المرأة تلجأ الى هذا الشرط و تدونه في عقد زواجهما و هذا لتضمن عدم خروجها من المدينة الى الريف [1].

هناك شرط متعلق بزواج الزوج بالزوجة ثانية او بعدم ارجاع مطلقته السابقة الى عصمته الا بإذن الزوجة الجديدة و رضاها ، والغاية من ذلك معروفة فالزوجة لا تحب من يشاركها في زوجها اضافة الى الغيرة، وكره نساء الزوج لبعضهم البعض فكل واحدة تمقت الاخرى و حتى لا تقع الزوجة الثانية في فخ التعددية كانت تضطر الى تسجيل ذلك الشرط في عقد الزواج حتى يكون حجة بيدها على زوجها في حالة حدوث نزاع بينهما ولكي تضمن حقوقها [2]. كما فرضت الزوجة على الزوج مقابل الرجوع الى عصمته ان يعطيهما ثمن الحاجيات التي اخذها منها عنوة و باعها لأجل مصالحه [3].

كما تشترط المرأة القسنطينية على زوجها ان يلتزم لها بمصروف الفقيرات * ، الوصفان ** والنشرة ***، وهي عادة النسوة بالمدينة و تعقد ان المشاركة في هذا الحفل انها تبلغ مرادها عاجلا ام اجلا لأنها ارضت الاسياد من الجن بكل هذه الطقوس [4].

في الاخير تعرفنا على بعض الخصائص الاجتماعية التي تميز بها الزواج القسنطيني في اواخر العهد العثماني فكشف لنا قيم الصداق المتداولة بين مختلف الشرائح الاجتماعية على المستوى المعيشي للسكان ومعرفة عادات و تقاليد المجتمع من خلال التعرف على نوعية الالبسة المتداولة الى مثلث لواحق الصداق كما حرصت الهيئة القضائية على حقوق المرأة بأخذ حقها من زوجها من خلال شروطها عليه.

---

[1] قشي: المرجع السابق، ص 72.

[2] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 202.

[3] المرجع نفسه: ص 202.

* الفقيرات: عبارة عن فرقة موسيقية صوتية نسائية تغني المديح الديني، تتمحور كلماتها حول الله و الرسول، و الاولياء الصالحين، و يعتمدون اساسا على الدف و الدربوكة و الطار انظر: زهور ونيسي: عبر الزهور و الاشواك، مسار امرأة، دار القصبة للنشر ، 2012 ،ص 59.

** الوصفان: عبارة عن دار يكن فيها عائلات افرادها سود البشرة يقام بهذه الدار حفلات الزار، وذلك كل اسبوع و كل شهر تشارك في هذه الحفلات حرائر قسنطينة ذات النذر او الوعد، و يكون الحفل على انغام و دقات طبول ضخمة تحملها سواعد قوية للرجال الزنوج و الاتهم النحاسية، مع الدعوات و الصلاة و السلام على الانبياء و المرسلين، و المناداة على شيوخ الزوايا المتوفيين، و يصاحب هذه الطقوس اغماء النساء يتخلل هذا الحفل ممارسات يختلط فيها الايمان مع الرغبة في اظهار الشجاعة و قهر الطبيعة و يكون التعامل فيها مع ارواح العالم غير المرئي ينظر : عبد الحميد مرداسي: معجم الموسيقى الحضرية لقسنطينة، تعريب صلاح الدين الاخضري، منشورات الفضاء الحر، قسنطينة، الجزائر 2010،ص 240.

*** النشرة: بمعنى الزار عند سكان مدينة قسنطينة عبارة عن مجموعة طقوس شعبية تستعمل على طرد الجن الذي يتقمص بعض الناس يعني تقام لأغراض علاجية: انظر: لحسن الورثيلاني: نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الاخبار،ط2 ، دار الكتاب العربي، بيروت 1974، ص 694.

[4] زهور ونيسي: المرجع السابق، ص 56-58.



2. **الطلاق:**

أ -**الطلاق لغة:** في حديث عثمان و زيد: الطلاق بالرجال و العدة بالنساء، و طلاق النساء لمعنيين: احدهما حل عقدة النكاح و الاخر بمعنى التخلية و يقال الانسان اذا اعتق طليق اي صار حرا[1].

يعرف على انه رفع القيد مطلقا و فقهيا رفع الزواج الصحيح في الحال صراحة او كناية هو انتهاء و انقطاع الرباط الزواجي بين الزوجين و قد تفاوت مفهومه بين مجتمع و اخر لجهة التشدد الصارم فيه او التساهل المرن في تطبيقه ويعتقد كثيرون انه من حق الرجل فقط طلب الانفصال او الطلاق انه لا يمكن المرأة ان تحصل فيه على الطلاق[2]،فهو الترك او المفارقة يقال طلق البلاد اي فارقها و تركها، فهو انهاء الحياة الزوجية في الحال او المال بلفظ مشتق من مادة الطلاق[3].

ب -**الطلاق اصطلاحا:** الطلاق في الاسلام مشروعا و حلال على فاعله لأنه الطريق الشرعي الوحيد الخلاص من المشاكل التي يتخبط فيها الازواج اذا تنافرت طباعهما و اصبح كل طرف لا يتحمل الاخر[4].

وقد استمد الفقهاء الدليل على مشروعية الطلاق من الكتاب و السنة و الاجماع لقوله تعالى: " **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف او تسريح بإحسان** "[5] ،و **قال تعالى: " يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن "**[6].

ومن السنة النبوية احاديث كثيرة و قد شرع لرفع الحرج و الضرر عن الزوجين و حثت الشريعة الاسلامية على تفاديه بقوله عليه الصلاة و السلام: " **ابغض الحلال عند الله الطلاق**"[7].

لقد شرع الطلاق في الاسلام بغية حل المشاكل الزوجية المتفاقمة التي يستعصي حلها و الله سبحانه وتعالى قد اسند الطلاق ان يكون بيد الزوج و ليس بيد الزوجة و ذلك بحكم التكاليف المالية المزواج ومايتبعها

---

[1] ابن منظور: المصدر السابق، ص 628.

[2] مأمون طربيه: المرجع السابق، ص 83نفسه، ص 84.

[3] بلحاج: المرجع السابق، ص 209.

[4] محمد محمود الجوهري ، عدلي محمود السمعي: المشكلات الاجتماعية، ط1، دار المسيرة للطباعة و النشر، و التوزيع، عمان ،1432هـ/2011م، ص 195.

[5] سورة البقرة: الآية 229.

[6] سورة الطلاق: الآية 01.

[7] رواه ابو داوود عن عمر رضي الله عنه.

*من انواع الطلاق قبل البناء، الطلاق الرجعي، الطلاق بالخلع، انظر: جميلة معاشي: الاسر المحلية،المرجع السابق ،ص 178.

من صداق و غيرها تعود على الزوج فاذا طلق يكون من الواجب عليه كذلك مصاريف زوجته اثناء فترة العدة ربما لأجل هذه الحكمة جعل الله الطلاق* من حق الزوج[1].

ج. **اسباب الطلاق:**

ان الاسباب التي كانت تؤدي الى طلاق الزوجات في المجتمع القسنطيني كانت دون شك متعددة، الا انه من الصعب الاطاحة بها في ظل ندرة المعطيات، فهناك تجاوزات قام بها الزوج القسنطيني ضد زوجته، و هذا ما دفعها الى اللجوء للهيئة القضائية للإبلاغ عن زوجها و لدفع الضرر عنها.

وقد تكون التجاوزات التي يقوم بها الزوج في حق زوجته بفعل ضغوطات نفسية او اجتماعية او ازمات مالية يمر بها ، كما قد يكون الضرب من جهة اخرى عنوان المرجولة، و كان موقف القضاء حيال هذه الممارسات موقفا ايجابيا يعبر عن رفض العنف باعتباره سلوكا سلبيا و لا ينتظر ان تبنى عليه علاقات زوجية ودية[2].

كانت المرأة في كثير من الحالات تفرض على زوجها شروطها في نص العقد عليه ان يلتزم بها و كان من بين تلك المطالب شرط الا يرجع طليقته السابقة او لا يتزوج عليها قد يخالف الزوج بوعده حيال زوجته ويعيد الزواج عليها، و اذا توفرت شروط الطلاق و ثبت الضرر فهذا من شانه ان يسهل للمرأة حصولها على الطلاق مهما كانت مكانة زوجها. و هذا دليل على تطبيق العدالة ابان تلك الفترة كما تبرز ايضا ذهاب المرأة الحضرية بنفسها لطلب الطلاق اذ يحق لكل شخص ان يذهب للمحكمة و يعرض قضيته بما فيهم النساء حيث تفصل الهيئة القضائية في الموضوع[3].

لقد تناول علماء الاجتماع ان قضايا الطلاق تختلف طبقا للأسباب او الظروف التي يراها كل من الزوجين وذلك في تبرير طلبه للطلاق و عن الاسباب التي تؤدي الى الطلاق و قد تكون الزوجة في الغالب هي المسؤولة الاولى عن حدوثه و ذلك من خلال ان :تكون الزوجة عقيما او عاقرا، او انها قادرة على الانجاب و لكنها تلد البنات فقط و الرجل يرغب في انجاب الذكور[4].

تقصير المرأة في شؤون بيتها و زوجها او مرضها بمرض معدي او ميؤوس من شفائه.

---

[1] بلقاسم شتوان: الطلاق في الفقه المالكي ، دراسة اكاديمية مدعمة بالأدلة الشرعية و قانون الاسرة الجزائرية ،دار الفجر للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر، 2009،ص 236.

[2] جميلة معاشي :الاسر المحلية، المرجع السابق، ص 117.

[3] ويليام سبنسر: المرجع السابق، ص 92.

[4] احسان محمد الحسن: علم الاجتماع المرأة، ط1،دار وائل للنشر، عمان، 2008، ص 170:

الاكثار من الشكوك في سلوك الزوج او انه على علاقة بامرأة اخرى (الخيانة الزوجية) و ارهاقه بكثرة المصاريف و النفقات التي تثقل كاهله[1].

ان تكون الزوجة نمامة و سليطة اللسان مع زوجها و اقربائه.

عدم مطالبة الزوجة بحقها في الميراث من اهلها قد يكون سببا في طلاقهما و خاصة اذا كان الزوج فقيرا او طماعا[2].

التعجيل في الزواج و يكون مصير تلك الاسرة الانهدام السريع، فبعد الزواج يصبح كل طرف يرى مالا يناسبه و يلائمه فتحدث النفرة المؤدية المطلاق.

مخالفة الشرع في مسالة اخذ اذن الفتاة في التزويج، فتكون العاقبة وخيمة و الندامة ولكن بعد فوات الاوان ،تدخل الاهل في شؤون الزواج عن طريق تحريض ابنهم/ابنتهم ان زواجه (ها) لا يرتقي الى ما كانوا يتوقعونه[3].

عنف الزوج ضد زوجته، و طمعه في استغلال املاكها ظلما و عدوانا .[4]

اما حسب راي مأمون طربيه انه من اسباب الطلاق قد تكون: عدم التفاهم بين الزوجين، تدخل الاهل في شؤون الزوجين، عدم مقدرة الزوج على تامين مستلزمات الاسرة، عدم الاحترام، اختلاف اسلوب الزوجين حول معاملة الاولاد، عدم التوافق الجنسي، الغياب المتكرر عن المنزل[5]،و كل هذه الاسباب قد تكون نتيجة :

- الزواج المرغم المبكر عامل مساعد على الطلاق، نظرا لعدم نضج الزوجين من جهة وعي الزوجة بالمسائل الخاصة بالزواج و من جهة اخرى عدم توفر الشروط المادية المزوج عند هذه السن.
- تعد ازمة السكن من ابرز العوامل تؤدي الى انحلال العلاقة الزوجية و بالتالي الى الطلاق. حيث يضطرون الى السكن مع اهل الزوج، فتطفوا الكثير من المشاكل المؤدية الى الطلاق.
- التدخل التسلطي و المبالغ فيه من طرف اهل الزوج في حياتهما.[6]

لقد شهد المجتمع الاسري القسنطيني اواخر العهد العثماني استقرار نسبي تتخلله حالات اضطراب ليست بالهينة بسبب حالات الطلاق التي احدثت خللا في مؤسسة الزواج. فالزواج عقد يمكن فسخه و التراجع عنه، فهو بالتالي مؤسسة لا تستطيع دائما مقاومة المحن و المشاكل في اطار الاسرة، فيتم حل الرابطة الزوجية بالطلاق للسماح بتجربة اخرى المنجاح، لقد كشفت العينة محل الدراسة ان من العدد الاجمالي المزيجات يفوق الخمسة

---

[1] احسان محمد الحسن:المرجع نفسه، ص 170.

[2] بلقاسم شتوان: ظاهرة الطلاق في المجتمع الجزائري، ط1، دار النشر مطبعة المنار، سطيف، 2010، ص 194.

[3] احسان محمد الحسن: المرجع السابق ،ص 164.

[4] بلقاسم شتوان: المرجع السابق، ص 242.

[5] مأمون طربيه: المرجع السابق ،ص 84-85.

[6] مسعودة كسال: المرجع السابق، ص 79.

الاف، تعرض اكثر من النصف منه للطلاق ولو مرة واحدة، وهذه تعتبر نسبة مذهلة فالظاهرة ممتدة على طول الفترة المدروسة، فالى جانب تعدد الزيجات سجل **محمد بن لعلى** الرقم القياسي في تعدد حالات الطلاق، اذ انه طلق **للونة بنت علي** في 1205/05/19هـ و **فاطمة بنت المسعود العلمي** في 1206/01/06هـ و في الرابع من ذي القعدة من عام 1207هـ طلق زوجته **الحاجة فطوم بنت القطاف**. طلقة واحدة، و قد اقسم في الطلاق انها طالق بعدد حجر قسنطينة و مثل هذه الحالات في الطلاق شاذة لا تعمم[1].

ولقد لوحظ ان فئة الابكار هي التي مسها الطلاق بنسبة 12 بالمئة و لقد كانت حالات الطلاق قبل البناء (**قبل الدخول**) عديدة و قد شكل هذا النوع من الطلاق اول خطر يهدد العلاقة الزوجية و الاستقرار الاسري و قد فاقت الخمسين حالة[2].

كما تزوج "**عباس بن احمد المزابي** "، "**حليمة بنت ابراهيم العيسى** " في 1202/03/18هـ لكنه طلق في نفس اليوم "**زينب بنت محمد بن اسماعيل**" طلقة ثالثة دون رجعة و بعد اقل من ثلاثة اشهر افترق عن "**فاطمة بنت ابراهيم الموساوي**" بطلقة واحدة في 1202/07/01هـ[3].

وانفصل عن "**زينب بنت سي محمد البعلاوي**" بطلقة واحدة بعد ستة اشهر كما ان الطلاق مس كافة الفئات الاجتماعية حتى العائلات المعروفة بالواجهة مثل: " **الفكون**" و " **ابن باديس**" و " **ابن نعمون**" و " **ابن المسيح**" و "**الراشدي**".

وقد تكون من نتائج هذا الطلاق و اثاره معاناة الاطفال بالدرجة الاولى و الزوجة المطلقة و كذا الزوج.

قد يلجا الطفل الذكر الى البعث و التشرد [4]،و قد تضطرب التنشئة الاجتماعية للأبناء نتيجة الطلاق، حيث يجعلهم بعيدين عن التحلي بالقيم الاجتماعية كالصدق، و الثقة العالية بالنفس، فعند حدوث الطلاق و افتراق الزوجين فان هذا يترك في نفوس الابناء صدمة عنيفة، فغالبا ما يترك الابناء بدون رعاية و اهتمام كافيين من قبل الابوين عند حدوث الطلاق[5] .

ينضر الاطفال من الطلاق، و ذلك في البعد عن حنان الام ان كانوا مع الاب و في الرعاية من قبل الاب ان كانوا مع الام، اين تنشا عندهم عقد نفسية كالقلق و الاكتئاب.

فانفصال الزوجين و تفكك الاسرة ينعكس على الاولاد حيث شبه علماء النفس الطفل بالإسفنجة التي تمتص اي سلوك و اي تصرف من افراد الاسرة فالطلاق يحرم الاطفال من النشأة الطبيعية و يصبحوا عرضة للانحراف[6] .

---

[1] قشي: المدينة، المرجع السابق، ص 358-359.

[2] المرجع نفسه: ص 361.

[3] نفسه: ص 363-365.

[4] محمد محمود الجوهري: المرجع السابق، ص 251.

[5] احسان محمد الحسن: المرجع السابق، ص 172.

[6] عطا الله فؤاد الخالدي: المرجع السابق، ص 223.

اما بالنسبة للزوجة المطلقة فاغلب الاضرار الناجمة عن تفكك الاسرة نتيجة الطلاق تكون اغلبها من نصيب الزوجة، و من ثم احساسها بالخوف الشديد على مستقبل ابنائها بعد الطلاق و الخوف على مستقبلها خاصة اذ لم يكن له مورد يعينها من الناحية المادية.

كما ان هذا الزوج يكبح كثرة شك و ريب المجتمع من سلوك المرأة المطلقة ناهيك عن الهمسات والنظرات الغريبة التي تحيط بها و ربما تقذف بما ليس فيها ، اما بالنسبة للزوج المطلق، يرى الكثير من الباحثين في علم النفس و الاجتماع ان الطلاق يترك اثار نفسية و اقتصادية بصاحبه عادة بعد واقعة الطلاق فمن الاثار النفسية انه قد يصاب باليأس و الاحباط و قد تتسم افكاره بالاضطراب و عدم الثبات، بينما الاثار الاقتصادية قد تمثلت في حقوق الزوجة المطلقة و نفقة الاطفال كما ذكر سابقا[1].

وبهذا فان المجتمع الذي ينتشر فيه الطلاق يعاني افراده من مشاكل نفسية ، اقتصادية، اجتماعية، وخاصة بالنسبة لفئة النساء و الرجال المطلقين و اطفالهم[2].

من خلال هذا تم الاطلاع على بعض النزاعات العائلية و المتمثلة في بعض الاضرار التي لحقت بالزوجة القسنطينية و التي كانت احدى الاسباب المؤدية للطلاق، فالطلاق ظاهرة ضرورية تؤدي وظيفة اجتماعية و لكن خطرها يكمن في زيادة نسبتها التي تعود الى الاثار التي يتركها على الابناء و الازواج او المجتمع[3].

4. المراجعة:

لقد حثت الشريعة الاسلامية على المحافظة على الحياة الزوجية و الاسرية، لقوله عليه الصلاة و السلام: "تزوجوا و لا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمان" ، و تعد المراجعة بعد الطلاق محاولة للحفاظ على العلاقة الزوجية و حمايتها من الفشل[4] ، كما ان المراجعة دليل على الرفض العميق لفكرة الفشل النهائي و اللجوء بالتالي الى المحاولات و قد اعطى **"صالح بن مبروك السناني"** احسن مثال على ذلك، اذ تردد 8 مرات على المحكمة بداها بطلاق زوجته **"نونة بنت صالح العمري"** ثم مراجعتها في ظرف اسبوع واحد، و قد سبق له ان طلقها ثانية و راجعها قبل الطلقة الثالثة و النهائية و قد استنفذ في اقل من سنتين كل امكانيات الطلاق الرجعي و اعاد الكرة مع زوجته **"منصورة بنت العيد النوري"** و في ظرف شهر واحد، كما تزوج **"عاشور بن بلقاسم العباسي"** **"فاطمة بنت الصحراوي"** عام 1202هـ ثم طلقها في 29 ذي الحجة من نفس العام ثم راجعها بعد 7 اسابيع اي في 22 من صفر 1203 هـ ثم طلقها ثانية في اول يوم من شعبان من السنة ذاتها اي بعد ستة اشهر، كما طلق " **علي بن احمد العاوي" "كالثوم بنت علي بن دالي"** طلقة اولى في 11 جمادى الثانية من عام 1203

---

[1] بلقاسم شتوان: المرجع السابق، ص 299.

[2] احسان محمد الحسن: المرجع السابق، ص 171.

[3] المرجع نفسه: ص 171.

[4] بلحاج: المرجع السابق، ص 215.

ه ثم راجعها في 13 من نفس الشهر[1]، بعد يومين فقط، لكن فشلت المحاولة بعد شهر واحد حين طلقها طلقة ثانية في 21 رجب من نفس العام و راجعها دون تسجيل العقد، و طلقها لثالث مرة في 18 رمضان من نفس العام و في مدة 4 اشهر نشب الخلاف فاخذ شكل ذهاب و اياب دون استقرار لها في بيت الزوجية، و لا استقرار له هو الاخر، حيث كان في توتر مماثل مع زوجته " **عائشة بنت سليمان البدري**" التي طلقها ثانية واقدم على مراجعتها بعد 8 اشهر و لعل الطلاق و المراجعة مع نفس الزوجة احسن دليل على ظاهرة الطلاق، وهشاشة اسبابه و قصر المدة بين الطلاق و المراجعة، و هذا ما ميز مسار العديد من الاسر خلال الفترة المدروسة، كما ان تكرار المراجعة مع نفس الزوجة دليل على التوتر المسيطر على العلاقات الزوجية لدى بعض الفئات[2].

3. المصاهرات الداخلية بين الاقارب:

يقصد بالمصاهرات الداخلية بين الاقارب الزواج من ابنة العم شقيق الاب، و من المعروف ان المجتمع الجزائري مثل المجتمعات العربية عموما يزكي هذا التصور قولا و تعبيرا، و رسخته الامثال الشعبية و التراث الغنائي في الذهنيات و التصورات، الا ان المصاهرة الداخلية تضيق دائرة التبادل و يحصرها داخل العرش نفسه في حين ان الزواج يقوم انثرويولوجيا على تبادل النساء[3].

لقد تم استخراج من مجموع 5508 عقدا، 321 عقدا فقط من نوع المصاهرات داخل العائلة او بمعنى ادق ان الزوج و الزوجة لهما نفس السنة العائلية في التعريف، اذ مثل الزواج بين القارب 08% من الزيجات، و عليه الزواج من ابنة العم الشقيق نادرا، اما الشائع فهي المصاهرات الخارجية اي مع عائلات اخرى، و من بين العائلات الكثيفة التي سجلت مصاهرات بين الاقارب نذكر: **عائلة الغربي، عائلة العمري، عائلة اليدري، عائلة الدراجي، عائلة الوسلاتي، عائلة المرواني**. كما هو موضح في الجدول الاتي:[4]

---

[1] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 356-357.

[2] المرجع نفسه: ص 359

[3] نفسه : ص 373.

[4] نفسه : ص 377.

جدول رقم(5) المعائلات التي سجلت مصاهرات بين الاقارب:

النسب	الرجال	النساء	عقود نفس النسب زواج/طلاق	متوسط الصداق
عائلة الغربي	108	72	04	70 ريال
عائلة العمري	91	67	12	50 ريال
عائلة اليدري	58	61	03	/
عائلة الدراجي	70	44	10	50 ريال
عائلة الوسلاتي	94	20	07	65 ريال
عائلة المرواني	20	/	03	63 ريال

و كمثال على الزيجات من نفس العائلة سجلت عائلة الوسلاتي اربع زيجات بين ابناءها و قد يرجع هذا العدد المتواضع لقلة عدد النساء مقارنة بالرجال من اهل وسلات ، تزوج " **احمد بن نصر الله الوسلاتي** " **علجية بنت رمضان الوسلاتي**" بكرا مجبرة و بلغ الصداق 70 ريال في 1202/06/06هـ ، اما " **امنة بنت عمارة الوسلاتي**" فهي ثيب عن وفاة عند زواجها من " احمد الوسلاتي" و الذي اصدقها 80 ريالا ايضا و التزم بنفقة في 1203/11/30هـ،اما " **ام الخير بنت عمارة الوسلاتي**" و"نونة بنت مبروك الوسلاتي" فحال كل منهما ثيب و من بين العائلات كذلك عائلة " العمري"، التي كانت قوية الحضور في قسنطينة برجالها، و قد تم عد 89 زوجا، و 98 زوجة منهم 12 تزوجوا من نفس عائلاتهم[1].

وقد مثلت الزيجات داخل العائلة 30% من الابكار، و 04% من الايتام، و 45% من الثياب ،تدل هذه النسب على ان الزواج الاول لا يكون مع ابن العم الا في نسبة اقل من الثلث و ينخفض كثيرا عند الايتام. لقد كان للمصاهرات داخل العائلة اهمية بالغة في المجتمع القسنطيني، اذ كان الاستقرار الاسري اعلى بين الابناء العمومة من المعدل العام، و يمكن تفسير ذلك بتأثير العائلة على الزوجين و محاولتها لم الشمل و نبذ الطلاق.[2]

❖ التكافئ الاجتماعي في المصاهرات:

ورد في لسان العرب لابن منظور لفظ التكافؤ، بمعنى الاستواء، و الكفء بمعنى النظير و المساوي، و منه الكفاءة في النكاح و هو ان يكون الزوج مساويا للمرأة في حسبها و نسبها و دينها و بيتها و غير ذلك، و تكافا الشيئيان تماثلا[3] و لقد تم تسجيل ظاهرة الزواج بين الانداد من اعيان الحضر من خلال عقود الزواج، و كشفت هذه العقود علاقات مصاهرة بين عائلتي " **ابن نعمون**" و "**الفكون**" المتكافئتين في العلم و الدين و المال و كانت نموذجا يعكس الزيجات المتكافئة اجتماعيا.

[1] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع نفسه : 383.
[2] المرجع نفسه: ص 384-385.
[3] ابن منظور: م5، المصدر السابق، ص 413.

وكمثال على ذلك زوج السيد " **حسين الفكون**" ابنته " **فطوم**" و هي بكر مجبرة من الحاج " **ابراهيم بن نعمون**" و ذلك بعد ان طلق هذا الاخير " وريدة بنت الحاج محمد البجاوي".
والمعلم كانت علاقات المصاهرة تربط بين عائلتي الفكون و بن نعمون منذ القرن السادس عشر على الاقل. حيث كانت اخت عبد الكريم الفكون الجد عند ابن النعمون[1] .

ومن بين العائلات البارزة في قسنطينة " **عائلة الراشدي**" التي ارتقت في اواخر القرن الثامن الى المناصب الشرعية مثل القضاء و الافتاء و العدالة، و قد كانت " لطيفة بنت السيد عبد القادر الراشدي" ثيبا و قد اصدقها ابن عمها 100 ريال و قفطان و قمجة و امة و اوقتين من الجوهر زوجها اخوها " **سي عبد الكريم الراشدي**" و هو عدل بالمحكمة المالكية.

وبين الاعيان و الاثرياء كذلك عائلة " **مزوار الشرفة**" الذي تم زواج بينهم، اذ تم زواج " **محمد بن السيد على مزوار الشرفة**" مع " **علجية بنت السيد عباس بن مزوار الشرفا**" بصداق 100 ريال و قفطان و ملحفة و حزام[2].

كما تزوج "**احمد القلي**" باي قسنطينة من اسرة " **بوعكاز شيخ العرب**" و كذلك الحاج احمد باي الذي تزوج من اسرة المقراني و غيرها [3]، كما تم تسجيل علاقات مصاهرة بين الاتراك و اعيان المدينة، و هي محاولة بسيطة للارتقاء في السلم الاجتماعي بالتآزر المتبادل من حيث المنبت الشريف و العراقة في الحضارة والمدينة، او من حيث الوجاهة و الانتماء الى الطبقة الحاكمة [4]، كما تضمنت العقود المصاهرات بين اهل الحرف، من منطلق الزواج المتكافئ اجتماعيا ايضا، حيث يكون الزوج ووالد الزوجة مشتركين في حرفة واحدة كالحياكة والخرازة و التجارة في الزيت[5] .

---

[1] قشي: المدينة، المرجع السابق، ص 366.
[2] المرجع نفسه، ص 390.
[3] سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1،المرجع السابق، ص 158.
[4] قشي:المدينة، المرجع السابق، ص 399.
[5] المرجع نفسه: ص 387.

المبحث الثالث: الحياة الثقافية و التعليمية:

1. **الحياة الثقافية:** يقول العلامة ابن خلدون ان العلوم انما تكثر حيث العمران، [1] فقد كانت حركة الثقافة في الجزائر قبل دخول العثمانيين تتركز في ثلاث حواضر اساسية هي: مدينة تلمسان بغرب المغرب الاوسط و مدينة بجاية في في الوسط، مدينة قسنطينة في شرق المغرب الاوسط، و كانت هذه الحواضر تعد بحق مراكز للثقافة و التعليم و الاشعاع الفكري فقد ازدهرت فيها العلوم و الآداب و الفنون لعدة قرون ، كما اشتهرت بها اسر علمية توارثت العلم و المعرفة و تلقب افرادها في مناصب التدريس والفتاء و القضاء و الامامة نذكر منها اسرة " **ابن باديس و ابن قنفذ و الفكون** " في قسنطينة[2].

فكانت الحياة الثقافية في ظل الحكم العثماني خاصة طيلة القرنين الاولين من الحكم تعاني من الركود الثقافي في ذلك انه قبل مجيء الاتراك كانت معظم المدن الجزائرية تعيش حركة ثقافية و فكرية ودينية تضيء بنور معرفتها على جميع ارجاء القطر الجزائري و خارجه[3].

اما عن الجانب الثقافي في العهد العثماني فقد بلغ هو الاخر شانا كبيرا و تطور ملحوظا ساهم فيه الاتراك والاهالي الى حد سواء، [4] اما بالنسبة للشرق لم تحظ بالأهمية الكبيرة من طرف العثمانيين مثلما حظيت به بقية القطاعات الاخرى و لهذا اعتمدت الثقافة العربية الاسلامية في تطورها النسبي و العددي على ذاتيتها على المجتمع الاسلامي، انطلاقا من المؤسسات الثقافية المحصورة في المساجد و المدارس و الزوايا و حتى الكتاتيب لمشر الدين و التعليم العربي الاسلامي، الامر الذي دفع حمدان بن عثمان خوجة للقول **ان طاقات فكرية كانت تكمن في اواسط المجتمع الجزائري لهذا اعتنوا بالعلوم و الآداب فكان منهم الشعراء واساتذة في التاريخ و مشرعون**[5].

وقد لوحظ اقبال السكان على حفظ القران الكريم و تعلم اللغة العربية و قواعدها ايمانا منهم بأهمية التعليم وخطر الجهل و سعيا منهم الاداء فروضهم و واجباتهم الدينية خاصة ،الصلاة التي يتطلب اداؤها حفظ جزء من القران الكريم، [6] و قد كانت المهام العلمية و الدينية محصورة في يد الحضر ، و كانت مدينة قسنطينة ثاني مدينة جزائرية بعد الجزائر العاصمة تضاهي فاس و تلمسان و القاهرة من حيث العلماء و التعليم و كانت مساجدها و زواياها و مدارسها و بيوتها الكبيرة تعج بالمكتبات التي تحتوي على كتب المشارقة و الاندلسيين

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ج3، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ، 1957، ص 990 .

[2] ابن مريم ابو عبد الله محمد ابن احمد: البستان في ذكر العلماء و الاولياء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 ص195.

[3] صالح فركوس:الحاج أحمد باي، المرجع السابق، ص 127.

[4] عبد العزيز فيلالي، لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 164.

[5] حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق،ص 73.

[6] يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ،المرجع السابق، ص 498.

بالإضافة الى التأليف المحلية[1]، اما من الناحية الدينية يلاحظ تمسك السكان الشديد بالدين الاسلامي والعمل على تطبيق اركانه ومبادئه العامة وتفرعاته المختلفة سواء في العبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج اوالمعاملات كالإرث والزواج والطلاق ، وهذا ما يفسر المركز الممتاز الذي يحتله لديهم المفتي والقاضي والامام والمعلم[2].

وبهذا كانت قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري بموقعها الجغرافي الذي جعل منها بوابة من والى الشرق (مكة والمدينة) و هذا الى جانب ما كانت عليه من صلة الاوروبيين الذين كانوا يحظون بامتيازات صيد المرجان وتفردها بموقع متميز جعلها قبلة الاذواق الفنية والفكرية من العلماء و المغامرين[3].

فقد امتازت الحياة الثقافية قبل عهد صالح باي بصفة عامة بالركود الثقافي شانها شان بقية البلاد وهذا لانهم لم يكونوا يولون اهمية بهذا المجال، لم تكن حركات تجدد فكرية الى ان جاء صالح باي الذي خرج بالحياة الثقافية الى النور[4].

2. الحياة العلمية:

أ. **التعليم:** يمكن وصف التعليم على انه المحور الاساس للنظام التربوي المعبر على النشاط الاجتماعي المنظم و هو تنمية مستمرة من اجل بناء الفرد و الاسرة و المجتمع و الدولة فالتعليم ضرورة اجتماعية للتطور في مختلف المجالات و عملية تواصل ثقافي و معرفي بين الاجيال، فهو العملية الرسمية و الشعبية التي يكتسب الفرد من خلالها معارف جديدة بجانب معارف السلف، و التعليم اكثر من جانب اذ به تكون الثقافة فيه مجليلية و هو ما يساعد على زيادة الوعي بشكل ايجابي او قد يكون بشكل سلبي و لهذه العملية علاقة على تدريب الفرد على المهارات الحرفية و المهنية، الامر الذي يؤدي حتما الى زيادة الانتاج[5].

فقد كان المعلم الذي يسمى المؤدب اساس التعليم فهو الموجه للتلميذ و المرشد للمجتمع فهو الشيخ و هو الاستاذ و هو الامام و احيانا هو المفتي و احيانا القاضي، و في غالب الاحيان كان مفخرة المدينة خاصة اذا كان عالما، و كان المعلم اما يدرس كل ابناء المجتمع في مساجد او زوايا او يدرس ابناء اسر معينة، و كان التعليم العام الرسمي من حظ الابناء الذكور، اما البنات لم يحظن بتعليم يرفع من شانهن و يعد هذا من سيئات نظام الحكم العثماني في بعض العائلات تعلم بناتها في البيوت، و عدم اهتمام المجتمع بتعليم المرأة جعلها مهضومة حقوق كثيرة في الحياة اليومية[6].

---

[1] ابو القاسم سعد الله: القاضي الاديب الشاذلي القسنطيني ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 32.

[2] يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية الاجتماعية،المرجع السابق، ص 497.

[3] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 8.

[4] صالح عباد: المرجع السابق، ص 178.

[5] عميراوي احميدة: من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى للنشر و التوزيع، مليلة، الجزائر، 2009، ص 132.

[6] المرجع نفسه: ص 133-134-11.

اما العلوم التي انتشرت في هذا العهد في قسنطينة فقد كانت محصورة تقريبا في العلوم التقليدية، الفقه، اللغة، الحديث، الادب، الحساب، واهم الاسر التي قامت بتدريس هذه العلوم هي من الاسر العلمية القديمة في قسنطينة، ولقد ادى الاهتمام بالعلم ونشر المعرفة الى الاهتمام بالمدارس والمساجد وقامت هذه المؤسسات بدور هام في المجالات العلمية والدينية والاجتماعية والسياسية وكانت قسنطينة تعج بالمكتبات و تولت عائلات عديدة مهمة بناء المدارس و المساجد و التدريس بها، والانفاق على الطلبة و تمتعت هذه العائلات بمكانة اجتماعية وعلمية[1].

والتعليم الذي كان سائدا آنذاك مقسم الى ثلاث مراحل اساسية متدرجة:

- **الاولى:** يتم فيها حفظ القران الكريم او جزء منه بعد تعلم الحروف الهجائية و القراءة و الكتابة وتدوم[2]،من سن الخامسة الى حدود الثانية عشر و يشترك فيها كل الاطفال من الجنسين الذكور والاناث علما ان البنت كلما تقدم بها السن قل توجيهها الى الكتاب الذي يجري فيه تحفيظ القران الكريم و مبادئ اللغة العربية و يجري تحفيظ القران في الواح خشبية، و تلاوة شخصية و جماعية بأصوات عالية على الحصاير في الصباح و في المساء، و لا تخلو قرية او مشتة من الكتاب و المسجد الذي يؤدي نفس الدور[3].
- **الثانية:** يتم فيها حفظ متون العلوم كابن عاشر، و الاجرومية و قطر الندى و الفية ابن مالك والشاطبية، ثم تشرح من قبل العلماء و الائمة و تدرس مواد النحو و الصرف و الفقه و التوحيد والحديث و العروض و القوافي و يقتصر هذا النوع من الدراسة على البنين دون البنات، و ذلك في المدارس و المساجد الكبيرة و الزوايا و المعمرات و يقبل عليه الناس بكثرة حسب الظروف[4].
- **الثالثة:** يتم فيها التوسع و التعمق في دراسة العلوم السابقة، الدينية و العربية و اللغوية و الادبية ويتخصص الطلبة حسب ميولهم و يهتمون خاصة بمادة الفقه و التشريع الاسلامي التي تلعب دورا مهما و اساسيا في حياة مجتمع الارياف الجزائرية دينيا و ماديا و خلقيا ،و كثيرا ما يرحل الطلبة الى الجامعات و المعاهد الاسلامية المشهورة خارج الوطن كالازهر و الزيتونة و القرويين للتخصص والتعمق في دراسة العلوم الدينية و اللغوية و الادبية و التاريخية و السير على مشاهير العلماء و الاساتذة[5].

و ينفق المجتمع الريفي بسخاء على التعليم و المؤسسات العلمية و رجال العلم و الدين فيحبس و يوقف اموال طائلة و متنوعة، كأراضي الحرث و البساتين و المحلات التجارية و الحمامات....

---

[1] ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 16.

[2] يحي بوعزيز:الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 498.

[3] المرجع نفسه: ص 498.

[4] نفسه: ص 498-499.

[5] نفسه:ص499.

قدر اموالا و مداخيل كبيرة ينفق منها على الطلبة و حفظ القران و على الشيوخ و العلماء و الائمة والمؤسسات العلمية و الدينية ،و جرت العادة ان يتحمل سكان كل قرية الانفاق على شيخ القرية الذي هو في نفس الوقت امام و معلم و مدرس و مفت و قاض و يخصصون له اجرة شهرية او سنوية، احيانا بالنقود و احيانا بالمنتجات الفلاحية و الحيوانية ،و قد كانت مدينة قسنطينة من اهم المراكز التعليمية في البلاد و تشمل على اثنين واربعين مسجدا للتعليم الثانوي يدرس فيها ما بين ستة و سبعمائة تلميذ وتسعين مدرسة ابتدائية تستوعب حوالي ثلاثمائة تلميذ تتراوح اعمارهم ما بين ستة و عشر سنوات و كان لبعض الحكام الاتراك اياد بيضاء في تشجيع بناء المساجد والمدارس على سبيل المثال الباي محمد الكبير[1].

وقد كان بالمدينة اكثر من مائة جامع ومسجد وزاوية وكتاب يعمل بها ائمة و وعاظ ومرشدون ومؤذنون وقيمون وحزاب، ومعلمون للقران الكريم و مدرسون للعلوم الدينية، و يوجد بها امير الركب الذي يقود قافلة الحج الى بيت الله الحرام كل عام، وكانت هذه الوظيفة في ايدي عائلة اولاد عبد المؤمن ثم انتقلت الى عائلة اولاد بن الفكون[2].

فالمساجد كانت عبارة عن اماكن للصلاة و العبادة و التعليم، [3] حيث بلغ عدد المساجد خمسة (5) مساجد كبرى، اما الصغيرة فقد بلغ عددها (70) مسجدا انتشرت عبر احياء المدينة بالإضافة الى 16 زاوية للدرس و التحصيل و اقامة الصلاة و حفظ القران، وانتشرت الطرق الصوفية، و شيد ما يزيد عن 90 مدرسة ابتدائية عبر احياء المدينة و 7 معاهد متخصصة للتعليم الثانوي و العالي و حددت الدراسة بالمدارس القسنطينية فترة (**10**) **سنوات** و كان يدير المدرسة وكيل يسهر على السير الحسن للمؤسسة و يساعده معاون يدعى القيم، وكانت الدراسة في المرحلة الثانوية مجانا بل كان هناك طلاب يتقاضون اجورا و منحة دراسية[4].

ويذكر البعض و يذكر البعض ان الاهتمام كان بالتعليم الديني، دون الاهتمام بمجالات التعليم الاخرى كما كان للعلماء مكانة علمية كبيرة و كانت السلطة تحترمها الى جانب العامة، و قد احتلت الطرقية مكانة هامة ولشيخ الطرقية نفوذا واسعا في اواسط المجتمع [5]، واكثر الطرق انتشارا في الطريقة الرحمانية التي كانت تضم عشرة الاف، ولم تكن نزعة التصوف فقط في المدن بل ساءت الارياف و البوادي و انتشرت بين القبائل مثلما كان سائدا في العهود الإسلامية السابقة [6] ،و بهذا فقد كانت مدارس قسنطينة لا تقل اهمية عن مدارس مدينة الجزائر

---

[1] صالح فركوس: الحاج أحمد باي، المرجع السابق ، ص 127.

[2] محمد صالح العنتري :فريدة منسية، المرجع السابق، ص 35.

[3] ابو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية، للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ج1، 246.

[4] عبد العزيز فيلالي، لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 164- 165.

[5] عميراوي احميدة: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس، المرجع السابق، ص 29.

[6] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص 259.

فقد عرفت هي الاخرى اشعاعا ثقافيا خاصة عهد صالح باي الذي اسس المدرسة الكتانية عام **1190هـ/ 1776 م** لتعليم مختلف العلوم و قد جعل لها نظاما خاصا[1].

كما اهتم بحالة المعلمين ووفر الاقامة في قسنطينة المتلاميذ الذين يأتون من قبائلهم خارج المدينة فمنهم من كان يقتات من مداخيل المساجد و منهم من اقامهم لدى العائلات القسنطينية الكبيرة مثل : **ابن الفقون، ابن جلول**[2].

كما كانت تحظوا المدينة ب 16 زاوية منها ما كان تابع للعائلات الكبرى : كزاوية اولاد فقون و زاوية اولاد جلول، و الزاوية ابن نعمون[3].

فالمساجد كانت المهد الاول التعليم و منذ العهود الاولى للإسلام كانت الى جانب وظيفتها الدينية تقوم بوظيفة التعليم و استمرت على هذا عبر مختلف الفترات الاسلامية و رغم ظهور المدارس لم تنقص من قيمة المساجد و بقيا معا في نشر رسالة التربية و التعليم و من اهم هذه المساجد كما يلي **مسجد (جامع) سوق الغزل:** امر ببنائه الباي حسن و كان ذلك عام 1143هـ/1730م.

الجامع الكبير: بني في عهد الدولة الزيرية (503هـ/ 1136م) يتميز بالكتابات العربية المنقوشة على جدرانه.

جامع سيدي لخضر: اسسه حسين باي ذلك سنة 1156 هـ لإقامة الصلاة و التعليم فيه، سمي بالجامع الاعظم كما حظي بمستوى جيد في التعليم الشرعي[4].

جامع سيدي الكتاني: امر صالح باي ببنائه عام (1190هـ/1776م) و على جانبه توجد مقبرة عائلة صالح باي، و بني الى جانبه مدرستين: **مدرسة سيدي الكتاني و مدرسة سيدي لخضر**.

مسجد البيضاوي: يوجد بحي باب القنطرة، تعاقب عليه علماء مدينة قسنطينة، منهم الشيخ الطولقي والشيخ يوسف[5].

كما انتشرت في هذه الفترة المكتبات و كثرت عبر انحاء المدينة ساهم في تكوينها البايات و السكان، و كانت الكتب تأتي الى هذه المكتبات عن طريق النسخ و التصنيف او تأتي من الخارج من بلاد الاندلس و مصر، والقسطنطينية و الحجاز، بطرق الشراء و الاقتناء و قد اعترف بعض المتشرقين الفرنسيين بكثرة الكتب و المكتبات بمدينة قسنطينة و اعجب بها و انها كانت في حالة جيدة سواء منها المكتبات العامة او الخاصة التي تملكها بعض

---

[1] نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من اقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث قسنطينة، 1965، ص 213.

[2] صالح علد: المرجع السابق، ص 178.

[3] ابو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص 264.

[4] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 18-19-20-21.

[5] المرجع نفسه: ص 19-20-25.

العائلات او الاسر القسنطينية و لا سيما عائلة ابن الفقون و التي كانت تحتوي مكتبتها على ما يزيد عن (**4000**) **مجلد**[1].

وكان الخط الذي يتم النسخ به هو الخط الاندلسي الذي قال عنه العلامة ابن خلدون، بانه طغى على الخطوط الاخرى، و تغلب عليها في بلاد المغرب و هو الخط المعروف حاليا بالخط "**المغربي**كما غلب عليه التقليد تارة لعلماء المشرق و تارة لعلماء المغرب الاقصى، فاصبح اسلوب التأليف يغلب عليه الاسلوب العامي وركاكة التراكيب كما اعتمد العلماء على الاسلوب النقلي[2].

وبهذا لم تغزو الامية و الجهل هذه البلاد و ذلك بالاهتمام بالتعليم و التعلم و بانتشار ظاهرة نسخ الكتب والمخطوطات و جمعها، و كثر تأسيس و بناء المؤسسات التعليمية المشار اليها، فكل قرية مهما كانت صغيرة لا بد لها من مسجد و كتاب. اما المدارس و المعمرات و الزوايا تتركز في قرى معينة و لا تخلو دائرة و ناحية منها[3].

[1] عبد العزيز فيلالي،لعروق محمد الهادي : المرجع السابق، ص 165.

[2] المرجع نفسه: ص 165

[3] يحي بوعزيز: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ،المرجع السابق، ص 499.

المبحث الرابع: الحواضر الهندسية للبايلك

يشكل العمران *خلاصة فريدة لحضارة الشعوب و هويتها الثقافية التي تكونت عبر فترات زمنية مختلفة وقد تناول هذا المبحث جميع الحواضر الهندسية لبايلك الشرق.

لقد ازدهر عمران مدينة** قسنطينة و راجت تجارتها و تغيرت شبكة المواصلات بها و بسبب الزيادة العمرانية زاد عدد ابوابها فأضيف لها باب الرحبة الذي يعرف ايضا " بالباب الجديد" يقع بالجهة الغربية و باب الوادي يؤدي الى الجهة الجنوبية اما باب الجابية و القنطرة فقد حافظت عليهم المدينة من العهود السابقة[1].

---

*مفهوم العمران:

اللغوي: في اللغة العربية نقول عمر المكان اي كان مسكونا بالناس و عمر الدار اي بناها و العمران هو البنيان او ما يعمر به البلد بواسطة الصناعة و التجارة و البناء. انظر: المعجم العربي الاساسي :المنظمة العربية لتربية و الثقافة و العلوم ،ط لاروس، 1989 ،ص866.

و العمران كذلك من الناحية اللغوية مشتق من كلمة لاتينية(Urbs)و التي تعني المدينة و كلمة العمران (Urbanisme) حديثة العهد اذ يعتبر المهندس الاسباني (IDel snof Cedra) مبتكر الكلمة الاتينية (Urbs) و التي تعني المدينة حيث الف سنة 1867 كتابا حمل عنوان النظرية العامة للعمران غير ان العمران كفن و كأسلوب له جذوره التاريخية.

الاصطلاحي: يقصد بالعمران البنية التي يغلب عليها و يميزها اضافات الانسان في صراعه المستمر مع البيئة الطبيعية لتحقيق اهدافه و غاياته و تمتد من المسكن الى المدينة. انظر: سيد محمد التوني وسمات عبد القادر: عن الاسكان و العمران، ابحاث مختارة من المؤتمرات الدولية، العربي لنشر و التوزيع،ط1992،3،ص10.

و يعد ابن خلدون من اوائل العلماء الذين تناولوا مفهوم العمران، و هو يرى ان العمران هو التساكن و التنازل للأنس بالعشيرة و اقتضاء الحاجات، انظر: ابن خلدون: مصدر سابق،ص157. ، و هو بذلك يجعل العمران هو الحياة الاجتماعية في جميع ظواهرها و يربط بين العمران و اساوب الحياة و كسب الرزق فيجعل ما يجمع الناس في عمران واحد هو تعاونهم في تحصيل معاشهم، فالعمران بمفهوم شامل يمكن تناوله من منظورين احدهما يرى العمران نتيجة، و الاخر يراه وسيلة فالاتجاه الاول في تناول العمران يجعله هو نتيجة تفاعل ذكاء الانسان مع البيئة الطبيعية في استيفاء حاجاته المادية و الروحية. انظر: نبيل فرح: العمارة الانسانية للمهندس حسن فتحي،الانجلو المصرية القاهرة،1984،ص31.

و الاخر تناول العمران باعتباره اداة المجتمع ووسيلة لصياغة و تجديد معارفه و مفاهيمه الاساسية و شحذ طاقات افراده الابداعية. انظر: عبد الحليم ابراهيم: العمارة و دورها في تربية النشأة، مجلة عالم البناء:عدد107،القاهرة،1990،ص121,

**مفهوم المدينة: و يقصد بها كل تجمع حضري ذو حجم سكاني يتوفر على وظائف ادارية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية في شكل من التجمعات البشرية بالغ الكثافة و التنظيم و التعقيد كما انها التحام بين مقومات روحية و معنوية، و مكونات مادية مجسدة للأولى لا يمكن الفصل بينهما انظر: ابراهيم بن يوسف:اشكالية العمران و المشروع الاسلامي، مطبعة ابو داوود، الجزائر، الحراش،1992، ص 63.

تعرف، انواع البنايات السكنية على انها تنظيم هندسي و معماري، حيث يعطينا صورة على الشكل الخارجي للبناية كما يترجم ايضا مستوى معيشة السكان انظر: توفيق حشول:المدينة و التأطير الامني بالوسط الحضري، مقاربة مجالية حالة مدينة قسنطينة ،رسالة ماجستير قسم التهيئة العمرانية كلية علوم الارض و التهيئة العمرانية،منتوري قسنطينة،ص23.

-فهناك ايضا علاقة متبادلة بين المجتمع و العمران، فهو عبارة عن مجموعة من المباني اما المجتمع فهو مجموعة من الافراد تكون مجموعات انسانية و تربطها مجموعة من الانشطة و العلاقات و تتشابه هذه الافراد في الانسياق الثقافية و الاجتماعية ، فالعلاقة بينهما هي علاقة بين بيئة مادية و اخرى غير مادية و بالتالي فان كل من العمران و المجتمع يرتبط بالأخر بعلاقة تبادلية التأثير و التأثر فمن الممكن ان يؤثر العمران في المجتمع و يكون اداة لتنمية و تطويره، كما ان المجتمع يمكن ان يؤثر على العمران فيأتي العمران انعكاسا لملامح و قيم المجتمع انظر: نهى محمد صياد: اثر التغيرات الثقافية على الانساق التصميمية للنتاج البنائي، رسالة ماجستير، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 2002، ص 25.

[1] قشي:المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 240.

ومن علامات التنظيم في المدينة الاسلامية و في مدينة قسنطينة خاصة هو تقسيمها [1] ، الى احياء سكنية كبيرة يحتل كل حي حيز جغرافيا بأحد اطراف المدينة و تتكون الاحياء في حد ذاتها من وحدات سكنية التي تأخذ شكلا متراصا على جانبي الشوارع الضيقة، و لقد لفتت هذه الظاهرة احد المؤرخين الفرنسيين فقال، ان نظافة كبيرة كانت تميز المنازل و الشوارع و قسنطينة مثل المدن الاسلامية تحمل طابعا معماريا مميزا و لونا محليا خاصا لا تستطيع المدن الاوروبية ان تظاهيه [2]، و قد قسمت المدينة الى اربع احياء رئيسية ذات طابع سكني و هي:

- **حي القصبة:** يحتل الجهة الشمالية الغربية من المدينة يمر بجانب هذا الحي الطريق الرئيسي الرابط بين الباب الجديد و باب القنطرة [3]،و يحتوي على عدد من الجوامع اشهرها: جامع الاخضر،و بازدهار المدينة اصبح للحي اهمية استراتيجية حيث اقيمت به عدة نشأت و سكنات للقادة العسكريين خاصة في فترة صالح باي [4]، والقصبة ميدان فسيح و هي اكبر من قصبة الجزائر بمقدار النصف و تحيط بها عدة بنايات يسكنها المفتي [5].
- **حي الطابية:** يقع في الجهة الجنوبية الغربية و بالضبط في جنوب حي القصبة و شمال باب الجديد يعتبر اصغر الاحياء مساحة يضم عدة مساجد اكبرها سيدي علي بن مخلوف بالإضافة الى وحدات سكنية متلاصقة مع بعضها البعض [6].
- **حي القنطرة**، يقع حي القنطرة في الجهة الشمالية الشرقية يعبره الطريق الرئيسي الذي يربط باب القنطرة بالأبواب الاخرى مما يجعله يكتسب حركة و نشاط دائمين يضم عدة مرافق تضمن قضاء الحاجة للسكان دون عناء كالمساجد و الزوايا و الاسواق [7].
- **حي الجابية**، يشغل الجهة الجنوبية الشرقية يعتبر اكبر الاحياء مساحة و كثافة سكانية، اقيمت مساكنه في منحدر صعب شديد الانحدار على حافة الوادي يضم في وسطه حي السويقة والزلايقية ورحبة الجمال [8].

---

[1] دحدوح عبد القادر: مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية اثرية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الاثار الاسلامية معهد الاثار، جامعة الجزائر،2009، 2010، ص 212.

[2] لعروق محمد الهادي، فيلالي عبد العزيز: المرجع السابق، ص 145 .

[3] معاشي جميلة: الانكشارية و المجتمع في بايلك قسنطينة، المرجع السابق، ص 63 .

[4] سعيدوني نصر الدين: وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت، مجلة الاصالة ،مطبعة البعث، قسنطينة، ع59، 1971، ص 98.

[5] شلوصر: المصدر السابق، ص 75.

[6] بن علي شعيب: المرجع السابق، ص 230-231.

[7] شلوصر: المصدر السابق، ص 73.

[8] المصدر نفسه:ص 74.

فأحياء و شوارع و موقع بايلك الشرق اهلها بان تكون نقطة استقطاب و محور مبادلات و المعاملات، ومركز تجاري نشيط تدب فيه حركة تجارية واسعة ، وتبقي هذه الاعلام على تاريخ اندثرت معالمه بفعل الزمن او بفعل الانسان و منها التغيرات التي ادخلت على النسيج العمراني بشق الطرقات واسعة تربط الابواب او المنافذ الرئيسية للمدينة فمست المنشآت وهدمت بنايات وحولت اخرى عن مهامها بحجة المصلحة العامة[1].

وعلى غرار بعض المدن في البايلك حفظ اهل قسنطينة ذاكرة اوليائهم واعلامهم في معالمهم ومنشاتهم العمرانية الكثيرة ومن ذلك الثكنات والمساجد والقصور والمدارس وقد اشار الرحالة الور ثلاني في القرن (12هـ/18م)ان مدينة قسنطينة كانت تصغر وحدها على 35 مساجد جمعة وعاب على ولاتها عدم اهتمامهم بالأوقاف والمدارس تستعمل كمراكز للتعليم، كما كان بها 7 مدارس ثانوية، و 90 مدرسة ابتدائية[2]،اما بالنسبة لمساجد مدينة قسنطينة فقد اعجب الفرنسيون بهندسة بنائها من زخرفة فسيفسائية واعمدة مرمرية ونقوش عربية وافرشة ضخمة كالزرابي والحرير المطرز وهذا ما جعل الفرنسيون يختارون اجمل وافتن المساجد و حولوها الى كنائس مثل جامع الغزل الذي حول الى كاتدرائية وبعض هذه المساجد تعرضت الى الهدم من طرفهم[3].

فقد حظيت المساجد بأهمية لدى المعماريين الذين برعوا في بنائها و اتقانها من الداخل و الخارج فتزينت بالمحاريب و المنابر و القناديل و ازدانت بزخرفتها و رسومها و خطوطها و انتصبت شامخة بصوامعها ذات العلو الشاهق، و كانت تتميز بالصلابة لأنها بنيت بالحجارة الكبيرة و المستقيمة، والاعتناء بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع المسلم فلا تكاد تجد قرية او حيا في المدينة بدون مسجد فقد كان هو ملتقى العباد ومجمع الاعيان و منشط الحياة العلمية و الاجتماعية و هو قلب القرية في الريف و روح الحي في المدينة[4]، وفي معظم الجوامع توجد المكتبات الموقوفة على القراء و الطلبة والاساتذة والاساتذة كما يقوم على خدمتها عدد كبير من الموظفين الذين تجاوزوا الستين ،اما الزوايا فقد كان بنائها يختلف عن بناء المساجد او الجامع فالزوايا غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد و المنزل و هي في الجملة قصيرة الجدران، منخفضة القباب بالأعمدة و قليلة النوافذ، فمن الناحية الهندسية، غير جميلة لكنها بالمقابل تملك اركانا كثيرة و لعبت دورا لا يستهان به في التكافل الاجتماعي و التعليم و الجهاد و ان كان بعضها مصدرا للخرافة و الشعوذة[5].

[1] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 234-235.
[2] الجيلالي: المرجع السابق، ص 537،450.
[3] بوضرساية: المرجع السابق، ص 100، 101.
[4] ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، المرجع السابق، ص 244.
[5] المرجع نفسه: ص 254.

وتمثل المساجد خلال العهد العثماني مرحلة هامة من مراحل التطور المعماري والفني للعمارة الدينية بصفة عامة والمسجدية بوجه خاص، ومن بين العناصر المتعلقة بالمساجد و عمارتها المنابر التي تعتبر تحفا فنية واستعمل في صناعة هذه المنابر مادتا الرخام و الخشب و لكل واحدة منهما خاصيتها التركيبية و تقنياتها الصناعية والزخرفية، فهو عبارة عن منصة من حجر او خشب تتسع لوقوف وجلوس الخطيب وتقع قرب المحراب وتعلوها قبة صغيرة ويصعد الى المنبر بدرج له درابزين على جانبيه وباب بمصراعين في الاسفل: تعلوه شرفات تحملها صفوف من المقرنصات و يتعامد مسقط الدرج مع جدار القبلة ،و استعمل المنبر كمكان يرتقي اليه الامام لإلقاء الخطبة فيكون مرئيا و مسموعا لجميع المصلين، لان الارتفاع يسهل مشاهدة الخطيب[1].

وقد كانت من ابرز المنابر لمدينة قسنطينة منبر الجامع الاخضر، الذي يقع بالناحية الشمالية الشرقية اسفل قصبة مدينة قسنطينة و على ممر مدخل باب القنطرة في الحي الذي سمي باسم سيدي لخضر بالقرب من رحبة الصوف و بني الجامع من طرف الباي حسن بوحنك 1843م.

اتخذت فتحة مدخل المنبر شكل العقد المتجاوز بفصوص صغيرة تفصلها خطوط مستقيمة صغيرة ويحتوي على شريط كتابي يتمثل في الشهادتين بخط الثلث و نفذت بأسلوب التلوين، اما الدرج فهو يتكون من عشرة درجات و تتكون الريشتان من حشوات مربعة مزينة بقوائم بأسلوب الخرط[2].

اما المساكن العامة في الفترة العثمانية لا تخرج عن النمط العمراني الموروث عن العهود الاسلامية السابقة. كما تبدو عليها التأثيرات العثمانية، فالمنازل عبارة عن ديار مربعة و ضخمة من الخارج تبنى عادة من الداخل ببناء متميز بالأناقة، فمعظم المنازل كانت بها طابقين طابق ارضي توجد به المخازن و الصهاريج و الاقواس القوية التي تحمل المبنى اما بقية البناية عبارة عن طابقين يقعان في شكل دائري حول حوش مفروش بالمرمر، وفي كل منزل حوش يتلقى منه المنزل الضوء، و في جميع المنازل توجد شقة صغيرة توضع عند الباب الخارجي خارج البناية و في هذه الشقة يستقبل رب البيت الزوار و يتولى المعاملات[3].

والمنازل تختلف في ادوات بناءها و شكلها حسب طبقات المجتمع و مكان العيش، فمساكن الرحالة العرب كانت عبارة عن خيام مصنوعة من الشع ر اما مساكن القبائل كانت عبارة عن دواوير ذات بيوت مبنية من الطين و الحجارة اما سقوفها منها ما هو بالديس او بالقرمود حيث كانت ايضا غرف العائلة منفصلة عن اصطبل الحيوانات[4].

[1] خيرة بن بلة: منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني دراسة اثرية فنية، مجلة الاتحاد العام للآثار بين العرب، ع13، ص 146-147.

[2] المرجع نفسه:ص 157.

[3] شالر ويليام: المصدر السابق، ص 96.

[4] شريط عبد الله: الاعمال الكاملة، منشورات السهل، وزارة الثقافة، الجزائر ،2009، ص 319.

اما القصور فقد ترك الاتراك اثار عمرانية كثيرة لازالت خالدة الى يومنا هذا و شاهدة على وجودهم و قد تميزت بالطابع المعماري الاندلسي و ادخل العثمانيون نمطهم الخاص حيث اهتم المعماريون بزخرفتها بالنقوش البديعة رسما و كتابة بالعربية و التركية و استخدموا فيها الاساليب العمرانية المتطورة من خزف و بلاط وفسيفساء و مرمر و رخام و صمموا بناء القصور بأشكال هندسية غاية في الاتقان و الجمال اذ لا يكادوا يخلوا قصر من الحدائق و النافورات[1].

فقد كانت بها قاعة الانتظار واسعة عند المدخل تؤدي الى فناء مركزي مع اروقة على طول كل من الجانبين تنتهي الى حجرات داخلية، اما الاثاث المتكون من طاولات قصيرة و مخدات و صناديق مطعمة باصل من الحجارة او العاج فقد كان يشكل النوعية التي وجدت في كامل الاراضي العثمانية، و كانت الارضيات تغطى اما بزرابي الصلاة الاناضولية، او الحنابل التركية الجميلة[2].

اما الحمامات، بنيت في العهد العثماني و بقيت محافظة على شكلها و هندستها ووظيفتها و بلغ عددها حوالي 20 حماما و مازال سكان المدينة يقصدونها و يفضلونها على الحمامات العصرية، و لعل اول حمام بناه الاتراك كان حمام ثلاثة الكائن بحي الشط، و يطلق عليه ايضا اسم حمام لهوا كونه بني فوق المنحدر اما سبب تسميته بحمام ثلاثا فلانه الوحيد الذي حدد سعره ب ثلاثة صوردي بينما حدد في الحمامات الاخرى بخمسة، كذلك حمام دقوج و يعد بدوره من اقدم الحمامات و قرب غرفة استراحة به يوجد ضريح سيدي دقوج،و حمام بوابزايم يوجد شارع الاربعين شريفا [3]، فالحمامات هي المكان الذي يتنظف فيه الجزائريين دينيا وصحيا،[4] و فيه يلتقي الرجال و النساء الحضر كل في قسمه المنفصل و فيه يتفق على الزواج او بداية مبادرته الاولى و فيه يتحدث عن مراسيم الدفن و تحمل الاعمال التجارية الى مرحلة الاتفاق و فيه تحكى الحوادث العائلية بين الاصدقاء، [5] و كانت هذه الحمامات واسعة و نظيفة مضاءة من السقف و مجهزة بالماء البارد والساخن و بها غرف كثيرة تدفع فيها الجرة و غرفة خارجية توضع فيها الثياب [6]، يقوم الخدم بغسل المستحم مستعملين ماء الزهر و يبخون عليهم بالمسك و العطور الاخرى و بعد الانتهاء من الحمام تتوجه المرأة المستحمة الى قاعة اخرى توضع بها الشربات و الفاكهة و حلوة اصابع العروس و تحضر فتيات للمرقص، و في هذا الجو المبتهج تقضي السيدات يوم من ايام الاسبوع[7].

---

[1] عقاب محمد الطيب: من قصور مدينة الجزائر في اواخر العهد االعثماني، دار الحكمة، الجزائر،2009، ص 34-35.

[2] ويليام سبنسر:المرجع السابق، ص 110-111.

[3] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 42.

[4] سليماني احمد: المرجع السابق، ص 47.

[5] ويليام سبنسر: المرجع السابق، ص 114.

[6] سليماني أحمد: ا لمرجع السابق، ص48.

[7] ويليام سبنسر: المرجع السابق، ص 115.

اما عن الاسواق فهي عبارة عن مجموعة من حوانيت مصفوفة فيعلوها احيانا سقف مقبب و لها باب محروس يقفل مساءا[1].

حيث ان التمغروطي لما زار الجزائر وصف لنا اسواق المدينة حيث قال انها مدينة عامرة كثيرة الاسواق فهي اعمر و اكثر تجارا او فضلا و انفذ اسواقا و اجود سلعة و متاعا حتى انهم يسمونها اسطنبول الصغرى[2]، وكانت هذه الاسواق مقسمة اقساما لحسب الحرف و بالإضافة الى الحرف الشائعة كالخبازة و الحدادة والخرازة هناك حرف اخرى مثل الدباغة و الطرز[3].

فمدينة قسنطينة لوحدها كانت تنتشر بها اسواق كثيرة مثل سوق الجمعة يفتح كل جمعة فقط اسسه صالح باي وكانت تباع فيه الخضر و الفواكه و الالبسة و مختلف المنتوجات التي يحتاجها السكان[4]، وبعدما رفت تلمسان الانحطاط اصبحت قسنطينة تمثل السوق الاكثر اهمية في الداخل و امتدت علاقاتها التجارية الي ما وراء المناطق المجاورة لتبلغ مدينة الجزائر و تونس و الجنوب الصحراوي[5].

ومن اهم الاسواق كذألك في مدينة قسنطينة ايام العهد العثماني في السويقة عبارة عن تجمع سكاني وتقاطع الشوارع الضيقة تتواجد به محلات تقليدية يباع فيها كل ما لذ و طاب من مأكولات شعبية و البسة تقليدية و الحلي و النحاس شوارعها ضيقة بلاطها من الحجارة الملساء و دون ان يشعر الزائر يجد نفسه في كل مرة يدخل الي حارة اخرى فكلها تتشابه من حيث البناء و تختلف في التسميات[6].

فمن السويقة نلج الى سوق العصر *، تباع فيه الخضر و الفواكه في وسطها بينما تحاط بها محلات بيع القماش و الملابس و الاحذية.

---

[1] عروة نجاة: من وحي التراث المعماري و الحرفي في الجزائر، دحلب، تلمسان، ص 102.

[2] ابو القاسم سعد الله: بحوث في تاريخ المغرب الاسلامي، ج2، ط2، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1990، ص 502.

[3] المرجع نفسه: ص 503.

[4] قفي: المدينة و المجتمع ،المرجع السابق ، ص 72.

[5] شارل اندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر، الغزو و بدايات الاستعمار (1827-1871)، مج1، ط1، النشر و التريع من وزارة الثقافة 2008، ص 37.

[6] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 38.

* هذه السوق سميت بسوق العصر لانها في السابق و قبل عشرات السنين كان تجار الخضر و الفواكه يوقفون البيع عند سماعهم اذان العصر حيث يتركون كل ما بقي من سلعهم ليستفيد منها الفقراء و يطلق عليها سوق العصر حبيب المسكين لان الفقراء كثيرا ما يلجاون اليها بعد صلاة العصر لياخذوا ما تبقى من الخضر دون دفع الثمن،انظر: المرجع نفسه، ص 39.

كذلك تعتبر الرحبات ذلك المكان الواسع الذي يستعمل لأغراض تجارية حيث تباع فيها مختلف السلع وعرفت قسنطينة عدة رحبات منها ما يزال قائما حتى اليوم و منها ما تحول الى مباني و طرقات كرحبة الزرع التي كانت تتوسط المدينة و تقام فيها عدة نشاطات كبيع التمور و الحبوب و الزيوت و كذلك من الرحبات التي عرفت ذلك الوقت: رحبة الشبرليين، سوق الخرازين، سوق العطارين، سوق الصاغة، و سوق الصباغين[1].

اما المقاهي فقد اعتبرها فاغز انها اماكن تتيح للاجنبي ان يتعرف على الشعب و يتعلم لغته و قال بانه لا يوجد مكان يتعلم فيه التعابير الشعبية مثلما يتعلمها في المقاهي[2].

فهي كانت مقاهي مستطيلة تغطيها حصائر من سعف النخيل يجلس فوقها الرواد على الطريقة الشرقية على انغام الموسيقى التي لا تخلو كل ايام الايام الاسبوع[3].

كما نذكر بعض الاعمال التي اشتهر بها البايات في مدة ولايتهم خلال العهد العثماني:

1-فحسين باي المدعو بوحنك من 1736-1754 اسس مسجد سيدي لخضر[4].

2- و حسان باي، 1792/1207م بني دار الباي مقرا للبايات و اتم جسر باب القنطرة و قبره بمسجد سيدي لخضر[5].

3- اما صالح باي فقد توفرت قسنطينة في عهده على 5 مساجد كبرى و 70 مسجدا صغيرا و 13 زاوية الى جانب الكتاتيب[6].

فقد اهتم هذا الاخير بالتوسع العمراني و انتشاره داخل المدينة و خارجها فشيد مسجد و مدرسة سيدي الكتاني سنة 1775م و اقام بالقرب منها بيوته الخاصة التي امتازت بالضخامة و السعة و الى جوارها شيدت دور و منازل لحاشية الباي و خواصه و خدمه و بجانب هذه المباني انشات البساتين و الحدائق والإسطبلات والحمامات العامة، والدكاكين والمحلات التجارية التي تحيط بسوق الجمعة، والحق بهذه المنشآت مجموعة اخرى من الدكاكين والفنادق خار الاسوار عند باب الجديد كما ينسب الى صالح تعمير ناحية "الشارع" وتحصينه وهي الناحية التي اقطعها لليهود فهي اصبحت تعرف بحارة اليهود، فبنوا فيها منازلهم و دكاكينهم[7].

---

[1] محمد عثمان: المرجع نفسه،ص 39،38،40.

[2] دوداو ابو العيد: المرجع السابق، ص 63.

[3] زوزو عبد الحميد: نصوص و وثائق من تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1830-1920)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 94.

[4] العنتري: فريدة منسية، المصدر السابق، ص 72.

[5] ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 278.

[6] العنتري: فريدة منسية، المصدر السابق، ص 215.

[7] عبد العزيز فيلالي،لعرقق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 163.

كما اعاد بناء جسر القنطرة و قد استعانه في ذلك بأحد المهندسين الايطاليين و استقدم للعمل به ما يناهز 100 عامل من اوروبا، و كان صالح باي يرمي من عمله هذا الى تشييد صف من الاقواس يكون بمثابة جسر و حماية في ان واحد و بذلك يتمكن من جلب الماء من عين العرب الواقعة في اعالي سوق الغزل، و توفي دون تحقيق عمله الضخم لجلب المياه الى قسنطينة، هذا المشروع الذي اتهم بسببه صالح باي على انه كان من ورائه الى الانفصال و الاعلان و الاستغلال مما امر الداي بقتله[1].

اما الحاج احمد باي (**1241هـ/ 1826م**) شيد قصرا فخما و مزخرف على نحو مفرط، مخططه اصيل والبنايات منتظمة حول العديد من الاروقة و البساتين مقطوعة بأعمدة مغطاة برخام ايطالي و خشب الارز من الاوراس، الواجهة مغطاة بزليج رائع، تزين جدران الاروقة برسوم جدارية جميلة، فهو معلم تراثي عريق وتحفة معمارية تتزين بها قسنطينة، حيث تقول **شادية خاف الله** مديرة المتحف الوطني للفنون و التعابير الشعبية، ان هذه الجدارية لم تبح بعد بجميع اسراره بالتاريخ و بقراءة مختلف الاحداث التاريخية التي عايشها احمد باي مثل تلك المعارك التي شارك فيها [2]،لقد بقيت المعالم العمرانية شاهدة على ما كانت قسنطينة، من نهضة فكرية و عمرانية رغم ان فرنسا بمجرد احتلالها المنطقة غيرت معالمها الحضارية، فباب الجديد و باب الواد مثلا تم ردمها، و انشؤوا باب فالي كذلك باب الجابية و باب القنطرة مما و اصبح لها اسماء فرنسية واحدث طرق جديدة في مكان الطرق القديمة و سميت هي الاخرى بأسماء غربية منها سيتون و شاسي واوبلان[3].

يعتبر البيت التقليدي في مدينة قسنطينة نموذجا منتشرا و عاملا اساسيا في تكوين الاحياء و المدن الاسلامية القديمة، و البيت التقليدي كما يعرفه باقون (pagand) هو البيت الذي له تاثيرات جهوية ومحلية حيث يخضع للمتطلبات المحلية المرتبطة بالعادات الشعبية و تقنيات نوعية كما يعتبر هذا البيت فضاء يضم الخلية الاسرية و يعرف هذا النموذج السكني باسم "دار" في اغلب المدن العربية، اما في مدينة قسنطينة فيطلق عليه اسم "دار عرب" او "دار الجيران" بسبب خدمة عدة اسر تكون غالبا من نسل واحد و كانت تضم عدة عائلات تحت سقف واحد[4].

[1] سعيدوني: دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 322.

[2] صابر بليدي: قصر احمد باي يروي اسرار عمارته و جواريه لزوار قسنطينة، روايات عن 385 جارية كن يعشن في القصر، جدارية عملاقة تحاكي اطوار رحلة الباي بين الجزائر و مكة، اماكن العرب، ع 9896، ص 121.

[3] بوضرساية: المرجع السابق، ص 103.

[4] ابن عبد السلام عقيلة ، نكاح نذيرة: استعمالات الفضاء التقليدي القسنطيني، دراسة ميدانية بحي سيدي الجليس مدينة قسنطينة، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في علم الاجتماع التربوي الثقافي،1983-1990، ص 26.

ومن بين سمات البيت التقليدي من حيث الموقع بانحصاره وسط الازقة مديرة ظهرها المشارع الخارجي،[1] كما انه يكون مغلقا من الخارج بحيث لا ترى و لا تظهر منه سوى بعض الثغرات الصغيرة التي تعتبر كنوافذ صغيرة جدا تطل على الشارع الصغير " الزنقة" و مفتوحة من الداخل كما ان الحياة بداخله تكون مغلقة ومحافظة على سريتها و في نفس الوقت يعرف حركة و نشاط دائمين من طرف سكانه ،وبما ان العلاقات الاجتماعية كانت وطيدة ما بين العائلات القسنطينية ، اثر هذا على شكل البناية، بحيث نجد البيوت متجاورة و متراصة و لا يفصلها عن بعضها البعض سوى جدار واحد[2].

هياكل البيت التقليدي : يحتوي البيت التقليدي القسنطيني كغيره من البيوت " التقليدية العربية على هياكل مختلفة تتمثل فيما يلي:

العتبة: يفصل بين الحياة داخل البيت و الحياة خارجه، **السقيفة:** و هي بمثابة غرفة انتظار. **وسط الدار:** (**صحن الدار**): و هي عبارة عن ساحة داخلية مفتوحة على السماء تمثل مركز البيت مربعة او مستطيلة الشكل، **الدهليز:** مكان مظلم يوضع فيه عادة الفحم. **المجلس:** مخصص لاستقبال الضيوف و الجلوس، **الديوان:** و يستغل في الاعراس و الولائم، **بيت الصابون:** مخصص المغسل و الاستحمام و هذا الاخير تملكه بعض البيوت فقط، **المرحاض:** بيت الماء.

استعمالات البيت التقليدي:

- ✓ **الافراح:** عندما يكون هناك عرس فتحضر النساء مختلف الحلويات و مستلزمات الوليمة داخل الغرفة (البيت) او المجلس ثم تنظيف الغرفة، و في يوم الاحتفالات بالزفاف يحضر عشاء الوليمة في الديوان و عند قدوم العروسة و اهلها يستقبلهم اصحاب العرس في احدى غرف الجيران اما باقي النساء فتجلس في وسط الدار مع الفرقة الموسيقية النسائية و الرجال تخصص لهم غرف الطوابق وعند ختان احد الاطفال تحضر ام الطفل المختون وليمة قهوة للجارات في وسط الدار احتفالا بالختان[3].
- ✓ **في المواسم الدينية:** في عيد الاضحى المبارك تربط الكباش في وسط الدار ثم تذبح و تنظف قرب الحوض المائي و تعلق في زاوية من الزوايا الصحن و بهذه المناسبة الدينية يلتقي جميع الجيران صغيرا داخل مساحة البيت، في المولد النبوي الشريف و عاشوراء و عند قدوم الربيع، فكل جارة تحضر

---

[1] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 255.

[2] ابن عبد السلام، نكاح: المرجع السابق، ص 26.

[3] المرجع نفسه: ص 27.

وتطبخ عشائها الثريدة والبراج و هنا نلمس مدى تفاقم العلاقات الاجتماعية حيث سابقا كانت النساء تلتقي في صحن البيت وتشتركن في تحضير ولائم الاعياد الدينية[1]

[1] عبد السلام، نكاح: المرجع نفسه، ص 48.

خلاصة الفصل الثاني:

لقد خرجنا من خلال هذا الفصل بنتائج اهمها :

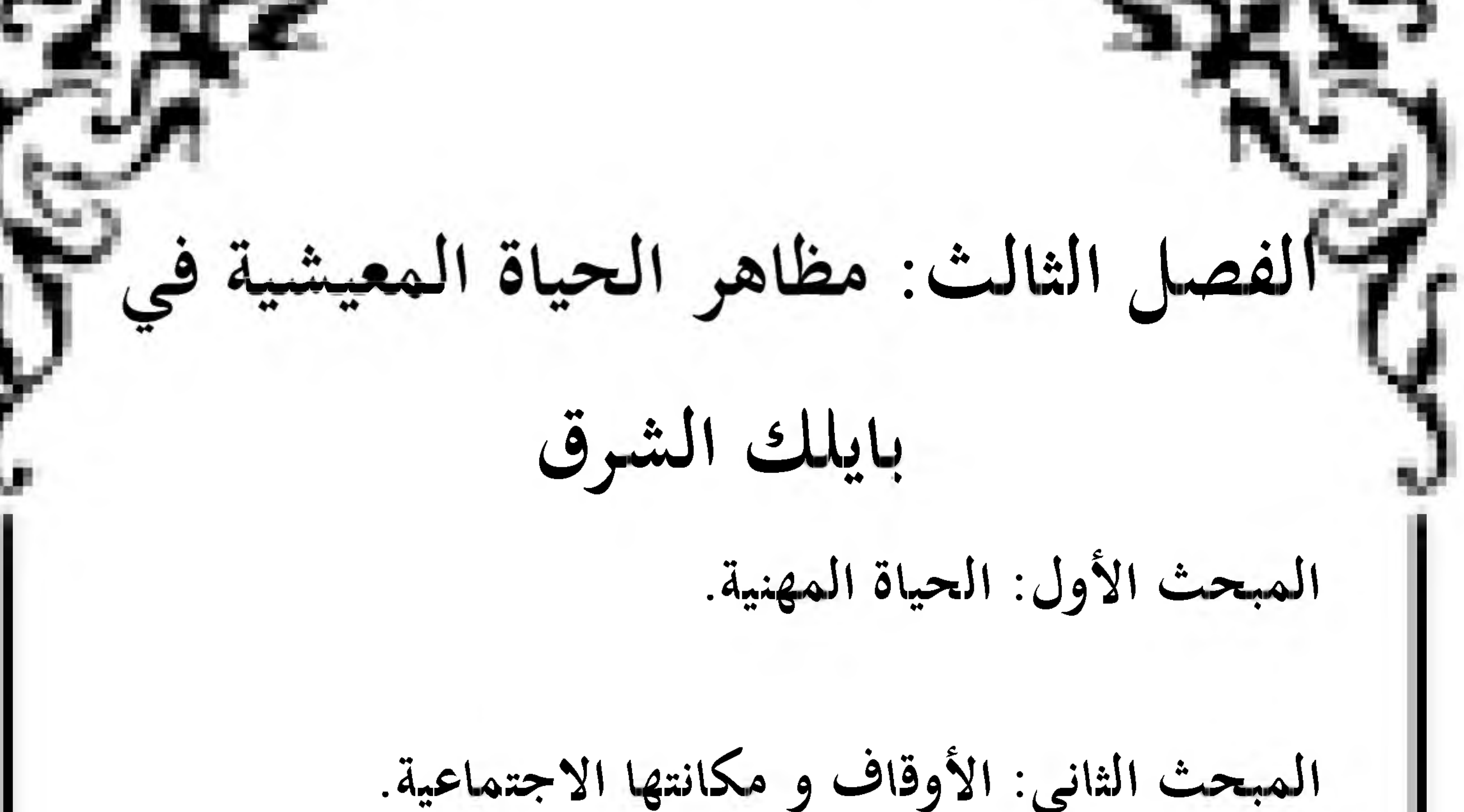
-المرأة مكانة هامة في المجتمع القسنطيني فهي تعد عنصرا فعالا داخل الأسرة.

-اتسم الزواج في بايلك الشرق بارتفاع قيمة الصداق المدفوع للمرأة الى جانب الهدايا.

-لم يخلو المجتمع الفلسطيني من المشاكل الأسرية أبرزها الطلاق.

-تميز بايلك الشرق بعمرانه الكثيرة و بالحواضر الهندسية التي تعبر عن تاريخ باياته ، تأتي في مقدمته مدينة قسنطينة.

-تميز التعليم في بايلك الشرق بطابعه الديني الاسلامي.



الفصل الثالث: مظاهر الحياة المعيشية في بايلك الشرق

المبحث الأول: الحياة المهنية.

المبحث الثاني: الأوقاف و مكانتها الاجتماعية.

المبحث الثالث: ملكية الأراضي والواقع الزراعي في بايلك الشرق.

المبحث الرابع: التجارة في بايلك الشرق.

تمهيد:

تعتبر الحرف والصناعات وكل المعاملات المالية القائمة في كل مجتمع من الدعائم الأساسية لبناء حضارة واقتصاد أي مدينة وكان هذا حال مدينة قسنطينة في العهد العثماني، حيث كانت حياتها الاجتماعية والاقتصادية مرتبطة بهذه النشاطات من حرف وصناعات، بيوعات، ونقل الملكية بين أفراد مجتمعها.

المبحث الأول: الحياة المهنية

عرف المجتمع القسنطيني في العهد العثماني صنائع وحرف تقليدية، كانت في مجملها موروثة أبا عن جد، تعتمد بالدرجة الأولى على البنية المحلية الموجودة في المدين وضواحيها مما جعلها تمثل قطبا صناعيا كبيرا، وهناك مجموعة من الحرف والصناعات المحلية.

لقد تميز بايلك الشرق بنشاطه الحرفي، فاكتسبت سمعة متينة ومرموقة في هذا المجال كما ان الحرفة تعد عنصرا من العناصر المكونة المهوية، فقد اكتفى العديد من الحرفيين القسنطينيين بالحرفة نسب لهم للتعريف بأنفسهم وسط المجتمع المدني في أواخر القرن الثامن عشر[1].

كما أنها العنصر المميز المهوية وطغت في بعض الأحيان على التعاريف الأخرى فقامت مقام النسب والنسبة وعندما ينتشر التداول بالحرفة كصفة مميزة للشخص في معاملاته اليومية تذرب الفوارق الاثنية والانتماءات الجغرافية المحرفيين على الأقل في وسطهم الضيق والمقنن[2]، فهناك الحرفة التي تأخذ محل الاسم العائلي فتأتي لتعميم النسب والرفع من شأنهما والتأكيد على الهوية عندما يكون الشخص معروف باسمه واسم ابيه او نسبه فتستعمل صيغ متعددة دون تدقيق أو تضاف الحرفة للتمييز والعلاقة الموجودة بين النسب والحرفة فيمكننا اللجوء إلى الحرفة لإضعاف النسب العائلية أو إهمالها عن قصد بهدف الاندماج في الوسط الحفي والوسط الحضري بالتبعية أوالتخلي عن نسب ينقل وزنها اللفظي أو الرمزي أو الاجتماعي أما عن قيام الحرفة مقام النسب العائلي فلم يأخذ ذلك ملامحه إلا في نهاية القرن 18م.

كما انه لا يوجد ترتيب واضح للأحياء، فمثلا صانع الجلود يتوزعون على أحياء جديدة في سكنات مأجورة في أغلب الأحيان، كذلك يخضع التوزيع السكني للأحياء إلى قانون العرض والطلب المبني على مكان الحي وبعده وقربه من المؤسسات المركزية بالمدينة من جهة إضافة إلى مميزات الدار من الناحية المعمارية مثل سعة وعلو وطراز البناء. ونظرا لهذه العوامل، وجد هناك تمركز للحرفيين في بعض الحومات والأحياء فمثلا أهل الرباعة كانوا يتوزعون على باب الجابية والزلايقة وسيدي عبد الله الشرف والطابية ومقعد زوارة والرصيف والجامع الكبير ورحبة الصوف، في حين الخرازين كانوا يمثلون عددا كبيرا يتوزعون بهذه الاحياء وكثيرا ما يجمع البيت الواحد أكثر من نفر من نفس المهنة[3].

---

[1] قشي:المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص 260.

[2] المرجع نفسه: ص 264.

[3] نفسه: ص 201-202-274-277-279.

وقد عرفت مدينة قسنطينة في هذا العهد نشاطا صناعيا يشمل أغلب المهن والحرف التقليدية التي وجدت بالجزائر خلال العهد العثماني، ويذكر فيرو Féraud أنها ناهزت الثلاثين حرفة وهذا ما جعلها من أهم المدن الصناعية في الجزائر[1]، ونفس الأمر عند ناصر الدين سعيدوني حيث قال: «انها تجاوزت العشرين حرفة زكان على رأس كل حرفة أمين[2]»، يعرف بالصناعة التي يشرف عليها كأمين الفضة وأمين الخياطين والطرازين والدباغين والنجارين والصباغين، كما كانت الأنشطة الصناعية منظمة في شوارع وأسواق خاصة بها كسوق الحديد وسوق الغزل والفضة، وهكذا نجد أن الجزائريين وعلى غرار الشعوب الأخرى مارسوا الصناعة اعتمادا على ما يتوفر ببلادهم من مادة أولية ومارسوا هذه الأنشطة المتنوعة في مختلف جهات البلاد، وكان يوجد بقسنطينة عدد كبير من أصحاب الحرف ولا سيما الحدادون بالإضافة إلى النجارين الماهرين وصانعي السيور والخياطين الماهرين الذين يظهرون مهارة كبيرة في التطريز بالذهب والفضة والحرير، وكذلك صانعي السلال وعدد كبير من النساجين[3].

كما تطور معدل الصناعة بالمدينة ونشطت الورشات والمعامل الكثيرة المتواجدة بالمدينة وأطرافها كانت كلها موارد هامة من موارد الخزينة، والدليل على هذا التطور تلك الأرقام التي أوردتها بعض الوثائق الرسمية المعاصرة لتلك الفترة فقد كان بالمدينة ما يزيد عن 28 سوقا وسويقة 21 ساباطا و 7 تربيعات يتجمع فيها صناع النسيج و4 رحبات (ساحة) لعرض السلع و 3 أفران لطهي الخبز و 27 مطحنة لطحن الحبوب كما اشتهر سكان قسنطينة بالطرز المحلي والصياغة وكانت دنوش قسنطينة من أغنى دنوش الجزائر[4]، وفي قسنطينة 4 طاحونات تديرها الخيل والبغال، والسكة التي أمر أحمد باي بضربها[5].

يوجد في مدينة قسنطينة 33 معملا لدباغة الجلود و 75 معملا للسروج و 167 معملا للأحذية وكانت هذه الصناعات وحدها تستوعب 15% من اليد العاملة ويوجد بها 18 فرنا لطهي الخبز و 22 طاحونة مائية ومصنع كبير لصنع ذخيرة السلاح[6].

ويمثل الصنف الأول في الحرف القسنطينية كل الحرف التي تصنع من الجلود وتأتي على رأس القائمة دون منازع بحضور كثيف للخرازين 70 والدباغين 48 والسراجين 38 وتنوعت الحرف الجلدية بتخصصات دقيقة في صناعة الشرلة والبشماق والملاخ الذي يصنع الأحذية[7].

---

[1] يوسفي: المرجع السابق، ص 64.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق ،ص 69.

[3] فندلين شلوصر: المصدر السابق، ص 87.

[4] عبد العزيز فيلالي: مدينة قسنطينة تاريخ معالم حضارة ، دار الهدى للطباعة والنشر واتوزيع ، ص 168.

[5] شلوصر:المصدر السابق، ص 88.

[6] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985، ص 189.

[7] قشي: المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص 260.

وقد يضاف إليهم الدزادني وهو صانع المحافظ الجلدية المنقود ويص المجموع إلى 200 حرفي، وفي الواقع يسيطر أهل الدباغة والحزارة على الحرفة من حيث العدد ومن حيث التأثير على صبغة الجلود وكانت الدباغة أهم نشاطات الحرفيين بقسنطينة، فحسب تقديرات 1840 في جدول المؤسسات الفرنسية، قدر عدد الدباغين بقسنطينة 450 حرفيا في حين قدر عدد المدابغ وورشات الخرازة بـ 314، وتوحي هذه الأرقام بأن المؤسسات صغيرة الحجم فقد تتكون من فرد واحد[1].

❖ **أهم الصناعات التي كانت سائدة في المدينة:**

1. **الصناعات التقليدية:** وتأتي في المرتبة الثالثة بعد الفلاحة وتربية الحيوانات وهي أنواع كثيرة حسب الجهات وحسب أهم مواد الخام التي توضع فيها وتستقطب نسبة لا بأس بها من السكان لا تقل عن 5% ويمكن ان نصنفها إلى الحرف والصناعات التالية[2]:

1.1. **صناعة الدباغة الجلود:** كانت توجد بالمدن الجزائرية مدابغ الجلود وتعد هذه الصناعة من أهم الصناعات في المنطقة، كما عرفت انتشارا واسعا وقد أشار شالر إليها فقال عنها: «وصناعة إعداد الجلود ودبغها صناعة معروفة بكل أسرارها في هذا البلد والجلود المدبوغة والمصنوعة على الطريقة المغربية تبدو في هذا البلد قريبة من درجة الكمال»[3].

وتعتبر مدين قسنطينة من أهم الراكز الصناعية لهذه الحرفة خلال العهد العثماني، وهذه الحرفة من أكثر الحرف ربحا وقد تنوعت الحرف الجلدية بتخصصات دقيقة في صناعة الشبرلة والبشماق والبلغة واعتمدت هذه الصناعة الجلدية على مادة الجلد كمادة أولية وهي متوفرة بكثرة بقسنطينة، فقد كان البايلك يشتري الكثير من جلد الماعز الذي تصنع منه الشكاوى لحفظ الماء ونقله وتوزيعه ويقوم السقاوي بهذه المهمة في شوارع المدينة وأسواقها، أما الطبال فيصنع الطبول أو يستعملها ويوظف فيها نوعا من الجلد[4].

إن حرفة الدباغة تعتبر أهم نشاط حرفي وهي توفر مناصب العمل وذلك لأن هذه الحرفة تتطلب اليد العاملة، تتكون في شكل سلسلة تبدأ من الأرياف للحصول على الجلود فهي مرتبطة بازدهار الثروة الحيوانية التي تشكل أهم المواد الأولية لهذه الحرفة[5].

---

[1] قشي:المدينة والمجتمع، المرجع نفسه، ص 260.

[2] يحي بو عزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي ،المرجع السابق، ص 488.

[3] وليام شالر: المصدر السابق، ص 94.

[4] قشي: المدينة والمجتمع، المرجع السابق، ص 263.

[5] المرجع نفسه: ص 266.

وتصنع من الجلود الأحذية والأحزمة وحافظات النقود والألبسة الواقية من السلاح في الحروب[1]،حيث كانت توفر 20000 جلد بقري و 60000 جلد خروف وماعز. وكان ثلث الإنتاج يخصص للتصدير ويستخدم الباقي للاستهلاك المحلي[2]، أما المكان الذي كانت تمارس فيه الدباغة فكان بالضفة الغربية على أطراف وادي الزمال حتى يسهل على الدباغين تفريغ أحواض الدباغة ذات الرائحة الكريهة والتخلص من بقايا الجلود وقد كان هذا على ما يبدو إجراء وقائيا لحماية الصحة العامة ونظافة المدينة ومن العائلات العاملة في الدباغة والمشاركة في المعاملات بو زاهر، الساحلي، الفضلاوي والصحراوي[3].

أما الموارد الأولية فقد كانت توفرها القبائل التي تمارس الرعي وتتوفر على أعداد كبيرة من القطعان مثل النمامشة والحراكشة وأولاد عبد النور[4].

2.1. **السروج:** من أهم الحرف التقليدية بمختلف أشكالها، كما أنها تعكس مظهرا اجتماعيا لما تدل عليه هذه الحرفة من رفاهية، زيادة على هذا فهي تدل على الفروسية فكل حصان بطبيعة الحال يحتاج إلى سرج كما تقوم عليه حرفة أخرى هي حرفة الطرز على السروج بواسطة خيوط الذهب والفضة ويكون إما فوق النحاس أو النسيج أو القماش من الأغطية أو المخمل كما أن النحاس هو الأكثر طلبا وكذلك الفيلالي، هذا الأخير يستورد من المغرب الأقصى، وتلقى سلع السراجين رواجا في الأسواق الجزائرية والتونسية، ونظرا لأهميتها فالمؤرخون يعتبرونها من أشرف المهن[5].

كما أن حرفة الخرازة، هي أيضا من الصنائع الجلدية يقوم الخرازين بصناعة الأحذية للرجال أما البشمالية فيصنعون البشامق والبابوش بالألوان وأخيرا الشبرلية يصنعون أحذية النساء، وعليه كانت مدينة قسنطينة الأكثر سيطرة في ميدان صناعة الحذية الأصلية وقد استمر هذا حتى بداية الحقبة الاستعمارية[6].
الاستعمارية[6].

[1] يحي بو عزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي ،المرجع السابق، ص 489.

[2] قشي: المدينة والمجتمع ،المرجع السابق، ص 263.

[3] يوسفي: المرجع السابق، ص 65.

[4] قشاعي: المرجع السابق، ص 01.

[5] سعيدوني: دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 72.

[6] قشي: المدينة والمجتمع ، المرجع السابق، ص 260.

3.1. صناعة الحلي الفضية والذهبية: كالأسوار والخلاخل والرديف[1]، تعد هذه الصناعة من أهم وأحرف الحرف بقسنطينة وهي عمل تقليدي يدوي يعتمد على صفائح من الذهب والفضة وقد اشتهرت المدينة خاصة بصناعة هذه الأنواع من الحلي المسمات **بالسخاب والمحزمة.**

وتتمركز هذه الصناعة التقليدية في حي الصاغة المقابل لحي الجزارين ورحبة الصوف أين توجد العشرات من الدكاكين بمختلف الحلي التي تثير فضول المرأة القسنطينية المعروفة بحبها المتزيين[2]، كما يبدو ان الاهتمام بهذه الصناعة لم تكن توفر لهم أرباحا وفوائد مرتفعة حيث تصل فوائدها في قسنطينة إلى 30% أو 50% من الجواهر[3]، وقد سعي سكان المدينة إلى امتلاك الحلي وهذا راجع لقيمتها الاقتصادية والجمالية داخل المجتمع لأنه بدلا من ادخار الأموال في شكلها النقدي كانت تدخر في شكل ورشات الصياغة في سوق العصر بعد قيام صالح باي بإصلاحات عمرانية وورشات أخرى ظهرت برحبة الصوف[4]، والمرأة الجزائرية عامة تلبس الحلي الثقيلة من حواتم وأقراط من الذهب والفضة ومما لا شك فيه أن هذا ينطبق على المرأة القسنطينية[5].

4.1. الصناعة النسيجية: تميزت بصناعتها بعض الجهات مثل قبائل بن عباس بنواحي مجانة التي عرفت بصناعة البرانيس الجيدة، وقبائل منطقة القرقور وثيلان وبني عيدل وبني يعلا وزمورة التي أتقنت صناعة الزرابي والأغطية المتميزة بألوانها وأشكالها المتناسقة وقبائل الأوراس والنمامشة والحضنة نسيج الزرابي والحصير[6]، وهي صناعة لإنتاج البرانس والقشاشيب والأغطية والحايك والحيام[7]، وقد عرفت انتشارا انتشارا واسعا نظرا لوفرة المواد الحام مثل الصوف والحرير والكتان، وتعي بمفهومها التقليدي الغزل. تميزت هذه الصناعة عموما باعتمادها على المواد الأولية المتوفرة في البلاد كالصوف والجلود واقتصرت على تلبية حاجيات السكان المحلية واتسمت بالدقة خاصة في فن التطريز[8]، وقد حظيت هذه الصناعة بأهمية كبيرة كبيرة وما يؤكد هذا هو العدد الكبير من الحرفيين الذين يشتغلون بها، كما ان هناك عدد كبير من ورشات النسيج بقسنطينة[9]، وتعتبر عائشة غطاس صناعة المنسوجات الحريرية من أمهات الصنائع وقد

[1] يحيى بوعزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي ،المرجع السابق، ص 491.

[2] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 50-51.

[3] سعيدوني:النظام لمالي، المرجع السابق، ص35.

[4] يوسفي: المرجع السابق، ص 35.

[5] وليام شالر: المصدر السابق، ص 85.

[6] قشاعي: المرجع السابق، ص 17.

[7] يحيى بو عزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي، المرجع السابق، ص 488.

[8] علي تابليت: تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، ط3، منشورات الأبيار، الجزائر، 2010، ص 197.

[9] أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1446ه/1519-1830م، دت، ص 85.

ازدهر انتاجها مع الجالية الأندلسية[1]، خياطة الألبسة وهذه الحرفة هي التي تهتم بعملية تفصيل الأقمشة كما تعد فن من الفنون المنتجة لقطع معنية من الألبسة وقد ظهرت بصورة محتشمة وهذا ربما يعود لتفضيل الألبسة الصوفية المنسوجة كما كان للأندلسيين دور فعال في التأثير على المجتمع في هذه الحرفة[2]، فقد كانت الألبسة تحتل مكانة اجتماعية حيث تعكس الذهب والرقي الحضاري عند الأهالي خاصة أصحاب المكانة لاجتماعية الراقية وكانت هذه الحرفة الموجودة بكثرة في قسنطينة ويعرف أصحابها بعدة أسماء منها الحياكة.

للخياطين، وكان أحد أسباب انتشارها توفر المادة الأولية في الأسواق فتضع الأغطية ولكن اليهود هم من سيطروا على هذه الصناعة في قسنطينة[3].

5.1. **الصناعة المعدنية (الحدادة):** ويصنع أصحابها الخناجر والسكاكين والأمواس والفؤوس والقادومات، وتزدهر هذه الصناعة في كل الشرق القسنطيني[4]، وكذلك تقوم هذه الحرفة بتلحيم الأدوات الأدوات المكسرة والمعطوبة وتذويب الرصاص وكذلك النحاس، وتزدهر هذه الحرفة في قسنطينة وضواحيها وتجلب المعادن الحديدية من منطقة بني سليمان في جرجرة التي تشتهر باستخراجها وتصنيفها[5].

وكانت هذه الصناعة تمارس في بعض المناطق الجبلية والمدن كما ان انتشار الصناعة المعدنية لدليل على وجود مناجم في البلاد تستخرج منها المادة الأولية ، فالحديد هو ذلك العنصر الفلزي يشبه الفضة سريع الصدأ وقابل للسحب والطرق[6]، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَ نَزَّلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلْنَاسِ ﴾[7].

وهي حرفة في الغالب متوارثة داخل أفراد العائلة وقد اختصت بصناعة السيوف والمناجل والألجمة ومختلف أدوات الحراثة والمفرقة[8].

6.1. **الصناعة الخشبية:** مارس المجتمع القسنطيني حرفة النجارة فكان سكان الأرياف يصنعون الأدوات الفلاحية أما في المدن فإن هذه الحرفة هي أكثر تطورا، حيث هناك عدد من النجارين

---

[1] عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية إحصائية، منشورات ANER، ص 229.

[2] حليمي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر 1072، ص 61.

[3] قشاعي: المرجع السابق، ص 66.

[4] بو عزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي ، المرجع السابق، ص 490.

[5] يوسفي: المرجع السابق، ص 68.

[6] درياس لخضر: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط1، 2006، ص 44.

[7] سورة الحديد: الآية 02.

[8] سيساوي أحمد: النظام الإداري لبايلك الشرق، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 1987، ص 09.

والخراطين الذين كانوا يصنعون الأثاث المنزلي ولوازم الصناعات الأخرى [1]، فالنجارة تهتم بتوفير الأثاث المستعمل آنذاك من أسرة وكراسي وخزائن بالإضافة إلى الصناديق التي كانت تستعمل بكثرة خاصة عند النساء، كما توفر الأبواب والنوافذ، وتقوم عليها صناعات أخرى مثل صناعة النقش ومن أشهر الأشجار التي تستغل أخشابها في الصناعات الخشبية هي البلوط والزيتون والعرعار [2]، وكانت أغلب هذه هذه الأشجار التي ترتكز عليها هذه الصناعة تجلب من منطقة الأوراس[3].

7.1. **معالجة الزيت وصناعة الصابون:** شكلت هذه الحرفة نشاطا تقليديا متميزا بالأرياف القسنطينية وقد اشتهر بها سكان جرجرة ونواحي بجاية الذين تمكنوا من إيجاد نوع من الصابون الأسود المصنوع من زيت الزيتون ورماد نبات الدفلة[4].

8.1. **الصناعة النحاسية (الصفارون):** وهم الذين يصبغون الأواني النحاسية ويقومون بنقشها وإصلاحها[5]، وعرفت قسنطينة هذه الصناعة منذ زمن بعيد وهي تأخذ أشكالا زخرفية ونحتية عديدة، ويعد النحاس رمزا للأناقة والجمال ولا يكاد يخلو جهاز العروس القسنطينية عن مختلف الأواني النحاسية كالسينية والمحبس[6].

9.1. **القشماقجية:** ومهمتهم صناعة الأسلحة وإصلاحها عند الكسر ويلحق هذه الهيئة جمعية السرارين الذين ينحتون الأجزاء الخشنة من البنادق والسيوف [7]، وقد اهتزت بها قبائل بني عباس في جرجرة التي تمكنت من صنع نوع من البنادق مرصع بالفضة ومزين بالمرجان[8].

10.1. **الصناعة الغذائية:** تظهر في مقدمتها صناعة الخبز وكان عدد أفران الخبز قد بلغ في قسنطينة 12 فرنا طاقة كل فرن 100 خبزة في اليوم الواحد[9]، والخبز هو الذي يضع في الكوش كان في أغلبه ان لم تقل كله موجه لفئة الإنكشارية لأن السكان كان استهلاكهم اليومي قائم على ما تضعه النساء من خبز في المنازل[10].

[1] ارزقي شويتام: المرجع السابق، ص 328.
[2] يحي بو عزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، المرجع السابق، ص 169.
[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 63.
[4] قشاعي: المرجع السابق، ص 18.
[5] الزبيري، المرجع السابق، ص 65.
[6] محمد عثمان: المرجع السابق، ص 50.
[7] الزبيري: المرجع السابق، ص 65.
[8] قشاعي: المرجع السابق، ص 17.
[9] يوسفي: المرجع السابق ، ص 67.
[10] صالح العنتري: ذخائر المغرب العربي-مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 42.

إن المادة الأولية لصناعة الخبز هو الدقيق ويأتي من المطاحن التي بلغ عددها (27 رحى) وتنتج يوميا 534 كيسا من الدقيق وإلى جانب هذا توجد مطاحن مخصصة للاستهلاك اليومي وهو الذي تقوم به المرأة في المنازل، سيطر على هذه الحرفة الحضر وأغلب المطاحن في قسنطينة تدار بواسطة القوة المائية وتنصب على حواف الأودية والأنهار في بيوت خاصة بها وقد تدار بواسطة القوة المائية وتنصب على حواف الأودية والأنهار في بيوت خاصة بها وقد سيطر على صناعة الخبز والرحى للحضر وقد ساهم فيها البايلك لملكه لبعض المطاحن وهي في الغالب مطاحن ومخازن القمح والدقيق، وهذا لأجل توفير الخبز لأفراد الإنكشارية والخبز عند الحاجة للسكان[1].

بالإضافة إلى صنع الخبز هناك حرفة الجزارين التي تهتم ببيع اللحوم وكذلك من الصنائع الغذائية المهمة في المجتمع عصر الزيتون الذي يعتمد على مجر الصوان الأملس وتدار الخيول والأحمرة وارتبطت بمواسم جني الزيتون حيث يصل الزيتون إلى قسنطينة ثم يعصر أو يصل على شكل زيت من منطقة القبائل[2].

إضافة إلى ذلك ما يعرف بتجفيف الفواكه وتحضير المربى وتقطير ماء الورد وهذه الحرفة اختصت بها العائلات البلدية التي تسكن المدينة، حيث تجفف من أجل الاحتفاظ بها لمدة أطول وعادة ما يكثر الاقبال على مثل هذه السلع المجففة لرائحتها الزكية وطعمها الشهي[3].

11.1. **معالجة الملح:** التي تشكل نوعا من الحرف التحويلية موجهة أساسا لتلبية طلبات سكان المدن وإرضاء حاجات سكان الأرياف في آن واحد فالملح كان يستخرج من التكوينات الملحية ببعض المناجم المشرفة على الصحراء أو البحيرات المالحة بالهضاب العليا[4].

12.1. **المواد التجميلية:** مارس حرفة العطارة الأسر الشريفة والحضرية في آن واحد[5]، وهذه الحرفة تقوم تقوم بتحضير المستحضرات التجميلية فلهذا يطلق عليها اسم العطارة وقد أشار شالر في كتابه إلى اهتمام المرأة الجزائرية بجمالها[6].

كما أنه هناك بعض المواد التجميلية كالحلي وصناعات تجميلية أخرى متواجدة في مدينة قسنطينة، هذه الصناعات لا تتطلب إلا بعض المواد الأولية البسيطة [1]، كالسخاب وهو عبارة عن قطع

---

[1] سعيدوني: دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 72.
[2] يحي بو عزيز: الحالة الاقتصادية........، المرجع السابق، ص 75.
[3] يوسفي: المرجع السابق، ص 69.
[4] شاوصر: المصدر السابق، ص 96-97.
[5] غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ،المرجع السابق، ص 233.
[6] وليام شالر: المصدر السابق، ص 83-84.

صغيرة ومثلثة مثقوبة في الوسط تصنع من الفول السوداني وعروق نبات الطيب وتنسج في خيوط على شكل عقود بنية اللون تعلقها النساء في أعناقهن بالإضافة إلى مادة الحرقوس الأسود ويستخرج عن طريق التقدير بالنار من نبات شوكي يدعى "ازازو" يوضع على الحواجب ولا تقل قيمته التجميلية عن قيمة المساحيق الحديثة، كما تتسم هذه الحرفة بحرفة كحل العين الذي يستخرج من أحجار خاصة بلورية سوداء تميل إلى الزرقة الداكنة بعد طحنها وتتميز هذه الكحول بكونها تريح العين وتشفيها من الأمراض[2].

وهناك بعض الحرف الغير منتجة وهي **الخدماتية** والتي كان لها تأثير في المجتمع القسنطيني ومنها **البناي** التي كانت مهنة خاصة بالأندلسيين لتتحول مه مرور الزمن إلى حرفة محلية بسبب الاحتكاك بين عناصر المجتمع في أواخر العهد العثماني، سجل غياب تام للعنصر الأندلسي وانعدام العنصر التركي وحتى الكرغلي على حد السواء و**البراج** الذي كانت مهمته المناداة في الشوارع ونقل شعارات الجيش[3].

العلاقات بين الأفراد في عملية البيع والشراء، كما يعقدون علاقات مع الأسر حيث كانوا في كثير من الأحيان يبيعون للأسر التي يتعاملون معها بالتقسيط نظرا لرفع سعر هذه السلعة بنسبة معينة تحقق لهم فائدة رأس مالهم[4]، وبهذا فإن المجتمع القسنطيني لم يكن يعرف البطالة وان اليد الاملة المحلية كانت تجد الشغل الذي يناسبها في أحد المجالات المذكورة أو في ميدان العلاقة التي تستوعب منها العدد الكثير[5].

وأدى تنوع الحرف ومنتوجاتها إلى التبادل التجاري في بايلك الشرق فأصبحت كل منطقة تزود المنطقة الأخرى بما تحتاجه، فالمناطق الساحلية توفر الخضار والفواكه والأخشاب والزيتون والتين وجهات التل تنتج كميات ضخمة من الحبوب على اختلاف أنواعها وإقليم الهضاب يمتلك القطعان الكبيرة من المواشي وواحات الصحراء تنتج كميات معتبرة من التمور هذا وتميز بايلك الشرق بتصدير بعض المواد الأولية الفلاحية أو الحيوانية من الحبوب والصوف إلا البلاد الأوروبية أو الأقطار الإسلامية المجاورة مثل تونس[6].

[1] يحي بو عزيز: الحالة الاقتصادية، المرجع السابق، ص 69.
[2] يوسفي: المرجع السابق، ص 68-69.
[3] غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ،المرجع السابق، ص 233.
[4] يوسفي: المرجع السابق، ص 70-71.
[5] الزبيري: المرجع السابق، ص 64-65.
[6] يوسفي: المرجع السابق، ص 20-21.

وقد اكتسبت قسنطينة مركز البايلك وضعا خاصا أهلها بأن تصبح منطلقا لكل الطرق وسوق رئيسة لكل البضائع التي تحمل إليها من مختلف جهات البايلك، مما ساعد على تجمع الثروات في يد تجارها واستقطاب النشاط التجاري بها[1].

[1] المرجع نفسه: ص 21-22.

المبحث الثاني: الاوقاف و مكانتها الاجتماعية

يعتبر الوقف تقليدا اسلاميا عريقا يشكل احدى مظاهر الحضارة العربية الاسلامية نظرا لتأثيره على مختف نواحي الحياة ، فهو من اهم مظاهر الحضارة الاسلامية فهو اساسا يعبر عن ارادة الخير في الانسان المسلم و عن احساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الاسلامي و هو بهذا المعنى شرعة اتبعها المسلمون منذ اوائل الاسلام، ولكن بتطور الزمن تعددت اوجهه و اغراضه كما تطور في العهد العثماني نتيجة لاعتبارات سياسية و اقتصادية حيث بايلك الشرق من بين المناطق التي شملها هذا التطور[1] .

فلا يمكن لأي مؤرخ او باحث التقليل من اهمية قضايا الوقف **(الحبس)** او اهمال النتائج المترتبة عليه باعتباره تقليدا اسلاميا عريقا ميز العهد العثماني بالجزائر و تأثرت به اوضاع البلاد الجزائرية و اثر تعرضها للغزو الفرنسي عام 1830م[2] .

جذبت مؤسسة الاوقاف كأداة لتنظيم الاعمال الخيرية و الحفاظ على الاملاك الخاصة لذوي المال والجاه، باهتمام الباحثين منذ اكثر من قرن من الزمن، و اصبحت مكانتها اجتماعيا و اقتصاديا بديهية في الحياة المحلية، الا ان المؤسسة بأوجهها المتعددة المعقدة و تأثيراتها متشابكة في مجالات شتى من الحياة العامة و الخاصة وعليه، فالوقف كمؤسسة اسلامية لا زال يستقطب اهتمام الباحثين و يكشف عن تاثيره العميق في بنية المجتمع[3] . ويرجع كثيرا من الباحثين المعنيين بتاريخ الاوقاف، نشأة نظام الوقف الى اصول اسلامية و ان كان يصعب تحديد بداية التعامل به بدقة الا انه تبلور نتيجة الاهتمام بتنظيم الصدقات و الحث عليها منذ صدر الاسلام[4] .

❖ تعريف الوقف:

أ. **الوقف لغة:** الحبس، يقال يقف وقفا اي حبس يحبس حبسا[5] .

ان لفظة الوقف قد استعملت بمرادفات كثيرة منها المنع، الحبس، و سواءا كان الوقف حسيا او معنويا، نقول في الحسي وقفت جهودي لإصلاح المجتمع[6] .

و الحبس بالضم ما وقف، و الحبائس، جمع حبيسة و هي ما حبس في سبيل الخير[7] .

---

[1] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 223.

[2] ناصر الدين سعيدوني: دراسات و ابحاث...، ج1، المرجع السابق، ص 149.

[3] قشي :المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 128-129.

[4] المرجع نفسه: ص 129.

[5] السيد سابق: فقه السنة، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1984، ص 515.

[6] محمد بن عبد العزيز بن عبد الله: الوقف في الفكر الاسلامي، ج1، طبع وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 1996، ص41.

[7] محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروز ابادي: القاموس المحيط، ط3، المطبعة الاميرية، مصر ، دت، ص 220.

ب. التعريف الفقهي للوقف: تباينت و تنوعت تعاريف الوقف في الفقه الاسلامي بتباين النظر في حكمه و اساسه و اهم ما ورد في تعريفه: تعريف الامام ابو حنيفة النعمان: الوقف هو حبس العين على حكم ملك الواقف و التصدق بالمنفعة على جهة الخير [1].

تعريف الامام مالك: عرف الامام مالك الوقف على انه اعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه و او تقديرا.

الوقف عند الامام مالك حكمه اللزوم و لا يجوز التراجع عنه انه لا يقطع حق الملكية في العين الموقوفة و لكن يقطع حق التصرف فيها[2].

كما ان الاحاديث النبوية المعبرة عن مفهوم الصدقة الجارية تعد كمنطلق لاعمال البر كان الغرض منها استمرارية مصدر الرزق و الثروة، و هنا ورد مفهوم جديد تمثل في الوقف او الحبس، اي ان يتصدق المرء بما لديه من مال او ان يوقف غلته لغرض خيري، قد جاء توضيح في هذا الباب بعد استشارة الرسول صلى الله عليه و سلم في عدة مناسبات كان يدعو فيها الى **(حبس الاصل و التصدق بالفرع)** و ذلك لاستمرارية المنفعة و تعميمها[3].

ج. نشأة الوقف:

الوقف شيء قديم جدا عرفته المجتمعات الانسانية منذ اقدم العصور فقد جبل حب الخير و فعله في الانسان منذ ان خلقه الله سبحانه و تعالى و جعله يعيش في مجتمعات و عرفت المجتمعات القديمة اشكالا اولية للوقف، حيث كان الشائع المعروف عندها وقف اماكن العبادة كالمعبد [4]،و بذلك فان اول شكل للاوقاف عرفته عرفته البشرية قد اتخذت شكل الوقف الديني، و كانت هذه الاوقاف عبارة عن اراضي و مباني و امكنة مخصصة لممارسة العبادات و الطقوس الدينية[5].

عرف المصريون القدماء نوعا جديدا من الاوقاف يتمثل في اراضي زراعية خصصها بعض الاغنياء ليتم استغلالها زراعيا، و لتعطى غلتها الى الكهنة و يقوموا بتوزيعها على الفقراء و المساكين كما وجد شكل اولى من الوقف على المكتبات عند اليونان و الرومان[6].

[1] مصطفى احمد الزرقا: احكام الوقف، دار عمان، الاردن، 1997، ص 34.
[2] صالح عبد السميع الازهري: جواهر الاكليل شرح العلامة خليل في مذهب الامام مالك امام دار التنزيل، دار الفكر، ج2، دت، ص 211.
[3] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 129.
[4] منذر قحف: الوقف الاسلامي تطوره، ادارته، تنميته، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000، ص 9.
[5] محمد ابو زهرة: محاضرات في االوقف، مطبعة احمد علي مخيمر، القاهرة، مصر ، 1959، ص 04.
[6] منذر قحف: المرجع السابق، ص18.

ولكن النقلة الكبيرة في الوقف انما جاءت في المجتمع الاسلامي الاول في المدينة المنورة ، و ذلك ببناء مسجد قباء، المسجد الذي يقول فيه الله تعالى، "لا تقم فيه ابد المسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه رجال يحبون ان يتطهروا و الله يحب المتطهرين" [1] ، ليكون بذلك اول وقف ديني في الاسلام و كان ذلك بعد الهجرة مباشرة و قبل انتقال الرسول صلى الله عليه و سلم الى ديار احواله بني النجار[2] .

تلا ذلك بناء المسجد النبوي الشريف على ارض كانت لايتام من بني النجار، اشتراها الرسول صلى الله عليه و سلم، و دفع ثمنها ثمان مائة درهم، فكان بذلك هو الذي اوقف ارض مسجده المطهر و قد اشترك عليه الصلاة و السلام مع الصحابة الكرام في بناء هذا المسجد و جعل صلى الله عليه و سلم، يقول و هو ينقل معهم التراب: " **اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار و المهاجرين**"[3] .

و**اهمية** الاوقاف تطمن في تأثيرها المباشر على مختلف اوجه الحياة في الجزائر، منذ انصهارها في البوتقة العربية الاسلامية و حتى السنوات الاولى للاحتلال الفرنسي[4] .

د. **اغراض الوقف:** للوقف اغراض كثيرة منها:

- رغبة المالك في تخليد ما يملك في عقبه من بعده، و هو مدفوع في ذلك بعوامل متنوعة تتمثل على الخصوص في ضمان حد ادنى من اسباب الحياة لمن هم تحت رعايته كالسكن و المعاش.
- قد يكون اللجوء الى الاوقاف خوفا من المصادرات التي تلحقها السلطة السياسية بمن يتمرد عليها و قد استغل الملاك مزايا الوقف اذ يتم التمتع بالغة دون المساس باصل الثروة.
- يسمح الوقف باختراق ترتيب الوراثة الشرعية اذ يمكن ادخال غير الورثة في قائمة المستفيدين.
- الوقف لا يباع ولا يشترى لا يغير ولا يبدل، اي تجميد العقار في يد المنتفعين به مهما كانت الظروف[5] .
- يسمح الوقف بالحفاظ على مصدر الملك من جهة و تماسك الاسرة من جهة اخرى و تجدر الاشارة الى ان الوقف يعمل على حصر الحبس في اعقاب الذين يحملون اسمه فنجده يمتع الجيل الاول من اولاده ذكورا و اناثا، ثم يوصى على حرمان اولاد البيت و يحصر الارث في اعقاب الذكور فيبعد بذلك الاصهار (ازواج البنات)[6] .

---

[1] سورة التوبة الاية 108.

[2] محمد الغزالي: فقه السيرة، مكتبة الرحاب، الجزائر، 1987، ص 177.

[3] ابي الفدا اسماعيل ابن كثير: السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ج2، بيروت، لبنان، دت، ص 514.

[4] ناصر الدين سعيدوني: دراسات و ابحاث ، المرجع السابق ،ص 43.

[5] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 130.

[6] المرجع نفسه: ص 130.

هـ. اصناف الوقف:

يصنف الوقف حسب الفرص من صرف المنافع المترتبة عليه باعتباره عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية يقوم على توافر الواقف الذي يشترط فيه البلوغ و صحة الملكية و احقية التصرف فيها، و على وجود الموقوف و هو المنفعة التي تصرف على سبيل الحبس فضلا على توفر الموقوف عليه و هو المستحق لصرف تلك المنفعة هذا مع اشتراط صيغة الوقف و لو كانت بكتابة على مسجد او مؤسسة خيرية[1].

فبفضل هذه الاسس الاركان يأخذ الوقف مفهومه الشرعي و يصنف حسب الغرض من صرف المنافع المترتبة عليه فيكون احيانا وقفا عاما و احيانا اخرى وقفا خاصا و يسمى الاول الوقف الخيري و الثاني الاهلي[2].

1. **الوقف العام او الوقف الخيري:** و يقصد ما كان ربعه يصرف من اول الامر الى الجهة الخيرية مثل الوقف على المساجد و المدارس و المستشفيات[3].

و يشرف عليه موظف يعرف بالشيخ الناظر و يسهر على رعاية املاكها الوكلاء و تنفق اموالها في بناء المساجد و الزوايا او ترميمها، او في اقامة بعض العيون، و التكفل بدفع اجور الطلبة المكلفين بتلاوة القران الكريم بالمساجد و توزيع بعض الصدقات على الفقراء و المحتاجين[4].

2. **الوقف الخاص او الوقف الاهلي:** و هو ما كان ريعه مصروفا على الواقف نفسه، ثم على اولاده و ذريته من بعده و بعد انقراضهم يصرف الى الجهة الخيرية [5]، و ذلك حتى تتم الاجراءات المتعلقة بتنفيذ مضمون احكام الوقف و العمل بوصية صاحب الوقف[6].

3. **الوقف الذري:** هو الوقف الذي يؤول الى الذكور دون الاناث بعد وفاة صاحب الحبس و بعد انقراض العقب من الذكور يؤول الى الاناث و بعد انقراض العقب من الاناث يؤول الى المؤسسات الدينية و الاوقاف الذرية كانت على العقب المباشر اساسا ذكورا او اناثا مع تفضيل العقب من الذكور[7].

لقد كانت احكام الشرع المتعلقة بالوقف في الفطرة العثمانية خير وسيلة و احسن اسلوبا للحيلولة دون عمليات المصادرة و الاستحواذ او البيع من طرف الاسرة صاحبة الحبس و لعل هذا ما شجع المالكين للاراضي

[1] منذر قحف: المرجع السابق، ص116-117.
[2] السيد سابق: المرجع السابق، ص 115.
[3] محمد كنازة: الوقف العام في التشريع الجزائري، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2006، ص 14.
[4] سعيدوني : النظام المالي، المرجع السابق، ص 142.
[5] محمد كنازة: المرجع السابق، ص14-15.
[6] سعيدوني: دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 92.
[7] قشي: المدينة و المجتمع، المرجع السابق، ص 159-163.

الخاصة الى وقفها بحيث اصبحت تشتمل على مساحات واسعة بالقرب من المدن ولا سيما قسنطينة التي تقلصت الاراضي الخاصة حولها لفائدة الاراضي الموقوفة على الحرمين الشريفين وبعض الاولياء بها، حيث اصبحت تقدر حسب بعض التقارير التي تعود الى اوائل الاحتلال ب **946 هكتار** من المزارع و البساتين[1].

ونظرا للأهمية التي اصبحت عليها الاوقاف في العهد العثماني و لا سيما منذ اواخر القرن 18م فان الحكام القائمين على الاملاك المحبسة عملوا على تنظيم شؤون الاوقاف فتم انشاء ادارة محلية يتولى المفتي الاكبر او شيخ الاسلام الاشراف عليها، و ينظر في امورها مجلس يضم الاعيان و رجال العلم والفقهاء يعرف بالمجلس العلمي يشرف على سير مصالحها النظار ويسهر على رعايتها الوكلاء والشواش وبهذه التنظيمات استكمل جهاز الاوقاف تشريعاته و اصبح عبارة عن هيئة متقلصة تتوزع على عدة مؤسسات دينية و خيرية و تعليمية[2].

❖ **وضعية الاوقاف ببايلك الشرق اواخر العهد العثماني:**

بعد هذه النبذة المختصرة من الاوقاف في بايلك الشرق التي اتصفت بأحوال خاصة و مميزة نجملها في هذه النقاط :

1. تميزت الفترة العثمانية ببايلك الشرق بارتفاع عدد الاوقاف و انتشارها في مختلف انحاء البايلك و سيما في عهد صالح باي الذي اولى اهتماما بالغا بهذه المؤسسة، و يمكن تفسير كثرة المؤسسات الوقفية هذه بازدياد نفوذ الطرق و الزوايا و تعمق الروح الدينية لدى السكان، الذين وجدوا فيها احسن وسيلة و خير عزاء امام مظالم الحكام، و انعدام الامن و هجمات الاساطيل الاوروبية على السواحل و تكرر الكوارث الطبيعية، فضلا على ان الحكام الاتراك الذين رؤوا في الرابطة الدينية عاملا قويا مكنهم من بسط نفوذهم[3].

وتدعيم مكانتهم لدى الاهالي، الامر الذي دفعهم في كثير من الاحيان الى تحبيس املاكهم اظهارا للورع والتقوى وتقربا بالمرابطين واكتسابا لتأييد رجال الدين وكمثال نذكر، **الباي حسين بن صالح** عام 1221هـ/1807م عندما خرج في احد حملاته العسكرية اخذ على نفسه نذرا يتعهد فيه ببناء دار الوالي سيدي علي العريان و السيد بن محمد بن سيدي سعيد و اصلاح مسجده، وتحسين اوقاف يستعين بها على رعاية الطلبة

[1] قشاعي: المرجع السابق، ص109.

[2] سعيدوني: دراسات و ابحاث... الفترة الحديثة و المعاصرة، المرجع السابق، ص43.

[3] المرجع نفسه: ص 153.

الغرباء و ابناء السبيل و ذلك حتى يكسب تأييد السكان المحليين و يضمن معاضدتهم له في حملته العسكرية على الجهات الشرقية من بايلك قسنطينة[1].

2. اصبح الوقف في الجزائر بعد انتشاره مؤثرا على مختلف اوجه الحياة بحيث اصبح يشتمل على الاملاك العقارية و الاراضي الزراعية و يضم العديد من الدكاكين و الفنادق و افران الخبز و العيون و السواقي و الحنايا والصهاريج، ففي مدينة قسنطينة و ضواحيها كان عدد الاملاك المحبسة تزيد على 170 وقفا منها 40 رحى واقعة على وادي الرمال، و الباقي املاك مختلفة و بساتين و اراضي زراعية[2].
3. لقد تولى الاشراف على اوقاف قسنطينة و نواحيها في العهد العثماني بعض افراد العائلات ذات النفوذ و المكانة الدينية مثل عائلة الفكون التي حول لها احتكار مشيخة البلد، وتولى الاشراف على الاراضي الموقوفة و قد شاركها في ذلك بعض شيوخ الزوايا و الائمة الذين تولوا بإقرار من البايلك الاشراف على مجموعة من الملكيات الموقوفة و قد انتشرت الاراضي الموقوفة بفضل مبادرة البايات والاعيان الموسرين من الحضر الذين كانوا يقومون بشراء الاراضي ووقفها المصالح العام سواء في شكل وقف ذري او اهلي، يعود الانتفاع به الى محبسه او سلالتهم و لا يتحول الى المصلحة العامة الا بانقطاع العقب او في شكل وقف خيري عام يعود الانتفاع به مباشرة الى المؤسسة التي حبس عليها ونظرا لأحكام الشرع فان الاراضي المحبسة لا تخضع للضرائب ولا يمكن حيازتها او بيعها او وراثتها ولعل هذا ما دفع الجنرال نيقري الى تقديم توصية الى الادارة الاستعمارية الفرنسية يحبذ فيها ادراج الاملاك الموقوفة بقسنطينة و نواحيها في ملكيات البايلك وذلك ليسهل على الحكام الفرنسيين امتلاكها و توزيعهم على الاوروبيين فيما بعد[3].
4. لم تعرف الاوقاف ببايلك الشرق تنظيما محكما واشرافا فعالا الا في اواخر الفترة العثمانية هذا ما تؤكده كثير من الاشارات الواردة [4]، ضمن وثائق الوقف كما تعرضت للاوضاع المتردية التي كانت عليها الاوقاف وعليه كان اهمال الاوقاف مصدر شكوى من المسلمين وخاصة الائمة ومن ذلك شكوى الورتلاني وهو يتحدث عن قسنطينة من ان ولاتها اهملوا الاوقاف فضعف فيها العلم ونفس الشكوى ركزها بصورة اوضح في حديثه عن بسكرة فقال ان الترك قد استولوا فيها على الاوقاف

[1] سعيدوني: دراسات و ابحاث... الفترة الحديثة و المعاصرة، المرجع نفسه، ص 153.
[2] المرجع نفسه: ص 154.
[3] قشاعي: المرجع السابق، ص108.
[4] المرجع نفسه: ص 108.

فاصبحوا يأكلون منها و ينتفعون بها كالأملاك الحقيقية و هي ليست لهم و ليسوا من اهلها و لكنهم تمردوا و طغوا و جعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما[1].

وبعد تولى صالح باي حكم البايلك وصلته الاخبار بان التقصير قد وقع في اوقاف المساجد و عاش فيها الوكلاء فسادا و نهبا و اهمالا فتعطلت وظائفها و اصبحت مرابط للدواب فامر الباي ان تضبط الامور في الحال وقد وضع لذلك سجلات يشرف عليها القضاة و المقيمون و امرهم ان يبحثوا بالاضافة الى ذلك، عن الاوقاف سواء التي انقرضت او التي كانت لا تزال موجودة و لكن في حالة سيئة كما قرر محاسبة الوكلاء في كل ستة اشهر وعهد الى المجلس العلمي المكون من العلماء و صاحب بيت المال بالنظر في شؤون الاوقاف و فائضها في كل سنة على ان يستعمل الفائض في شراء عقار اخر يصبح بدوره وقفا و هكذا[2]، وحسب ما يفهم من الوثيقة المؤرخة في اواسط ربيع الاول عام 1190هـ/ افريل عام 1776م ان الهدف من هذه التنظيمات التي خضعت لها الاوقاف كان الغرض منها وضع حد المتهاون و التحايل على الاوقاف و ان العملية انتهت الى وضع احصاء دقيق وضبط محكم و هذا ما تنص عليه الوثيقة في الفقرات التالية:

"الحمد لله و لما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة و لم يكن لهم اعتناء بشان الاوقاف و فرطوا في ذلك غاية التفريط و ضاع الكثير منها... و بلغ امر ذلك لحضرة المعظم الاسعد المنصور سيدنا صالح باي ايده الله تعالى... فالهمه الله الى احياء ما اندرس من المساجد و الاوقاف امر حينئذ قضاته و المفتين ان يبحثوا على اوقاف المساجد و على المساجد التيدثرت و يثبتوا ذلك بأربع سجلات متماثلة فامتثلوا امره و بلغوا جهدهم في البحث عن الاوقاف المساجد و على المساجد التي دثرت....."[3].

5. ان انتشار الاوقاف و تزايد اهميتها جعل بعض الموظفين الاخرين يتولون الاشراف عليها، فشيخ بلد قسنطينة توسعت صلاحياته في اواخر العهد العثماني فاصبح يشرف على الاوقاف بالجامع الكبير بقسنطينة كما اصبح يتصرف بأوقاف الحرمين الشريفين بنفس المدينة[4].

بعد ان تطرقنا الى وضعية الأوقاف ببايلك الشرق يجدر بنا التنويه بما قام به **صالح باي** حيث اهتم هذا الأخير بالأوقاف و حافظ عليها من الضياع إذ عمل بيد من حديد على ترتيب العمران و المعاملات بما يمكنه من إنجاز مشاريعه لقد نقل مقر سكناه و الجامع الكبير و دفع بسوق الجمعة إلى الأمام فزاحمت سوق التجار وابتعد

[1] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص 224-225.

[2] المرجع نفسه: ص 225-226.

[3] سعيدوني: دراسات و ابحاث...، المرجع السابق، ص 154.

[4] المرجع نفسه: ص156.

* صالح باي بن مصطفى الزميرلي :تركي الاصل ولد حوالي 1725 جاء الجزائر و عمر 260 سنة، بدا يعمل كمساعد في مقهى الانكشارية، ثم انخرط في صفوفها، مر بمرحلة التدرج في المراتب السياسية و العسكرية قبل ان يتقلد منصب بايا في الاقليم الشرقي انظر: قشي : المدينة و المجتمع....، المرجع السابق، ص 111،102.

عن مركز الانكشارية وتعامل مع أطراف عدة ونشط التعمير في إحياء كانت هامشية جغرافيا لبعدها عن الأبواب ووعرة مسالكها وخصص الميهود المنطقة المحصورة بين باب القنطرة وحافة الهاوية التي كانت مهجورة ليبنوا فيها منازلهم و دكاكينهم واجتمعوا بها ، وظهرت إلى الوجود عومة رحبة الصوف والشارع الرئيسي الممتد بين باب القنطرة و باب الوادي[1]، وهكذا ترك صالح باي بصماته وخلق بذلك حركية جديدة بالمنافسة بين الأحياء [2].

كما توصلت للأساتذة قشي في دراستها أن السياسة الوقفية التي انتهجها صالح باي اتسم في السنوات الأولى من حكمه برعاية شؤون البايلك وتأسيس مشاريع خيرية خدمة للمدينة وسكانها وفي المرحلة الثانية اشترى عقارات وأوقفها على ابناءه وبناته بموازاة تدعيمه للجامع والمدرسة بمؤسسات اقتصادية ومنشآت تجارية تخدم مصالح المجتمع الديني والثقافي واتسمت المرحلة الثالثة بتفوق الاوقاف الذرية لدى الباي على الاوقاف الخيرية باقتنائه املاكا خاصة [3].

إن **أهمية الأوقاف** في سياسة صالح باي لا تقتصر على النسيج العمراني و حسب بل تتعداه إلى تقديم وظائف خيرية منها:

- النفقة على رجال العلم و المدرسين و الطلبة: ففبفضل مردود الاوقاف و المداخيل التي يوفرها تمكن بايات الشرق من الإنفاق على الطلبة و تسديد أجور المدرسين و جرايات القائمين على شؤون العيادة بالمدارس و الزوايا و المساجد و الأضرحة مثل الخطيب و الإمام و المؤذن كما أن مردود الأوقاف كان يشكل المصدر الوحيد لرعاية الخدمات الثقافية و الدينية [4].
- الإحسان إلى الفقراء: يتكفل وكلاء الاوقاف بتقديم مبالغ مالية ومساعدات عينية للفقراء والمحتاجين في شكل إعانات و صدقات تقدم في أيام محددة ومواسم معينة.
- الحد من المظالم و الأحكام التعسفية للحكام: رغم الظروف الصعبة التي عرفها البايليك أواخر العهد العثماني و التي دفعت كثيرا من البايات إلى إصدار قرارات العزل و المصادرة و التفريع فإن جل الأملاك الموقفة ظلت في مأمن من تعسفاتهم و تجاوزاتهم نظرا للأحكام الشرعية الصريحة في شأنها و التي لم يتجرأ أحد على انتهاكها أو التحايل عليها .

---

[1] قشي :المدينة و المجتمع ،المرجع نفسه ،ص 165.

[2] العنتري :المصدر السابق ،ص 164 .

[3] قشي : المدينة و المجتمع، المرجع السابق ،ص 152.

[4] سعيدوني :دراسات وأبحاث....، المرجع السابق ،162.

- العمل على تماسك الأسرة و حفظ حقوق الورثة :فأحكام الوقف الاهلي تقر اصاحب الحبس أن ينتفع هو و عقبه بالحبس حسب الوصية التي يجلها في وثيقة الوقف فلا يصرف الحبس على الغاية إلى وقف من أجلها إلا بعد إنقراض العهد و إنتقاء الورثة [1] .

وقد ساهمت الاوقاف في الحفاظ على المرافق العامة مثل العيون و السواقي و الآبار و هذا ما وفر للسكان خدمات أساسية و اوجد وسائل ضرورية للحياة لم تكن تهتم بها [2] .

وبهذا فإن الوقف لعب دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع و ترابطه و توزيع ثرواته, فقرائه والعجزة منه بالإضافة إلى ذلك يلعب الوقف دورا في التأثير الديني و السياسي خارج الحدود كإرسال النقود وسنويا إلى فقراء مكة و المدينة مع ركب الحج [3] .

---

[1] سعيدوني :دراسات وأبحاث....،المرجع نفسه :ص163.

[2] المرجع نفسه :ص 163.

[3] سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،المرجع السابق ،ص 227,228 .

المبحث الثالث: ملكية الأراضي والنشاط الفلاحي ببايلك الشرق

ان الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أرياف بايلك الشرق لا تتحدد بشكل مطلق بالقبيلة ولا بالعلاقات فيما بينها فقط رغم أنها الأمتار لهذه الحياة، إنما كانت تتمدد أيضا بالنظام الحقاري الأرض والأدوات الفلاحية، وتقابلها سمة الحياة في المدينة بالدكاكين والحرف، فالأرض بالنسبة إلى سكان الريف هوية بقدر ما هي مردود مادي، ولعل هذه القناعة هي التي دفعت بنوشي إلى اعتبار النظام العقاري بالشرق الجزائري هو السبب في وجود توازن بارع ساد بين الفرد والجماعة من جهة وبين الانسان والتقنيات من جهة أخرى، وبينهما والأرض من جهة ثالثة[1]،لهذا كان للمبنية التي تميز الشرق الجزائري إلى حد كبير أثر في تحديد نوعية الملكيات الزراعية، فمنطقة ريف فرجيوة مثلا يغلب عليها الطابع الجبلي، أين ترتفع الكثافة السكانية لأسباب تاريخية وتنتشر الملكية الخاصة، وملكيات العزل التي تم اقطاعها العائلات كبرى متنفذة[2].

فقد كانت الأرض هي الأساس الأول للحياة الاجتماعية في الشرق الجزائري بل ان الأرض والقبيلة والاسرة كانت كلها الأسس السائدة والمحددة لمصير المنطقة [3]،فقد كانت الأرض ذات مكانة عالية في الشرق الجزائري خاصة في عهد أحمد باي حيث كانت تمثل أكثر من رمز[4].

وقد كان لأحداث الفترة العثمانية وسياسة حكامها أثر على توزيع ملكيات البايلك، وخاصة نوعية الضرائب وطريقة استخلاصها سلبي على تطور ملكية الأرض وطرق الاستغلال ،فالحملات العسكرية كانت تتسبب في حرق المحاصيل الزراعية وهلاك قطعان الماشية، مما اضطر مجموعات قبلية هامة إلى التحول من أراضيها وعن ممارسة الزراعة إلى الرعي، وإقامة زراعات معاشية ضمن مساحات ضيقة مما أدى إلى انكماش اقتصاد الأرياف الشرقية وعزلة سكانها[5].

كما لا ننسى التوتر الملحوظ بين الشرق الجزائري وتونس، فيمكن القول ان الأرض هي التي حفظت التوازن في العلاقات بين الشرق الجزائري والغرب التونسي وبقي ،هذا التوازن إلى ان جاءت الحملة الأوروبية سنة 1830م[6].

ونستطيع القول ان هناك عدة عوامل ساهمت في تنوع ملكية الأرض، فالعوامل الطبيعية من تضاريس ومناخ ،كان لهما الأثر على نوعية الملكية وكيفية استخلاصها حيث تمتاز البنية التضاريسية لمنطقة الدراسة بعدم

---

[1] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 23.
[2] حياة بودويرة: المرجع السابق، ص 18.
[3] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 21.
[4] المرجع نفسه: ص 14.
[5] فله القشاعي: المرجع السابق، ص 184.
[6] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 23.

التجانس بسبب موقعها الانتقالي بين ثلاث نطاقات رئيسية: النطاق الجبلي، نطاق الاحواض الداخلية ونطاق السهول الداخلية[1].

لذا نجد أن بايلك الشرق الجزائري تميز بوجود 3 أنواع من ملكيات الأراضي سنحاول توضيحها من خلال هذا المبحث:

1. **أراضي العزل:** أراضي المخزن تسمى في الشرق الجزائري بأراضي العزل سميت كذلك لعزلها عن أرض السلطان وقامت أساسا على المصادرة مثلما هو الحال حيث صادر الحاج أحمد باي أولاد عبد النور وهو نوع يختلف عن أراضي أخرى لأنه يعد من الحيازات التي يملكها البايلك ويمنحها لشخص أو مجموعة مقابل القيام بدورين هما: فلاحة الأرض وفرض الأمن، ديون دفع الضرائب إلا الزكاة والعشر التي هي ضريبة مفروضة على جميع المسلمين لأن المعروف عن النظام العثماني في الجزائر أنه أحدث سلطات بالريف والمدينة معا إذ أنه دعم تواجده بقبائل مغربية بعد ان منح لها أراضي[2]،وتتم طريقة استغلال هذا النوع من الأراضي عن طريق الاستغلال المباشر من طرف الحكام الذين يستخدمون العمال المستأخرين الخماسة وعندما يتعذر الاستغلال المباشر تعطي أراضي الدولة لكبار الموظفين وذوي النفوذ والمكانة الاجتماعية المرموقة مقابل خدماتهم وكسبا لتأييدهم مثل ضباط الجيش وشيوخ الزوايا المعروفين بالمرابطين وزعماء العشائر الكبرى والقبائل القوية[3]،فكانت هذه الأراضي التي تحولت إلى قطاعات الشرق الجزائري تعرف بأراضي الجوابرية تحتل مساحة واسعة بالجهات الغربية من مدينة قسنطينة وبأطراف بايلك الشرق فرجيوة، مجانة والحراكتة[4].
والحراكتة[4].

وأغلب أراضي البايلك تنتشر على مساحة واسعة حول مدينة قسنطينة تقدر بـ: 60 ألف هكتار[5]،يشتغل منها 48 ألف في زراعة الحبوب و 12 ألف لإنتاج الخضر والفواكه المختلفة [6]،وقد تمت مصادرة أراضي قبيلة زواغة التي كانت ذات ملكية عرش بعد حملة تأديب ضد القبيلة المتمردة وضمت إلى أملاك البايلك، ومن أهمها عزل زغابة الذي بلغت مساحته 2828 هكتار، وهذا العزل الذي سيحول إلى ملكية الدولة الفرنسية ويصبح قرية استيطانية [7]،ويمت هذا النوع من الملكية على مساحة واسعة حول مدينة

---

[1] حياة بودويرة: المرجع السابق، ص 18.
[2] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 46.
[3] حياة بودويرة: المرجع السابق، ص 22.
[4] المرجع نفسه: ص 22.
[5] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 53.
[6] المرجع نفسه: ص 52-53.
[7] حياة بودويرة: المرجع السابق، ص 22.

قسنطينة تقدر بـ: 60 ألف هكتار، وتم تقديرها من الفرنسيين بعد أن وضعوا أيديهم على الشرق الجزائري وذلك عام 1841 بـ: 112.351 هكتار حسب تقدير وارني[1].

وأراضي العزل أنواع، نذكر منها:

أ. عزل الخماسة: تستغل هذه الأراضي من قبل الخماسين مع منحهم وسائل الإنتاج 5/1 على أن يدفع 5/4 من المردود للباي[2]،والباي يعتمد على الخماسين الذين يتلقون الوسائل من محراث وحيوانات ينالون خمس الإنتاج على الجابدة كأجر لهم، ينتمي هؤلاء الخماسة إلى أعراش وقبائل* الشرق الجزائري[3].

ب. عزل الجبري : هذا الصنف من الأراضي التابعة لأملاك البايلك [4]،والتي يتم تأجيرها للفلاحين والمزارعين مقابل تقديم ضريبة تدعى الجبري أو الحكور المقدرة بـ: 12 صاع من الشعير و 12 صاع من القمح على الجابدة الواحدة تسمى الأراضي التي يفرض عليها بأراضي الجوابرة [5]،تسمى أراضي الجوابرة وتمثل الجزء الأكبر من أراضي البايلك[6].

ج. عزل متاع الجبل: يعرفها "نوشي" بأنها أراضي جبلية تقيم عليها قبائل صعب على الباي إخضاعها، مما أدى إلى تسليمها لعائلات قوية متنفذة وكذا رجال الدين مقابل ضريبة مالية[7].

وتقع هذه الأراضي في المناطق الجبلية التي يجد البايلك صعوبة كبيرة في فرض سيطرته عليها، فتح استغلالها لبعض العائلات القوية مقابل المال مثل عائلة "ابن الفكون" كما سبق ذكره [8]،كما هو شأن قبيلة أولاد زواغة نجد قطاعات لعائلة بن عز الدين، عائلة بن عاشور في فرجيوة من أشهر : عزل النورة، عزل بني فو غال، تنتشر ملكيات العزل في قبيلة أولاد كباب، عائلة عمر يان، وعزل زودور[9].

د. عزل الغريب: هي الأرض التي تقطع لمن يقوم برعاية ماشية الباي مقابل دفع عشر المحصول[10].

---

[1] حياة بودويرة: المرجع نفسه، ص 22.

[2] عزالدين بومز: الضباط الفرنسيين الإداريين في إقليم الشرق الجزائري ارنست مرسيه نموذجا، مذكرة ماجيستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 60.

*من أبرزهم أعراش فرجيوة: بني مروان، بني قشة، ولاد قريان، قبائل أخرى تمارس الزراعة المرتبطة بالرعي.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 52.

[4] فلي قشاعي: المرجع السابق، ص 91.

[5] المرجع نفسه :ص 91.

[6] عز الدين بومز: المرجع السابق، ص 60.

[7] حياة بودويرة: المرجع السابق، ص 24.

[8] عز الدين بومز: المرجع السابق، ص 60.

[9] حياة بودويرة: المرجع السابق، ص 24.

[10] عز الدين بومز: المرجع السابق، ص 60.

2. **أراضي العرش:** أغلب هذه الأراضي تتواجد بالمناطق الممتنعة عن السلطة المركزية وغير خاضعة مباشرة الحكام والمعرفة بالخلاء متميزة بحصانتها الطبيعية وقلة خصوبتها [1]،وقد حددت مساحتها عام 1830 بحوالي خمسة ملايين هكتار أما كيفية استغلالها مستخدم طريقتين هما الطريقة الزراعية والطريقة الزراعية الرعوية في آن واحد[2]،وهو نظام يمنح الهيمنة أو حق الانتفاع بجميع أفراد القبيلة حيث يمكن اعتباره ملكية ملكية مشتركة بين أفراد القبيلة [3]، أما العناصر العامة في هذه الملكيات فتكون من الخماسين وبعض الأسرى، كما يرى ذلك حمدان خوجة ان حق ملكية العائلة الأرضي يرجع إلى زمن بعيدة مؤكدا على ذلك بالعقود الرسمية التي كان يحررها طالب القبيلة بحضور الجماعة [4]،وتشغل أراضي العرش مساحة شاسعة في بايلك الشرق، حيث تقيم قبائل النمامشة والحنانشة والحراكتة وأولاد مقران [5]،وتختلف ملكية المخزن بالشرق عما هي في الغرب الجزائري حيث كانت في هذا القطاع الأخير تشبه ملكية العرش اذ كان مستثمروها لا يبيعونها ولا يسمحون لغيرهم باستغلالها شأن الملكية الخاصة[6]،تختلف التسميات حول حول هذا النوع من الملكية من منطقة إلى أخرى وهنا اخترت اسم العرش المعروف لدى منطقة الشرق الجزائري[7].

3. **أراضي الملك:** نذكر من أراشي الملك الواقعة بالغرب من مدن الجزائر وقسنطينة ووهران التي أصبحت في حوزة بعض الاتراك والكراغلة والحضر واشتهرت منها ببايلك الشرق ملكية صالح باي بالغرب من عين سيدي الفران ولقد قدر واربي مساحتها بحوالي 4 ملايين ونصف المليون هكتار ولم يخضع أغلب هذا النوع من الأرض للسلطة العثمانية الأمر الذي أدى إلى استغلال الفلاحين لأغلبها بعيدا عن الرقابة العثمانية وإلى الإفلات من الالتزامات الضرائبية خلال نزلات الضعف [8]،وفي بايلك الشرق نذكر مثال على أراضي الملك في بايلك الشرق عند العائلات العربية والمعروفة منها عائلة الفكون حيث نذكر لوحة المؤسسات الفرنسية في الجزائر بأن عائلة أولاد الفكون التي تملك أوسع الأراضي الفلاحية في بايلك قسنطينة قد حصلت عليها منذ دخول الأتراك إلى الجزائر وذلك مكافئة لها عن مساعدتها ليوسف خليفة

---

[1] حياة بودويرة: المرجع السابق، ص 25.

[2] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 45.

[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 59.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 51.

[5] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق ،ص 87.

[6] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص 46.

[7] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 52.

[8] عميراوي أحميدة: من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر واتوزيع، ط2، الجزائر، 2007، ص 42.

خير الدين باشا أثناء فتحه لقسنطينة التي كان يدافع عنها أولد عبد المؤمن [1]،وهذه النوعية من الأراضي يستغلها أصحابها مباشرة ولا يتوجب عليهم إزاء الدولة سوى فرضيتا العشر والزكاة، فكانت تتصف بعدم الاستقرار وبصغر المساحة نظرا لخضوعها لأحكام الوراثة أو البيع والشراء وفي كثير من الأحيان تتعرض المصادرة والحيازة من طرف الحكام [2]،ويذكر بويان Bouyane ان الداي كثيرا ما كان يعمد إلى بيع أراضي البايلك لبعض الأفراد كما كان يقوم بتحويل الأراضي إلى أراضي الملك خاصة إلى أراضي الملك إلا ان هذا الامتياز لا يمنح إلا القبائل المسالمة أو التي تساعد الأتراك على محاربة القبائل المتمردة [3]،وتعتبر العشور من الضرائب الشرعية المباشرة التي تمس أراضي الملكية الخاصة الخاضعة لمراقبة البايلك الفعلية، حيث يتوجب على القبائل القاطنة بالبايلك تقديم مقدار من الحبوب تحدد كميته حسب أهمية الأرض المزروعة وقد ظل العمل بهذا المبدأ جاريا في عهد أحمد باي ومن سبقه من الباي حتى سقوط مدينة الجزائر في أيدي الاحتلال الفرنسي ،أما فيما يخص الإنتاج الفلاحي في المنطقة فكما نعرف ان اقتصاد الجزائر قد اكتسب بفضل ممارسة الفلاحة وتربية المواشي طابعا فلاحيا رعويا كان من العمق والتمويل [4]،

أما الجهات الشرقية خاصة فقد اشتهرت بمنتوجها الفلاحي المتنوع خاصة قبل فترة القحط، فمن أهم منتوجات النخيل التمر، فمنطقة الزاب [5]،تحتوي على أجود أنواع التمور في العالم، منها: دقلة نور، دقلة المكنتيشي [6].

وهكذا اشتهرت الجهات الشرقية بإنتاج العسل والشمع، منها: عنابة والقالو والأقاليم الجبلية، وقد كان الأهالي يستهلكون منه ويبيعون الباقي لوكلاء البايلك [7]،وهذه المزروعات انتاج العسل والقمح من المواد النادرة التي أقبل بيون على استيرادها وبهذا بادرت الحكومة باحتكار هذه التجارة،إعطاء حق تصديرها إلى شركات أجنبية [8].

بالإضافة إلى حبوب القمح وكذا الشعير، فمعظم سكان السهول يستهلكون الشعير بكثرة رغم توفر القمح لديهم [9]،وهناك حبوب أخرى كالخرطال الذي يسمى القصيبية وتبذر العلف الدواب والذرى التي تزرع في السهول

---

[1] سلطاني الشريف: أوضاع ملكية الأراضي بالجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي بحث تمهيدي، دائرة التاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1977-1978، ص 22.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 51.

[3] سلطاني الشريف: المرجع السابق، ص 22.

[4] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 48.

[5] محمد العربي حرز الله: منطقة مائة عام من المقاومة 1830-1930، جار السبيل، 2009، ص 24.

[6] المرجع نفسه: ص 24.

[7] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 59.

[8] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية وأبحاث من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 514.

[9] حمدان خوجة: المصدرالسابق، ص 87.

الخصبة الداخلية والساحلية وفي المناطق الجبلية الملائمة وبعض الجهات الهضاب العليا الداخلية الممطرة ويختلف مردود الحبوب من منطقة إلى أخرى بسبب خصوبة التربة وكمية الامطار النازلة [1]،وقد ارتبطت زراعة الأشجار بالمناطق الجبلية مثل القبائل وطرازه[2]،وقد اشتهرت القبائل بأشجار التين والزيتون التي تعتبر المورد الأساسي لحياتهم ومعاشاتهم والأوراس اشتهرت بالمشمش واللوز[3]،وتعتبر بجاية المصدر الأساسي لويت الزيتون والشمع والعسل التي كانت تصدر منه إلى موانئ المتوسط الشرقية [4]،وقد ذكر حمدان خوجة أن قمح متيجة هو أقل جودة من غيره ولونه يميل إلى السواد فكمية النشاء فيه أقل من تلك التي تحتوي عليها القموح الأخرى وال يمكن خزنه لأكثر من سنة لأنه يتعرض للتلف والفساد وهذا ناتج عن جو المنطقة ومناخها [5]،مع العلم ان الايالة الجزائرية اختصت كل منطقة بإنتاج نوع معين من المحاصيل الزراعية حسب ظروفها الطبيعية والمناخية منها: القمح الذي كان من المحاصيل الجزائرية الهامة تنتج نوعا جيدا من القمح تدعى القمح البليوني أو القمح الصلب الذي يصنع منه الخبز الجيد في مناطق الاطلس التلي والهضاب الداخلية أما المناطق الساحلية وبعض السهول المنخفضة فكانت تنتج قمحا منحط النوعية وذلك لنوعية التربة وارتفاع الرطوبة ونسبة التساقط [6]، وقد كانت الايالة تزرع مساحات شاسعة من التبغ، الذي يعتبر من أرقى الأنواع في العالم ويصدر من البلدان المجاورة [7]، وكان يزرع في نواحي عنابة وبعض الواحات الصحراوية[8].

وقد كان جزء هاما من الأراضي الجزائر الشمالية في الفترة التركية مغطاة بالغابات وقد أزيل قسم كبير من هذه الغابات في أوائل القرن ونتيجة انتشار الحياة الرعوية، فمنطقة الهضاب العليا الشرقية أصبحت جرداء لا تدل على غاباتها المنقرضة سوى بعض المظاهر الجغرافية وحتى منطقة الساحل لمجاورة لمدينة الجزائر قطعت أشجارها سنة 1789م[9]،أما عن الوسائل المتبعة في الزراعة في العهد العثماني تتميز بالبدائية، فالأداة الأساسية المحرث مكون من قطعتين قصيرتين مجمعتين ومزود بالسكة الحديدية في طرفه الأسفل وقد حالت دون تعمقه في التربة واقتصر أثره على ملامسة الأرض ،ويربط في عنق الحيوان ثم تجره الحيوانات كالثيران والأحصنة والبغال والاحمرة في المناطق الجبلية المنبسطة وشبه المنبسطة وبفأس وعضلات الانسان في المناطق الجبلية الوعرة الشديدة الانحدار ويستغل

---

[1] يحي بو عزيز: من تاريخ الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1999، ص 323-324.

[2] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 32.

[3] يحي بو عزيز: من تاريخ الملتقيات، المرجع السابق، ص 137.

[4] وليام سنبر: المرجع السابق ، ص 141.

[5] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 87.

[6] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 58.

[7] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 60.

[8] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص 59.

[9] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 31.

المنجل اليدوي في الحصار والمدرة والحيوانات في الدرس والتصفية [1]،وبهذه الوسائل البسيطة ظلت أغلب الأراضي الخصبة تعاني من الإهمال، تنتشر فيه المستنقعات مثل سهول عنابة، الأمر الذي ترك أراضي سهول مشاعة تبقى دون استغلال[2].

وقد قام باي قسنطينة ليكسب ثقة الشعب بدلا من ان يشترط حمولة بعير من القمح وأخرى من الشعير عن كل محراث، فقد اكتفى بأن يقبض مكان ذلك مبلغ 15 فرنكا كما أنه اكترى للفلاحين مقابل 27 فرنكا كل ما يمكن ان يغطيه طوال السنة محراث يجره ثوران[3].

وكما عرفنا سابقا ان الشرق الجزائري شهد أوضاعا صعبة للغاية، تميزت بتعدد وبتوالي الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات وغزو الجراد، الامر الذي أدى إلى تردي الأوضاع الصحية فانتشرت الامراض والاوبئة الفتاكة التي كانت لها أسوء الآثار على البلاد والعباد على حد السواء، كما أثرت سلبا على الزراعة.

وكما ذكرنا سابقا ان فترة الدراسة كانت فترة قحط وهذا ما عبر عنه العنتري بقوله في سنة 1804-1805م وقعت مجاعة شديدة وقح وهول أضر بأهل قسنطينة ووطنها، فاشتدت وطأتها على السكان في مختلف أنحاء البلاد حيث عانى منها السكان أزيد من 3 سنوات متتالية[4].

وقد أشار حمدان خوجة إلى أنه في سنة 1800 أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى وقعت الحاجة إلى الاقوات فأمر الداي بتموين البلاد وبالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح، وقد بيع ذلك بثمانية وعشرين فرنكا للصاع الواحد[5].

إضافة إلى سياسة الإهمال التي اتبعها الحكام العثمانيين اتجاه الفلاح [6]،بالمقابل السياسة الضريبية التي كانوا يفرضونها على المزارعين، هذا الوضع موقفا عدائيا بين الطبقة التركية الحاكمة والمجتمع الجزائري، كل هذه العوامل ساهمت في تردي الوضع الفلاحي في بايلك الشرق[7].

---

[1] يحي بو عزيز: من تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص 324.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق ،ص 57.

[3] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 108.

[4] صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 27.

[5] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 160.

[6] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 236-239.

[7] المرجع نفسه: ص 236-239.

المبحث الرابع :التجارة في بايلك الشرق

تعد قسنطينة مركزا تجاريا هاما حيث أصبحت التجارة من اهتمامات معظم باياتها و خاصة صالح باي [1]، فقد ضربت مدينة قسنطينة في العهد العثماني بسهم وافر في الحركة التجارية لأن المدينة كانت تقع في مكان استراتيجي [2] ،هام بحيث أصبحت ملتقى القوافل التجارية سواء القادمة من الشرق نحو الغرب أو من الشمال نحو الجنوب و رغم أن الإحصائيات المضبوطة و المنتظمة كانت غير متوفرة لتمكين الدارس من تقييم النشاط التجاري فإن بعض الأرقام من هنا و هناك تدل دلالة قاطعة على أن الأرباح المجنية كانت طائلة و كثيرا ما تتجاوز خمسة أضعاف رأس المال [3]، إلا أن الواضح هو أن التجارة كانت مزدهرة بمدينة قسنطينة ، و قد ساعد هذا الازدهار الموقع الجغرافي،حيث وقعت المدينة على حافة اقليمين متكاملين هما الصحراء و التل ومرور جميع القوافل والمسالك التجارية [4].

وقد أضاف شلوصر في هذا أن قسنطينة فيما يقوله أهاليها مركزا تجاريا هاما و ذلك لموقعها بين الجزائر وعنابة و تونس تباع كل السلع من القمع و الثمار و المنتجات المختلفة [5].

عاشت مدينة قسنطينة حركة اقتصادية هامة في العهد العثماني و استطاعت بحيويتها ان تفرض استقطابا على الأرياف المجاورة [6]،بعدنزوح سكانها بحثا عن فرص العمل و الاستقرار [7].

كما كانت طرق التل ذات اهمية كبيرة من الناحية التجارية و الاقتصادية فهي تربط الحواضر الكبرى كقسنطينة و الجزائر و معسكر و تلمسان و العامل الذي دعم اقتصاد الواحات : مزاب و ورقلة و عين صالح وتوات و فات التي كانت معبر القوافل الصحراوية المنتقلة بين اقليم تافلالت بالمغرب وواحة عدامس بليبيا وحوض النيجر بالسودان [8].

ونظرا للنشاط التجاري الكبير الذي عاشه اقليم قسنطينة و الذي يوضحه ما ذكر بعض الرحالة خاصة حول مصنع البارود الذي كانت تشرف عليه الحكومة بمدينة قسنطينة غرب القصبة يعمل به عشرون عاملا ، ولا

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: دراسات و ابحاث....، المرجع السابق، ص 69.

[2] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 169.

[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 187.

[4] محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص 18.

[5] شلوصر: المصدر السابق، ص 87.

[6] محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص 80.

[7] المرجع نفسه : ص80.

[8] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي: المرجع السابق، ص73.

تقل أهمية الحربية عن فن تذويب الحديد الذي يقوم بخدمته الاسرى المسيحيون بباب الوادي بمحاذاة اسوار مدينة الجزائر.[1]

إضافة إلى أن التقارير الاستعمارية التي قدمت حول المنطقة توضح الواقع التجاري و النشاط السائد بالإقليم ، حيث قدمت هذه التقارير معلومات حول نشاط قبائل المنطقة اضافة الى الزراعة و الرعي فقد كانت تمارس اقليم منطقة ميلة عدة حرف، اغلبها للإستعمالات العائلية [2]،و تقوم بها اساسا النساء ,فنجد مثلا سكان فرجيوة يصنعون من الصوف الملابس كالبرنوس , و يقومون بترويجهم في الأسواق الأسبوعية كسوق زغاية[3].

وبناء على الفرنسيين اثر احتلالهم لهم للمدينة فان عدد الافران 18فرنا كل واحد منها ينتج يوميا مائة خبزة[4].

الى جانب كل هذه الانشطة التجارية التي تزخر بها مدينة قسنطينة فقد كانت هذه الاخير ملتقى المقوافل التجارية التي تجوب أنحاء الشرق الجزائري،اضافة الى ان الموانئ التي كانت تابعة لبايلك قسنطينة كانت بها حركة تجارية نشيطة،فقد كان يتم منها تصدير مختلف صادرات المنطقة وخاصة من ميناء القالة وعنابة وسكيكدة والقل ،فقد شهدت هذه المدن نشاطا ملحوظا وتوسعا في حجم المبادلات التجارية مع الخارج ،ولاسيما مع الشواطئ الشمالية للبحر الأبيض المتوسط[5].

أما الاسواق فقد كان اقليم قسنطينة يضم ثمانية وعشرون سوق وسويقة وواحد وعشرون ساباطا وسبع تربيعات يتجمع بها صناع النسوج وثلاث رحبات لعرض السلع وثلاثة أفران لطهي الخبز[6]،وسبعة وعشرون مطحنة المحبوب للمحبوب منها خمس داخل المدينة تعالج يوميا ما يعادل ستمائة قنطارا من الدقيق [7]،و كذا المحلات التجارية التي شيدت في عهد صالح باي، التي تحيط بسوق "الجمعة" سوق العصر حاليا[8].

---

1 محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص36.

2 ارزقي شويتام: المجتمع الجزائري و فعالياته،المرجع السابق،ص194.

3 المرجع نفسه: ص 194.

4 محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص 81.

5 عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ص 169.

6 محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص81.

7 المرجع نفسه : ص81.

8 عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص163.

وكذا لا يمكننا اغفال المبادلات التجارية التي كانت بين بعض افراد الانكشارية وحتى بين عامة الناس.

و هذا الجدول رقم(6) يوضح البعض منها:[1]

نوع العقد	الاسم	الرتبة	عدد المشاركة
بيع البغل	باكير الانكشاري	/	1
بيع عبد	علي الانكشاري		1
بيع جزء من دار	شعبان بن محمد بن حمزة الانكشاري	/	1
شراء دار	علي الغربي	اغا الصباحية	2
شراء دار	اسماعيل بن مصطفى الانكشاري	/	2

اضافة الى هذا النشاط داخل الاقليم، كان بايلك الشرق مركزا للتجارة الخارجية، فقد كانت القالة في حوزة الشركة الملكية الافريقية تصدر منها الحبوب الى مرسيليا مرساها واسع و بها جميع شروط الملاحة[2].

و كان بايلك الشرق يعتبر من اكثر المناطق تصديرا للقمح و غيره بالمقابل كانت الايالة تستورد مجموعة متنوعة من المنتجات الاوروبية تأتي من ميديتشي و مرسيليا و ليفرنة[3].

الا ان راس المال المستعمل للقيام بعمليات التصدير و التوريد لم يكن يتجاوز مليونين من الجنيهات النووية [4]،كان نفوذ هذه المقاطعة التجاري يمتد حتى تونس و ليبيا اللتان تستوردان منها الملابس المطرزة و الاقمشة الحريرية و التوابل و تصدران لها الجلود والشمع و الحبوب و اللحوم [5]،و هذا و بالإضافة الى ان الجهات الشرقية من الجزائر، اقليم الجزائر، اقليم عنابة و القالة اشتهر بإنتاج العسل و الشمع و الموارد النادرة التي اقبل الاوروبيون على استيرادها و بهذا بادرت الى احتكار هذه التجارة و اعطاء حق تصديرها الى الشركات الاجنبية[6]،الا ان العديد من من المؤرخين ذهبوا الى جميع الارباح الناتجة عن العلاقات التجارية مع اوروبا كانت تذهب الى جيوب الاجانب و لا تفيد الجزائريين الا بقدر قليل، و لو كان المشرفون على هذا النوع من التجارة الخارجية من ابناء البلاد الاصليين

[1] يوسفي صرهودة: المرجع السابق، ص 134.

[2] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص65.

[3] صالح عباد: المرجع السابق ، ص 243.

[4] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 143.

[5] لعروق محمد الهادي: المرجع السابق، ص 80.

[6] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 514.

لعملوا كل ما في وسعهم لتطويره بكيفية افضل ليجعلوا منه وسيلة تساعد على تنمية مقاطعة قسنطينة وتصنيعها [1].

ومن اشهر يهود الجزائر الذين كانوا يقيمون في مدينة قسنطينة بكري و بوشناق * و شيافينو الذين كان لكل منهم محل في عنابة واتصالات وثيقة بحاشية الباي و اعيان المقاطعة، كما انهما استطاعا ان يستميلا ممثلي الهيئات التجارية الفرنسية مقابل بعض الخدمات او المساعدات المالية فالظروف كانت مواتية فاستغلاها و دخل الى ميدان التجارة الخارجية مركزين جهدهما على مرسيليا ارضاء للسلطات الفرنسية و قد عمل على كسب ثقتها المحصول على الكثير من الصفقات التجارية و على ليفونة فقد كان لها فوائد كثيرة على الشرق الجزائري.[2]

كما ذكرنا سابقا انه للشرق الجزائري علاقات تجارية مع معظم الدول الاوروبية و دول اخرى فقد كانت مدينة عنابة على اتصال وثيق بمالطة و ماهون ترسل اليهما من حين لآخر تسعينات من الحبوب و المواشي لسد حاجيات الاهالي و لتغذية الحاميات البريطانية هناك [3]،كما سبق ذكره ان ليفرنة تأتي في المرتبة الثانية من حيث علاقاتها التجارية مع الشرق الجزائري [4]، فقد ذكرت بعض الكتابات التاريخية انه كان هناك تنافس شديد بين قبل يهود ليفرنة حول التجارة حول التجارة في الشرق [5]، فقد بدا الشرق الجزائري يقيم علاقات تجارية مع ليفرنة عندما اصدرت الثورة الفرنسية تدابيرها الاقتصادية التي تلغي جميع انواع الاحتكار بما في ذلك صيد المرجان، عندئذ اصيبت الشركة الملكية الافريقية بعجز مالي، و اصبحت غير قادرة على مراقبة السوق في موانئ قسنطينة و لم تكن الوكالة من بعد و لا سائر الهيئات التجارية التي خلفتها اكثر منها حظا لتتمكن من استعادة الاحتكار الذي بدر على فرنسا في الايام السعيدة ارباحا طائلة.

فيما يخص فترة الدراسة، قد كلف احمد باي شيافينو بان يشتري له الرخام و جميع المواد الضرورية لبناء قصره، و يذكر فيرو ان الدفع كان في شكل حبوب ارسلت من عنابة الى ليفرنة في سنة 1826 مائة وثلاث و ثلاثين سفينة، ادركنا بالاعتماد على المعدل الذي توصلنا اليه سابقا ان شيافينو شحن من قسنطينة في تلك السنة

---

[1] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص147.

*شركة بكري و بوشناق اليهوديان التي كانت تتحكم في ثلثي التجارة و تتحكم في الاسعار بصورة تعسفية اعتباطية و كانت تستجلب المنتجات من المناطق الداخلية عن طريق الحصول عليها بابخس الاثمان اما في الاسواق او من مستودعات بضائع قادة القوافل او من المخازن التي كانت تستودع فيها الضرائب العينية، لمزيد من المعلومات انظر: وداد بلامي: "النفوذ الاقتصادي و السياسي ليهود الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2004.

[2] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص142.

[3] المرجع نفسه: ص 146.

[4] نفسه: ص142.

[5] شارل اندري جوليان: المرجع السابق، ص 38.

مائة و ستا و عشرين سفينة، بالإضافة الى السفن الخمسة التي تعودت شركة بكري و بوشناق ارسالها في كل سنة[1].

وهذا ما يؤكد ان العلاقات التجارية بين شرق الايالة و ليفرنة كانت تتطور بالتدرج غير اننا لا نستطيع تقييمنا بدقة لعدم وجود الاحصائيات اللازمة لذلك و لكن هذه العلاقات كغيرها،قد توقفت نهائيا عندما فرضت فرنسا حصارها على ساحل الجزائر سنة 1827[2].

ولم تقتصر العلاقات التجارية لإقليم قسنطينة مع ليفرنة فقط بل تعدت ذلك، فقد كان لمقاطعة قسنطينة عدة اتفاقيات تجارية مع اسبانيا و جنوة و مرسيليا بواسطة مواني جيجل و القل و سكيكدة التابعة لحكمها الاداري و السياسي[3].

الا ان التعامل التجاري مع ليفرنة كان كثير كما بدا واضحا، فيما يخص الصادرات فان موانئ قسنطينة كانت ترسل الى ليفرنة كميات كبيرة من القمح الصلب الذي لا ينتج مثله في ايطاليا و الذي يصلح لصناعة المعكرونة و البسكويت الجيد الذي لا تؤثر فيه رطوبة البحر كما انها كانت تبعث اليها ريش النعام من نواحي ورقلة و بعض المنتوجات المحلية ولكن بقدار ضئيل جدا و كان البحارة الايطاليون والكورسكيون خاصة يحملون اليها ما يستخرجونه من مرجان من سواحل شرق ايالة الجزائر لانهم يجدون فيها الاسعار التي يريدونها ولأن السفر اليها لم يكن معرض لاحظار الحصار الانجليزي على فرنسا[4]،ولا على هجومات المهاجرين الفرنسيين قبل العودة[5].
العودة[5].

هذا وقد كانت التجارة الموجهة نحو اوروبا مراقبة من طرف الدولة فالقمح لا يغادر موانئ البلاد الا بترخيص من الداي و بهذا اخذ موقعا هاما ضمن قائمة الصادرات[6].

---

1 محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص145.
2 المرجع نفسه :ص 145.
3 محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص 80.
4 محمد الهادي لعروق :المرجع نفسه، ص 143.
5 محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 143.
6 صالح عباد: ،المرجع السابق، ص 342.

ورغم هذا فان القمح ياتي على راس قائمة الصادرات في الشرق الجزائري الى جانب مواد اخرى ، فقد كانت بجاية تعتبر المصدر الاساسي لزيت الزيتون و الشمع و العسل التي تصدر منه الى موانئ المتوسط الشرقية[1].

والمتامل في مذكرات السيد كيبار * التي كتبها في عنابة سنة 1797م و اعتبرنا ان الخمسة مراكب التي خرجت من موانئ قسنطينة الى ليفرنة في تلك السنة يمكن ان تكون معدل هاما جاز لنا ان نقول بان الشرق الجزائري كان يقوم وحده بخمسة اسباع(5/7) النشاط التجاري مع هذه المدينة الايطالية[2]،فقد كانت ليفرنة بمثابة همزة وصل بين الضفة الجنوبية من البحر الابيض المتوسط، و اوروبا الشمالية، [3]هذا و قد كانت حكومة الاتراك تشجع السكان على انجاز مشاريعهم هذه و تدفعهم في طريق الثروة، انما تعمل على اثراء نفسها [4]،و على الرغم من ان وعلى الرغم من ان العادات كانت ضئيلة عندما تأسست الايالة، فإنها كانت تدرك بانها انما تعمل المستقبل، وانها سوف تتمكن فيما بعد من ان تجني بطرقة شرعية ثمار صناعتها وسياستها مثل: رسوم الجمارك...[5]، وقد كانت من اهم المواد المتبادلة بين الشرق الجزائري و ليفرنة بالنسبة للواردات قليلة ومحصورة في الاحواج، والشراشف، والاقمشة الحريرية، والقهوة المجلوبة من امريكا والسكر و التوابل والخردوات والحلي والرخام والقفل، الذي كانت النساء يصنعن منه العقود والاشرطة التي تربط بها الشيشا وتصنع بها الالبسة الاخرى وغيرها، والجدير بالذكر ان الجزائر كانت تضع كميات كبيرة من المادتين الاخيرتين و يقال انها كانت احسن مما يستوردها اليهود أونا و بهاءا لكن اسعارها كانت غالية[6].

وذكر بعض المصادر ان عدد السفن التي وصلت من الجزائر الى ليفرنة قد بلغ 214 في الفترة ما بين 1794، 1825، اي بمعدل حوالي سبع سفن عن كل سنة فقط، وما من شك انه عدد تقريبي لان اليهود الذين كانوا يهملون الكتابة و القيد لتجنب المرتفعة التي كانت تفرض على بضائعهم المصدرة و المستوردة لم يتركوا لنا ما تعتمد عليه في وضع احصائيات مضبوطة و دقيقة[7].

---

[1] ويليام سبنسر: المرجع السابق، ص 141.

*كان ممثل و رئيس للوكالة في عنابة.

[2] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 143.

[3] المرجع نفسه: ص 142.

[4] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 80.

[5] المصدر نفسه : ص 80 .

[6] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 143.

[7] محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه ، ص 144.

اما فيما يخص العلاقات التجارية للشرق الجزائري مع مرسيليا التي كانت تصنف في المرتبة الثانية بعد ليفرنة، ففي كل سنة يصل من 5 الى 6 سفن من مرسيليا محملة بالسكر والبن والورق والحديد والاقمشة والكتان الهندي الرفيع و الاواني المعدنية المنزلية و الحديد والصلب والالمنيوم والرصاص والقصدير[1].

ومع العلم ان الجزائريين كانوا يقومون بتجهيز السفن الصغيرة تشبه سفن الاسبانيين، و كانوا يراقبون السواحل ويقومون بنوع من التجارة، و في نفس الوقت يحتجزون السفن الاسبانية و يقودونها الى مدينة الجزائر و لا تدوم في العادة اكثر من 5 او ست ايام و على الرغم من ان قواد السفن يجهلون فن الملاحة فانهم يعرفون ان الساحل الاسباني في الشمال و الساحل الافريقي في الجنوب و كانت قمم الجبال هي بوصلتهم التي تقودهم في سيرهم وساعدهم على بلوغ الهدف[2].

الا ان العلاقات التجارية لبايلك الشرق لم تقتصر على الدول الاوروبية فقد كانت العديد من القوافل تتحمل الى "تونس" و "غدامس"، فقد ذكرت بعض النصوص التاريخية المعاصرة لهذه الفترة بان القافلة المتوجهة الى تونس في كل شهر كانت تتكون من 150 الى 200 بغل محملة كلها بالمحاصيل الزراعية، والسلع المصنوعة بالمدينة[3]، رغم ان موانئ مقاطعة قسنطينة كانت تقيم علاقات متينة مع مرسيليا التي كانت تستورد من شرق الايالة وحده حوالي ثلاثمائة الف قنطارا من القمح لتموين سكان مناطق الجنوب والوسط في فرنسا، وكميات كبيرة من المرجان والصوف والشموع والجلود والشحوم التي كانت تستعمل لتشغيل اليد العاملة و تنشيط التجارة الفرنسية مع الهند والصين[4]،مع العلم انه في منطقة قسنطينة كان الباي يقوم باحتكار التجارة الا ان المعاملات كانت تجري في مدينتي قسنطينة و عنابة مع تجار مرسيليا الذين كانوا قد استعادوا الامتيازات الافريقية بعد سقوط نابليون[5].

الا ان العجز المالي وغيره من المصاعب في بايلك الشرق خاصة في الفترة الاخيرة من الوجود العثماني اي فترة الدراسة، كان سببا في ظهور جماعة من التجار [6]،اليهود الذين كانوا يقيمون في مدينة قسنطينة و يعود وجود اليهود بالجزائر الى فترة قديمة منذ الفتح الاسلامي[7].

---

[1] صالح عباد: المرجع السابق، ص 343.
[2] حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 179.
[3] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 169.
[4] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 147.
[5] شارل اندري جوليان: المرجع السابق، ص 38.
[6] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 143.
[7] المرجع نفسه، ص 142.

خلاصة الفصل الثالث:

في الأخير استطعنا التوصل الى النتائج التالية :

- نال الوقف في بايلك الشرق أهمية من قبل البايات حيث كثرت المشاريع الوقفية خاصة تلك التي تخص المساجد.
- تميز بايلك الشرق بكثرة الحرف خاصة الصناعية منها،مع العلم أن الصناعة كانت تقليدية فقط بالبايلك لم تتعدى هذا في فترة الدراسة.
- لم يكن النشاط الفلاحي بالبايلك في وضع مستقر خاصة مع انتشار المجاعات و الجفاف وظهور الجراد في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني.
- من الملاحظ أن لبايلك الشرق علاقات تجارية خارجية أي مع الدول المجاورة تأتي في مقدمتها "ليفرنة" .



خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الحياة الاجتماعية لسكان بايلك الشرق الجزائري خلال الفترة الممتدة مابين (1807_1830)م،توصلنا الى النتائج التالية :

- قسنطينة من المدن المحصنة طبيعيا، فقد احتلت موقعا استراتيجيا هاما.
- اختلاف سكان مدينة قسنطينة حول دخول العثمانيين المدينة من مساند و معارض .
- أكبر منصب باقليم قسنطينة كان في بداية الحكم العثماني محتكرا من طرف العناصر المحببة، والعثمانيون لم يتدخلوا بقوة لإحداث تغيير جذري بإدارة البايلك،وجعلوا القوانين العرفية والمحلية قوانين إدارية موازية لقوانين الدولة يتوجب على الباي احترامها.
- الواضح من الدراسة أن للشيوخ مكانة اجتماعية هامة في الوسط الريفي فأغلب البايات كانوا يعتمدون أساسا عليهم في حكمهم للبايلك،و كانوا اليد المنفذة و الأداة الفعالة للسلطة بالأرياف.
- من الملاحظ ان الكثافة السكانية كانت عالية بالبايلك،وعاصمة قسنطينة كانت نقطة استقطاب للنازحين من المناطق الجبلية.
- التنظيم الإجتماعي ببايلك الشرق اتخذ شكلا هرميا تأتي في قمته الطائفة التركية بعدها الكراغلة ثم الإنكشاريين ثم اليهود بعد الحضر و البرانية.
- مايمكن إبرازه حول الطوائف الإجتماعية بالريف هو أن القبائل تعددت و تفرعت فهي متشعبة لكثرتها،والملاحظ أنها اختلفت من حيث علاقتها بسلطة البايلك،فقد كان منها القبائل الخاضعة للسلطة و تعد مصدر ثروة البايلك،اما القبائل المتعاونة مع البايلك كانت تحضى بامتيازات عدة على حساب باقي العشائر والشرائع الإجتماعية.
- أما القبائل الممتنعة عن سلطة البايلك الملاحظ أنها ذات إقتصاد مستقل أي لا علاقة لها بسلطة البايلك ولا تدفع الضرائب.
- الأحوال الصحية بالبايلك جد متردية في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني،مما أثر تأثيرا كبيرا على النمو الديمغرافي لسكان البايلك والمستوى المعيشي مما أحدث قلة في المحاصيل وارتفاع في الأسعار.
- المجتمع الأسري من أبرز مظاهر الحياة الإجتماعية كون الأسرة أهم عنصر من عناصر الأنظمة الإجتماعية، و قد كانت المرأة أهم ركائزها فقد احتلت مكانة هامة في الحياة الإجتماعية داخل المجتمع القسنطيني.

- الملاحظ من دراسة نظام الزواج و الطلاق في مجتمع بايلك الشرق هو أن الزواج أول خطوة في البناء الأسري، والمعروف أن الصداق ركن من أركان الزواج، والواضح أن المرأة القسنطينية كانت ذات مهر مرتفع.
- في حين لم يخلو المجتمع القسنطيني من المشاكل و العراقيل التي تهدد استقرار وكيان المجتمع في تلك الفترة.
- مدينة قسنطينة إسلامية بطبعها فقد كان التعليم و الحياة الثقافية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية.
- اعتبرت الحواضر الهندسية لبايلك الشرق من أهم الأعلام التي تعبر عن تاريخ حفظه أهل قسنطينة كذاكرة في منشآتهم ومبانيهم العمرانية.
- من خلال دراسة ملكية الأراضي الفلاحية في الفصل الثالث استخلصنا اهتمام بايات بايلك الشرق خاصة الأواخر بهذا المجال واستنتجنا انتشار ملكية العزل خاصة في عهد أحمد باي دون أن ننسى الوضع المتردي الذي عرفه قطاع الفلاحة في فترة الدراسة والسبب البارز يكمن في سياية البايات في حد ذاتهم إلى جانب السبب الرئيسي وهو الظروف الطبيعية القاسية.
- لم تكن هناك صناعة بكل معنى الكلمة في تلك الفترة بل كانت صناعة تقليدية فحسب،تمثلت في الحرف والمهن التي تنوعت خاصة في مدينة قسنطينة.
- للأوقاف في المجتمع القسنطيني مكانة مرموقة تميزت أغلبها في المساجد والزوايا باعتباره أهم مظهر في الحضارة الإسلامية.


قائمة المصادر و
المراجع

أولا قائمة المصادر:

1. القرآن الكريم و السنة النبوية .
2. ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد:البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية،1957.
3. ابن منظور: لسان العرب،مج1،دار الحديث، القاهرة، 1423هـ،2003م.
4. أبي الفدا اسماعيل بن كثير: السيرة النبوية،دار الكتاب العربي،ج2،بيروت، لبنان.
5. أبي الفرج ابن الجوزي:أحكام النساء،دار الجيل بيروت،دت.
6. أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردى البخاري: (256-809)، صحيح البخاري،تخريج وضبط صديق جميل العطار،مج3،ط1،دار الفكر للطباعة و النشر،بيروت،لبنان، 1424هـ،2003م،باب النكاح،رقم الحديث5066 .
7. أبي عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب دار الكتاب الإسلامي،القاهرة.
8. الإدريسي الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،تحقيق اسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1983.
9. الحسن الورثيلاني: نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار،ط2،دار الكتاب العربي،بيروت،1974.
10. حمدان بن عثمان خوجة: المرآة،تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري،2005.
11. سليمان العيد:نفخ الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار،ط1994،1.
12. صالح عبد السميع الأزهري: جواهر الاكليل شرح العلامة خليل في مذهب الإمام مالك ،دار التنزيل،دار الفكر،ج2.
13. عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة،تحقيق علي عبد الواحد وافي،ج3،مطبعة لجنة البيان العربي،القاهرة،1957.
14. فنديلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي (1832_1837)،ترجمة أبو العيد دودو،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، (د.ط).
15. محمد العزالي: فقه السيرة،مكتبة الحاب،الجزائر،1987.
16. محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر،جزء1،القاهرة،المطبعة التجارية،1903.
17. محمد صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم،تحقيق يحي بوعزيز،دار هومة،2005.
18. محمد صالح العنتري: مجاعات قسنطينة،تح رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1974.
19. محمد يوسف الزياني:دليل الحيران وانيس السهران في أخبار مدينة وهران،تح المهدي بوعبدلي،الشركة الوطنية للنشر التوزيع،الجزائر،1978.

20. وليام شالر: مذكرات شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816_1824) ،تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي،الشركة الوطنية النشر والتوزيع،الجزائر،1982.

ثانيا: قائمة المراجع (باللغة العربية)

1. ابراهيم بن يوسف: اشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة بوداود ،الجزائر، الحراث، 1992.
2. أبو القاسم سعد الله: القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني، ط2 ،المؤسسة الوطنية المكتاب، الجزائر،1985.
3. أبو القاسم سعد الله: بحوث في تاريخ المغرب الإسلامي، ج2، ط2،دار الغرب الاسلامي ، بيروت، 1990.
4. ابو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ط2، المؤسسة الوطنية المكتاب،الجزائر.
5. أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن(10-14هـ/20-16م)، ج 2،ط 2،المؤسسة الوطنية المكتاب،الجزائر،1985.
6. أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الإحتلال،ط 3،الشركة الوطنية المنشر والتوزيع،1982، ج1.
7. ابن شغيب محمدالمهدي بن علي: ام الحواضر في الماضي والحاضر،ط1،مطبعة البعث،قسنطينة،1980.
8. أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(926_1446هـ)(1519_1830م).
9. اسماعيل العربي: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر
10. الجيلاني عبد الرحمان بن محمد: تاريخ الجزائر العام،ج1،دار الثقافة،بيروت، لبنان، 1980.
11. العربي بلحاج: الوجيز في شرح قانون الأسرة الجزائرية، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1994.
12. العطار أحمد بن مبارك: تاريخ قسنطينة، تح رابح بونار.
13. بلقاسم شتوان: الطلاق في الفقه المالكي(دراسة أكاديمية مدعمة بالأدلة الشرعية،قانون الأسرة الجزائرية)،دار الفجر للطباعة والنشر،قسنطينة ، الجزائر،2009.
14. بورويبة رشيد: قسنطينة سلسلة الفن والثقافة،وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر،1978.
15. توفيق خنشول: المدينة والتاطير الأمني بالوسط الحضري، مقاربة مجالية حالة مدينة، قسنطينة.
16. حليمي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر،1972.
17. داودوا أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830-1855)،الشركة الوطنية المكتاب،الجزائر،1989.
18. درياس لخضر: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني،ط2006،1.
19. زهور ونيسي: عبر الزهور والأشواك مسار امرأة، دار القصبة المنشر، 2012.
20. زهيدي يكن: الزواج ومقارنته بقوانين العالم، منشورات المكتبة العصرية،صيدا، بيروت.
21. زوزو عبد الحميد: نصوص و وثائق من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830_1920)، المؤسسة الوطنية المكتاب، الجزائر،1984.

22. سليماني أحمد: تاريخ مدينة الجزائر،ديوانالمطبوعات الجامعية.
23. سميرة زغبيت: المالوف من الأندلس إلى المغرب العربي دراسة تاريخية وفنية في مدينة قسنطينة.
24. سيد محمد التوني،نسمات عبد القادر: عن الاسكان والعمران،ابحاث مختارة من المؤتمرات الدولية،العربي للنشر والتوزيع،القاهرة، ط2، 1992.
25. شارل اندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو و بدايات الاستعمار(1827_1871)،مج1 ، ط 1، 2008، النشر والتوزيع من وزارة الثقافة،2008.
26. شريط عبد الله: الأعمال الكاملة، منشورات السهل، وزارة الثقافة، الجزائر ، 2009.
27. صالح عباد: الجزائرخلال الحكم التركي(1514_1830)،دار هومة،2014.
28. صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة،(1826_1850)،ديوان المطبوعات الجامعية،2007.
29. صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، 814ق م،1962م،دار العلوم النشر والتوزيع.
30. عبد العزيز سعد: الزواج والطلاق في قانون الأسرة الجزائرية، ط1، 1406هـ ،1986م.
31. عبد الله شريط وآخرون: الجزائر في مرآة التاريخ،مكتبة البعث ،الجزائر،1965.
32. عبد الله شريط،مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي والإجتماعي، المؤسسة الوطنية المكتاب،الجزائر،ط1985،1.
33.
34. عطا الله فؤاد خالدي،دلال سعد الدين العلمي: الإرشاد الأسري والزواجي،ط1، دار الصفاء،عمان،2001.
35. عروة نجاة: من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر،حلب، تلمسان.
36. عقاب محمد الطيب: من قصور مدينة الجزائر اواخر العهد العثماني،دار الحكمة ، الجزائر،2009.
37. عميراوي أحميدة: بايلك الشرق الجزائري بتونس في أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي،دار الهدى المطبع،الجزائر،2005.
38. عميراوي أحميدة: من تاريخ الجزائر الحديث،ط2 ، دار الهدى للنشر والتوزيع،مليلة، الجزائر،2009.
39. علي خنوف: السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري،الميزان للنشر والطباعة،الجزائر.
40. علي نابليت: تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني،منشورات الأبيار،ط1،الجزائر،2010.
41. غانم محمد الصغير:قسنطينة، مجلة العلوم الإنسانية،دار الهدى،عين مليلة الجزائر، ع1999،12.
42. طمار محمد: الروابط الثقافية في الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983.
43. لعروق محمدالهادي:مدينة قسنطينة، دراسةفي جغرافية العمران،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر،1984.

44. لعروق محمد الهادي: فيلالي عبد العزيز،مدينة،دراسة في التطور التاريخي والبيئة الطبيعية،دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة،الجزائر،ط1984،1.
45. مأمون طربيه: السلوك الإجتماعي للأسرة ،مقاربة معاصرة لمفاهيم علم الإجتماع العائلة، ط 1،2012، دار النهضة العربية، بيروت،لبنان.
46. مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث،تحقيق الميلي محمد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1976.
47. محفوظ سماتي: الأمة الجزائرية،نشأتها وتطورها،تر محمد الصغير نباتي،عبد العزيز بوشعيب،منشورات حلب.
48. مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع،تر حنفي بن عيسى،المؤسسة الوطنية المكتاب،الجزائر،1983.
49. محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري،الشركة الوطنية المنشر والتوزيع،الجزائر.
50. محمد بن عبد العزيز بن عبد الله: الوقف في الفكر الإسلامي،ج 1،طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،1996.
51. محمد بوزهرة:محاضرات في الوقف،مطبعة أحمد علي مخيمر،القاهرة،مصر،1959.
52. محمد عثمان: صفحات من تاريخ ومعالم قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة،طبعة 1،الدار المصرية للكتاب،2013.
53. محمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن 20، مج4،ط3،دار المعرفة ، بيروت،1971.
54. محمد كنازه: الوقف العام في التشريع الجزائري، دار الهدى،عين مليلة ،الجزائر،2006.
55. محمد محمود الجوهري وعدلي محمود السمعي: المشكلات الإجتماعية،ط 1، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان،1432هـ،2011م.
56. منذر قحف: الوقف الإسلامي تطوره،إدارته،تنميته،دار الفكر، دمشق، سوريا،2000.
57. ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني (1792_1830م)،المؤسسة الوطنية المكتاب،الجزائر،1987.
58. ناصر الدين سعيدوني: دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.
59. ناصر الدين سعيدوني:دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)،المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع،الجزائر،1984.
60. ناصر الدين سعيدوني:ورقات جزائرية،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر،طبعة2000،1،دار الغرب الإسلامي.
61. ناصر الدين سعيدوني المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ في العهد العثماني،الجزائر،1984.
62. نبيل فرج : العمارة الإنسانية للمهندس حسن فتحي،الانجلو المصرية، القاهرة،1984.
63. نفيسة لحرش: تطور لباس المرأة الجزائرية ، ط1، دار النشر،أنوثة ، الجزائر،2007.

64. نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700_1830م)، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، دار الشروق للطباعة والنشر والديوان،الجزائر،2008.
65. وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر،تع عبد القادر زبادة، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006.
66. يحي بوعزيز: الحالة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع بالشرق الجزائري خلال العهد العثماني خلال القرن 19، الجزائر،1980.
67. يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر،جزء1،طبعة1،عالم المعرفة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2009.
68. يحي بوعزيز: مع تاريخ الملتقيات الوطنية والدولية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999.
69. يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،جزء1،دار الهدى،الجزائر.

ثالثا قائمة المراجع (باللغة الاجنبية):

1. Muse national de arts et tratition popilaires : larie queaidienne,opcit.
2. Muse national du bardo : les parures et diyaux arts et algeriens abavers. L'histoire, A alger,2007,108;106.

رابعا: قائمة الرسائل الجامعية :

1. ابن عبد السلام عقيلة، نكاح نذيرة : استعمال الفضاء التقليدي القسنطيني، دراسة ميدانية سيدي الجليس، مدينة قسنطينة، رسالة ليسانس في علم الاجتماع التربوي الثقافي، 1983-1990.
2. بوضرساية بوعزة: الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاومة(1826_1848)، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 1991.
3. جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن(10الى13هـ)و(16الى19م)، ماجيستير تاريخ قسنطينة،1992.
4. جميلة معاشي: الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ،رسالة دكتوراه،إشراف كمال فيلالي،جامعة قسنطينة،2007-2008.
5. جهيدة بوعزيز: الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني(1771_1837م)-(1185_1255هـ)،رسالة ماجيستير،جامعة قسنطينة ،2011-2012.
6. حسن بوخلوة: عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره،(988_1073هـ)(1580_1663م)،جامعة وهران،2007-2009.
7. حماش خليفة: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، أشراف فاطمة الزهراء قشي، 1426هـ-2006م.

8. حياة بودويرة: الملكية والمجتمع في منطقة فرجيوة خلال القرن التاسع عشر، رسالة ماجيستير،إشراف فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة،2011-2012.
9. رياض بولحبال: أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول دراسة وتحقيق، رسالة ماجيستير، إشراف اسماعيل سامعي، جامعة قسنطينة،2009-2010.
10. ساطاني الشريف: أوضاع ملكية الأراضي بالجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي، جتمعة قسنطينة،(1977-1978).
11. سيساوي أحمد: النظام الإداري لبايلك الشرق ، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر،1987.
12. شريفة ضبان: ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني،رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 1990-1991.
13. صرهودة يوسفي: معاملات و مبادلات إقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني،ماجيستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة قسنطينة،2004-2005.
14. عائشة غطاس: الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر،(1700_1830)، مقاربة اجتماعية إحصائية،منشورات ANEP.
15. عز الدين بومز: الضباط الفرنسيين الإداريين في إقليم الشرق الجزائري، ارنست مرسيه نموذجا، رسالة ماجيستير،2008.
16. فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة المدينة والمجتمع النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة من أواخر القرن الثامن عشر الى منتصف القرن التاسع عشر،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ،جامعة تونس،1998.
17. فلة قشاعي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771_1837)،رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث 1990.
18. لحدوح عبد القادر: مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة دكتوراه، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 2009.
19. مسعودة كسال: الطلاق في المجتمع الحضري الجزائري عوامله و آثاره، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر،(1985-1986).
20. نهى محمد الصياد: اثر التغيرات الثقافية على الانساق التصميمية للنتائج البنائي، رسالة ماجيستير ، قسم العمارة، كلية الهندسية، جامعة القاهرة ،2002.
21. وداد بلامي: النفوذ الإقتصادي والسياسي ليهود الجزائر،رسالة ماجيتير،جامعة قسنطينة،2004.

خامسا: قائمة المجلات :

1. خيرة بن بلة: منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني، دراسة أثرية فنية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، عدد 13.
2. صابر بليدي: قصر أحمد باي يروي عمارته وجواريه ازوار قسنطينة، روايات عن 385 جارية كن يعشن في القصر، جدارية عملاقة تحاكي أطوار رحلة الباي بين الجزائر و مكة أماكن العرب، العدد 9896.
3. عائشة غطاس: الصداق في مجتمع مدينة الجزائر،(1672-1854) ، مجلة انسانيات، العدد4، 1998.
4. فاطمة الزهراء قشي: دوائر المصاهرات فب قسنطينة مع نهاية القرن 18، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا في العلوم الإجتماعية و الثقافية، عدد4 ، وهران 1998.
5. فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي،منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، الجزائر، 2005.
6. محمد الزين: نظرة على الأحوال الجوية للجزائر العثمانية في أواخي عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17.
7. ناصر الدين سعيدوني: وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت، مجلة الاصالة ، مطبعة البعث، قسنطينة، عدد 59، 1971.
8. يحي بوعزيز: الحياة الإقتصادية والإجتماعية للمجتمع الريفي للشرق الجزائري خلال القرن (19)،مجلة الثقافة، العدد8، 1984.

سادسا: قائمة القواميس:

1. المعجم العربي الأساسي: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبعة الآروس،1989.
2. عبد الحميد مرداسي: معجم الموسيقى الحضارية لقسنطينة، تعريب صلاح الدين الاخضري، منشورات الفضاء الحر، قسنطينة، الجزائر،2010.
3. محمد بن يعقوب مجد الدين فيروز آبادي: القاموس المحيط، ك3، المطبعة الاميرية، مصر.
4. محمد عاطف غيث: قاموس علم الإجتماع، دار المعرفة، مصر، دت.


الملاحق

الملاحق

الملحق رقم(1):



3 - دولاكروا (أوجان) - نسوة من الجزائر في غرفتهن

المصدر:شارل اندري جوليان:المرجع السابق،ص25.

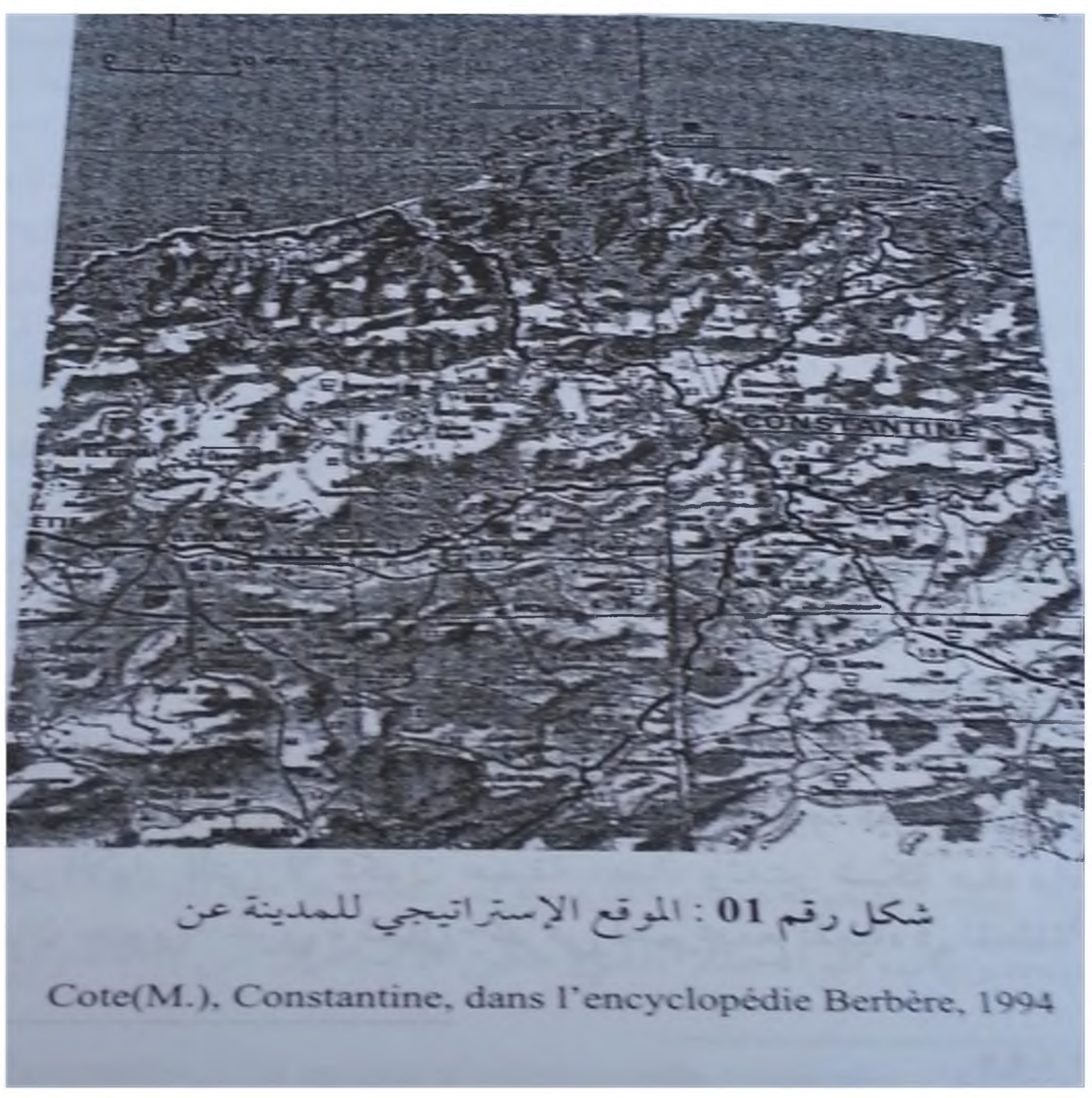
الملحق رقم(2):



4 - شاسيريو (ت). - يهوديات على الشرفة.

المصدر: شارل اندري جوليان: المرجع السابق، ص 26.

الملحق رقم(3):

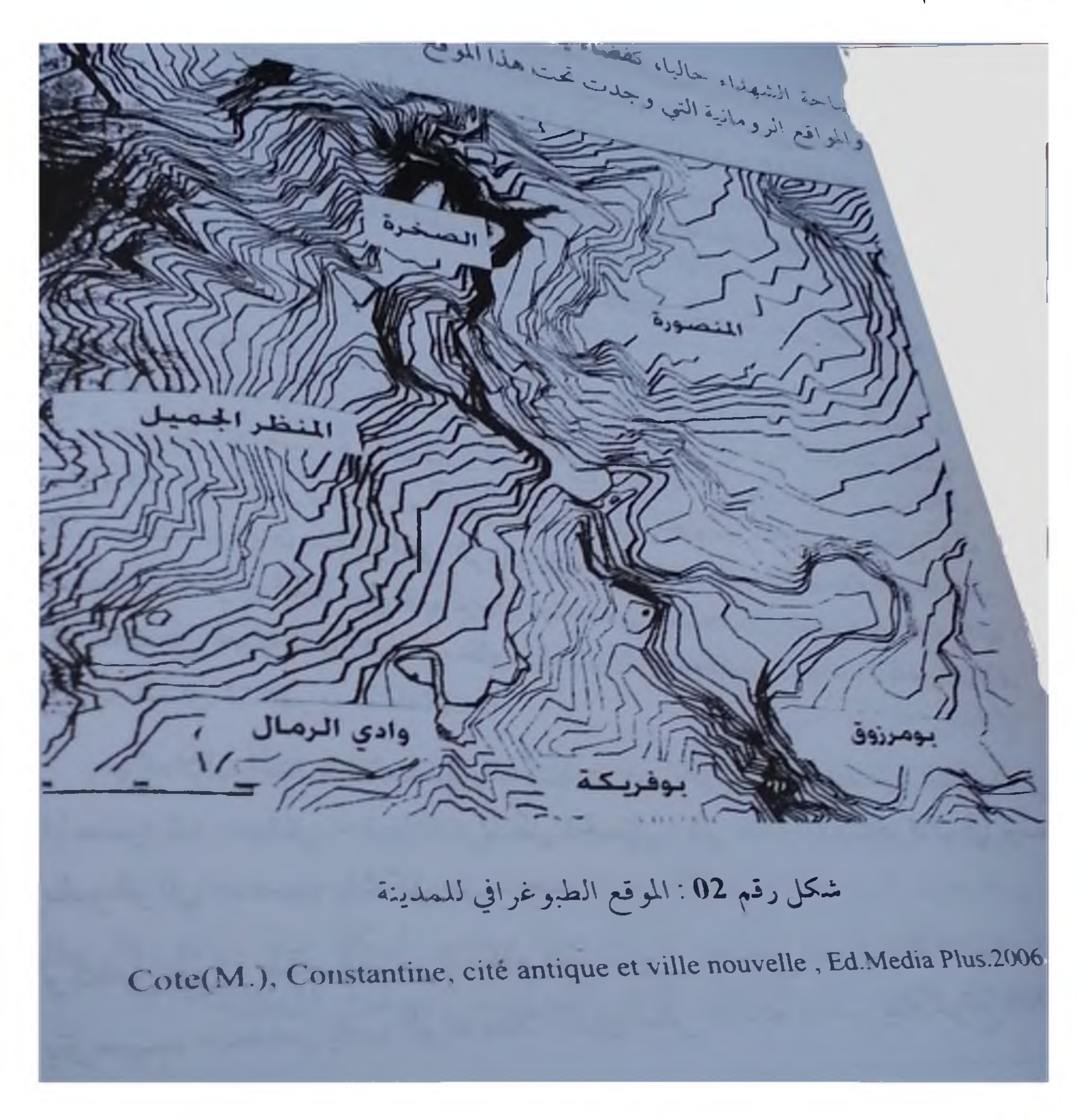


شكل رقم 01 : الموقع الإستراتيجي للمدينة عن

Cote(M.), Constantine, dans l'encyclopédie Berbère, 1994

المصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتاالنوميديا والرومانية،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص13.

الملحق رقم(4):



شكل رقم 02 : الموقع الطبوغرافي للمدينة

Cote(M.), Constantine, cité antique et ville nouvelle , Ed.Media Plus.2006

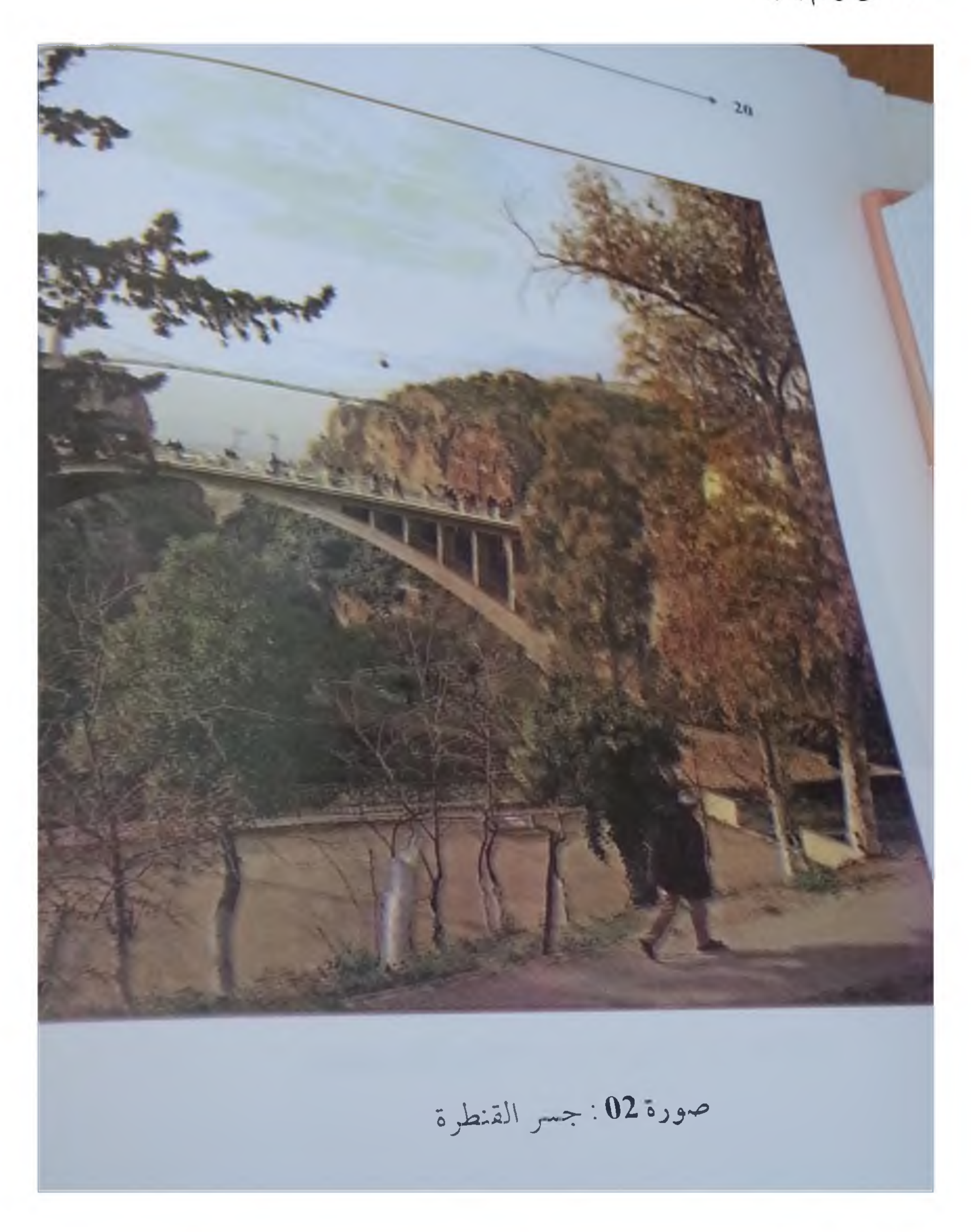
مصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص16.

الملحق رقم(5):



المصدر :مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص19.

الملحق رقم(6):



صورة 02 : جسر القنطرة

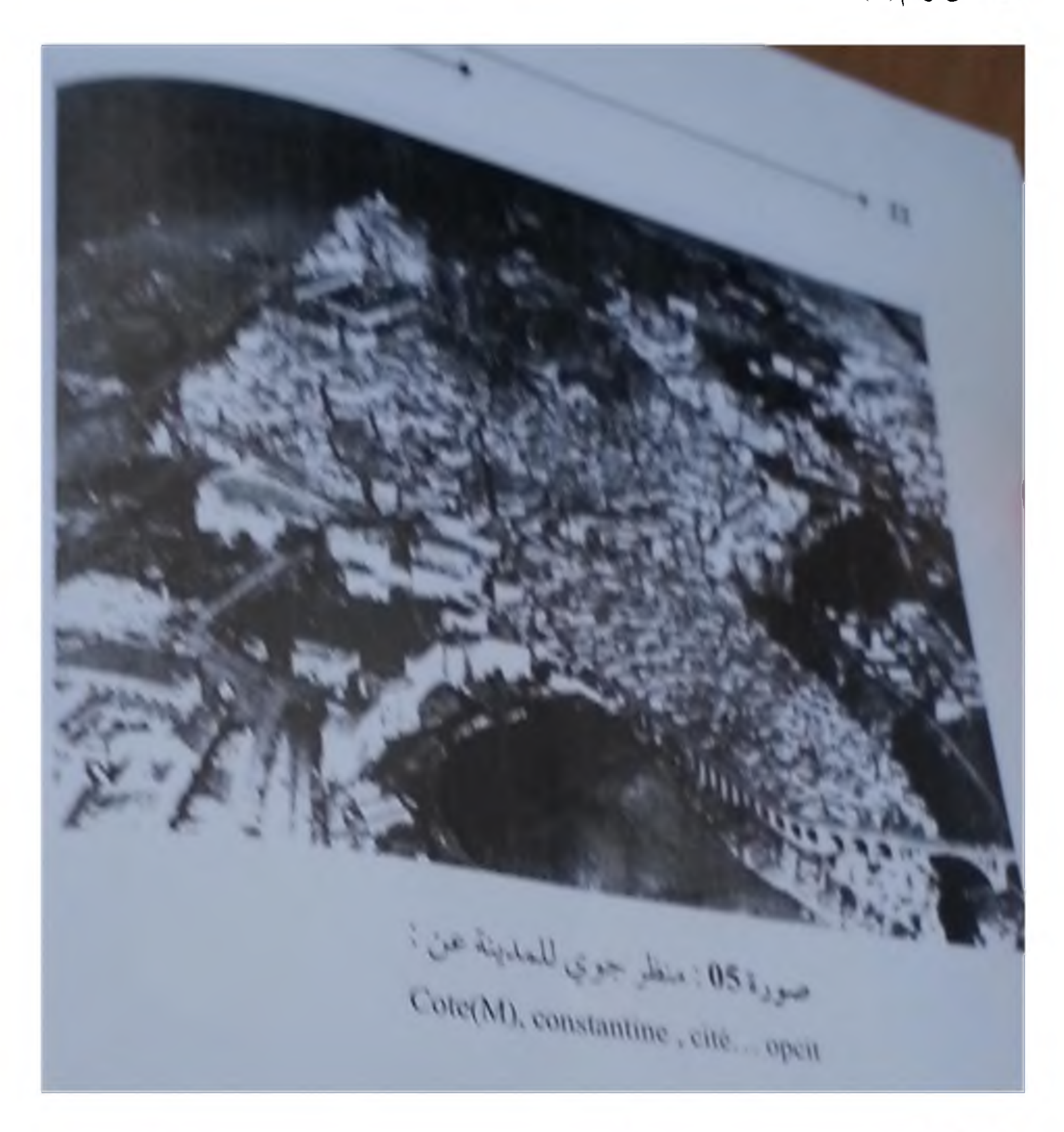
المصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص20.

الملحق رقم(7):



المصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص21.

الملحق رقم(8):



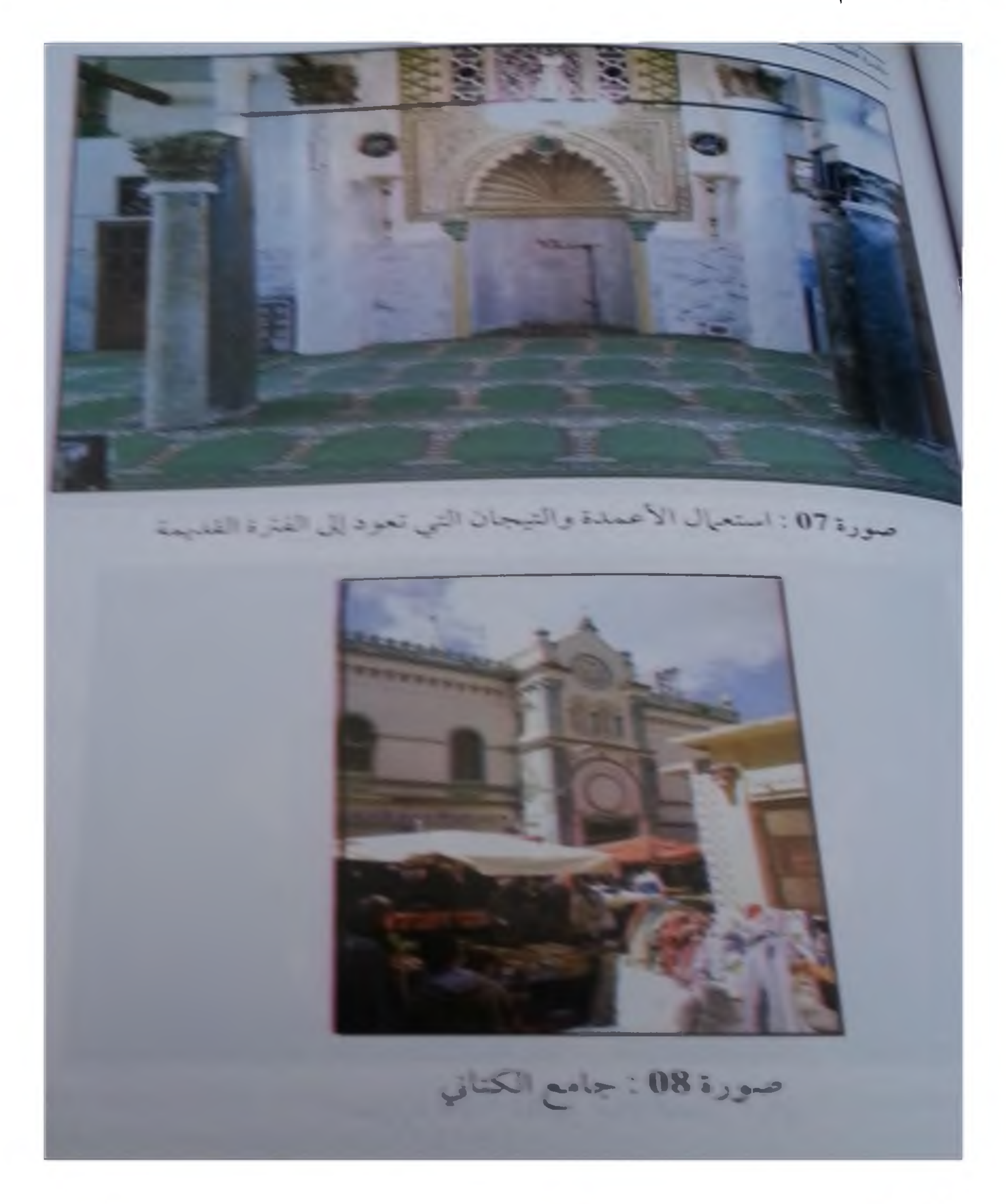
المصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص22.

الملحق رقم(9):



المصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص26.

الملحق رقم(10)



صورة 07 : استعمال الأعمدة والتيجان التي تعود إلى الفترة القديمة

صورة 08 : جامع الكتاني

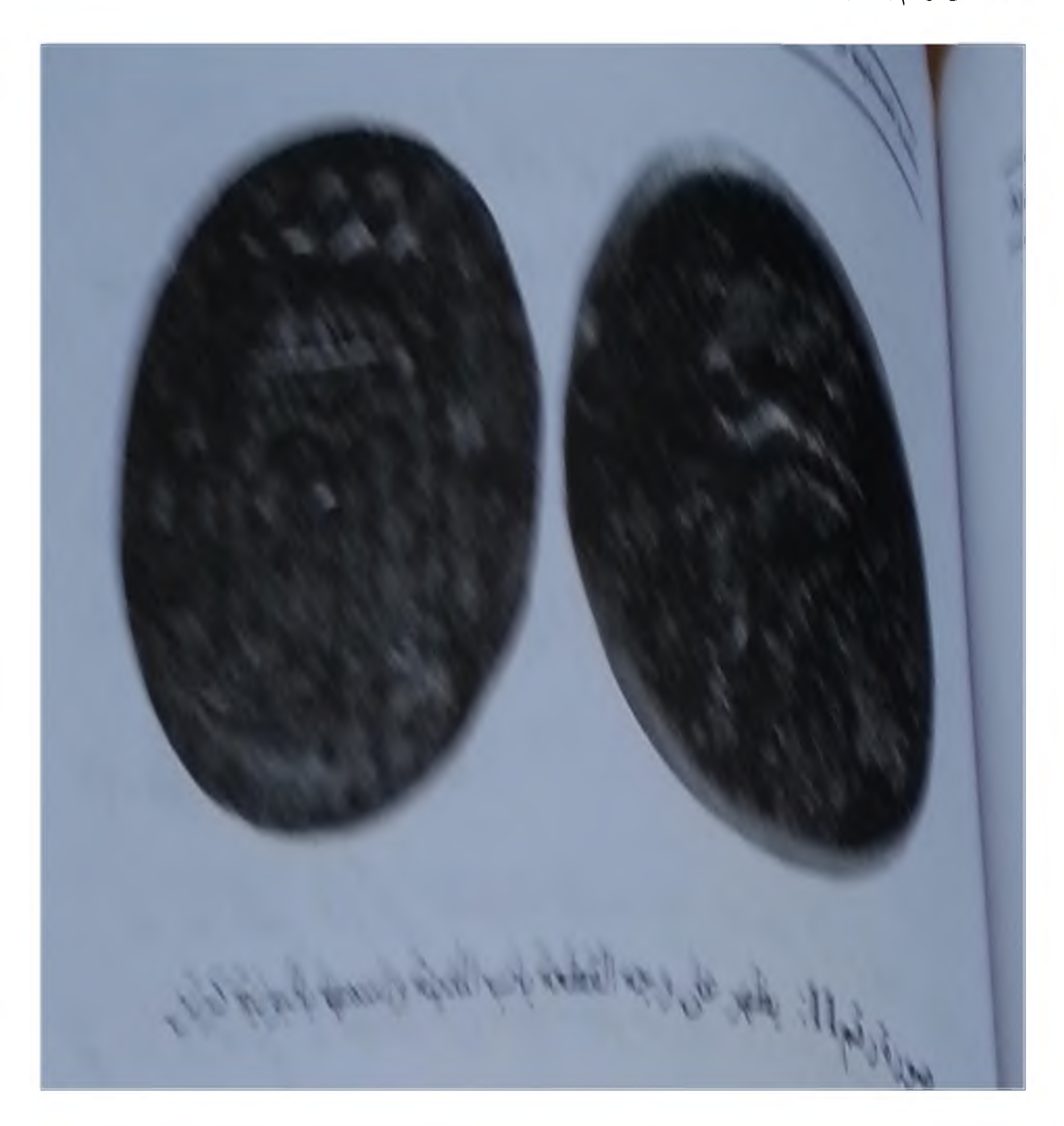
المصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،ص27.

الملحق رقم (**11**):



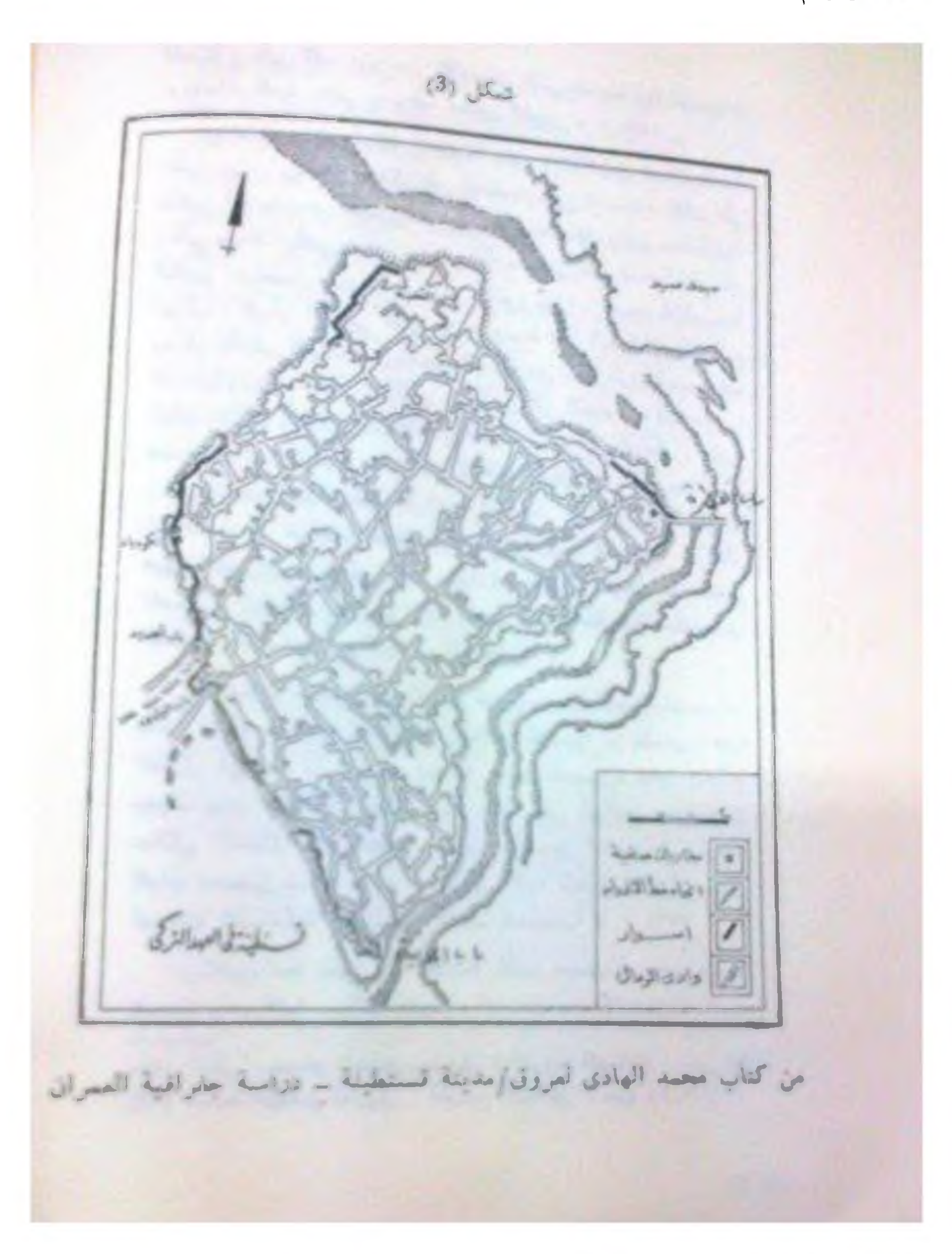
المصدر: مهنتل (مقروس) جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر، **2011**،ص**28**.

الملحق رقم(12):



المصدر:مهنتل(مقروس)جهيدة: حاضرة قسنطينة، كارتا النوميديا والرومانية ،دار الهدى لطباعة و النشر،2011،،ص33.

الملحق رقم(13):



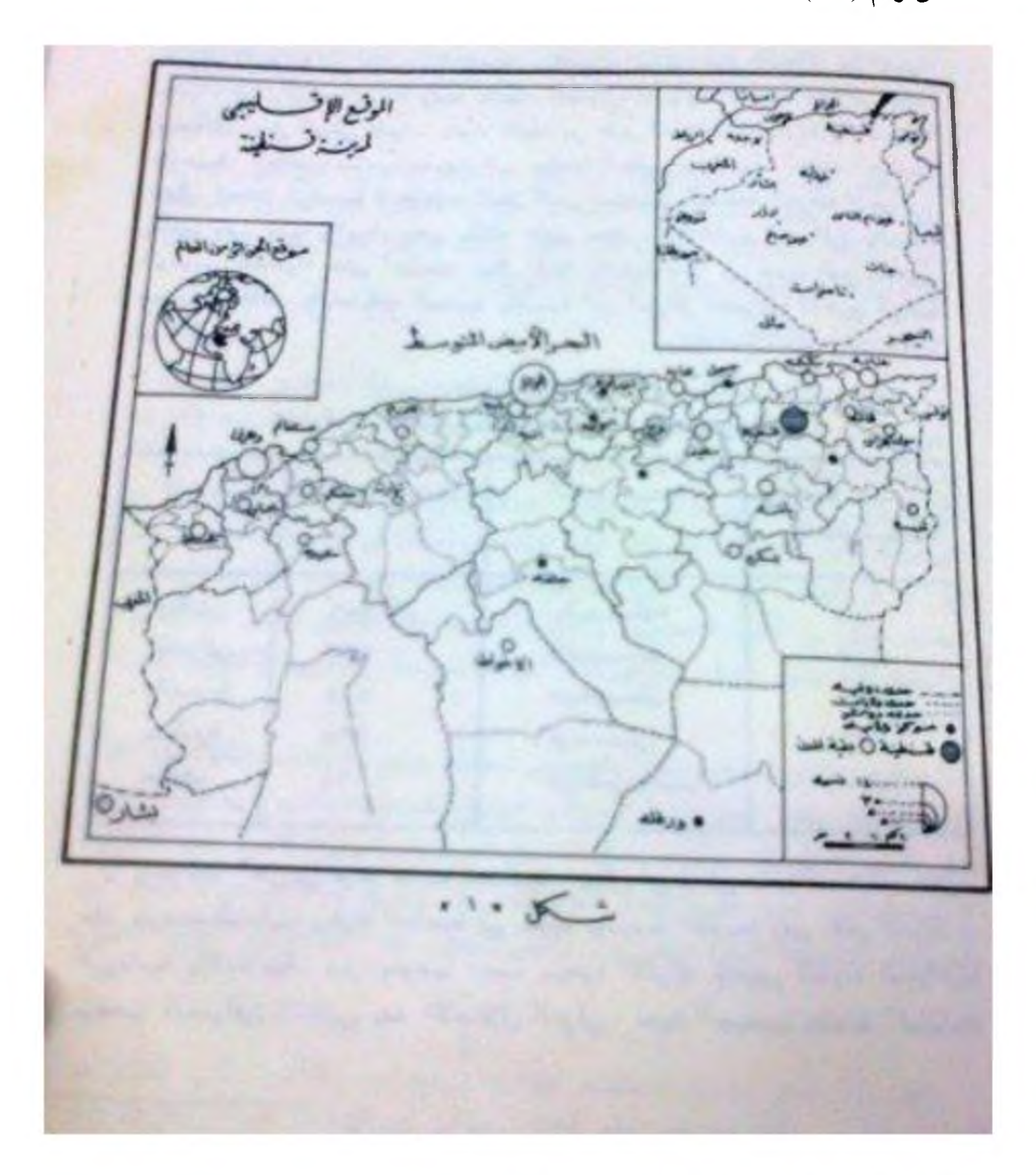
المصدر:عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي لعروق:المرجع السابق،ص92.

الملحق رقم(14):



المصدر:عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي لعروق:المرجع السابق،ص100.

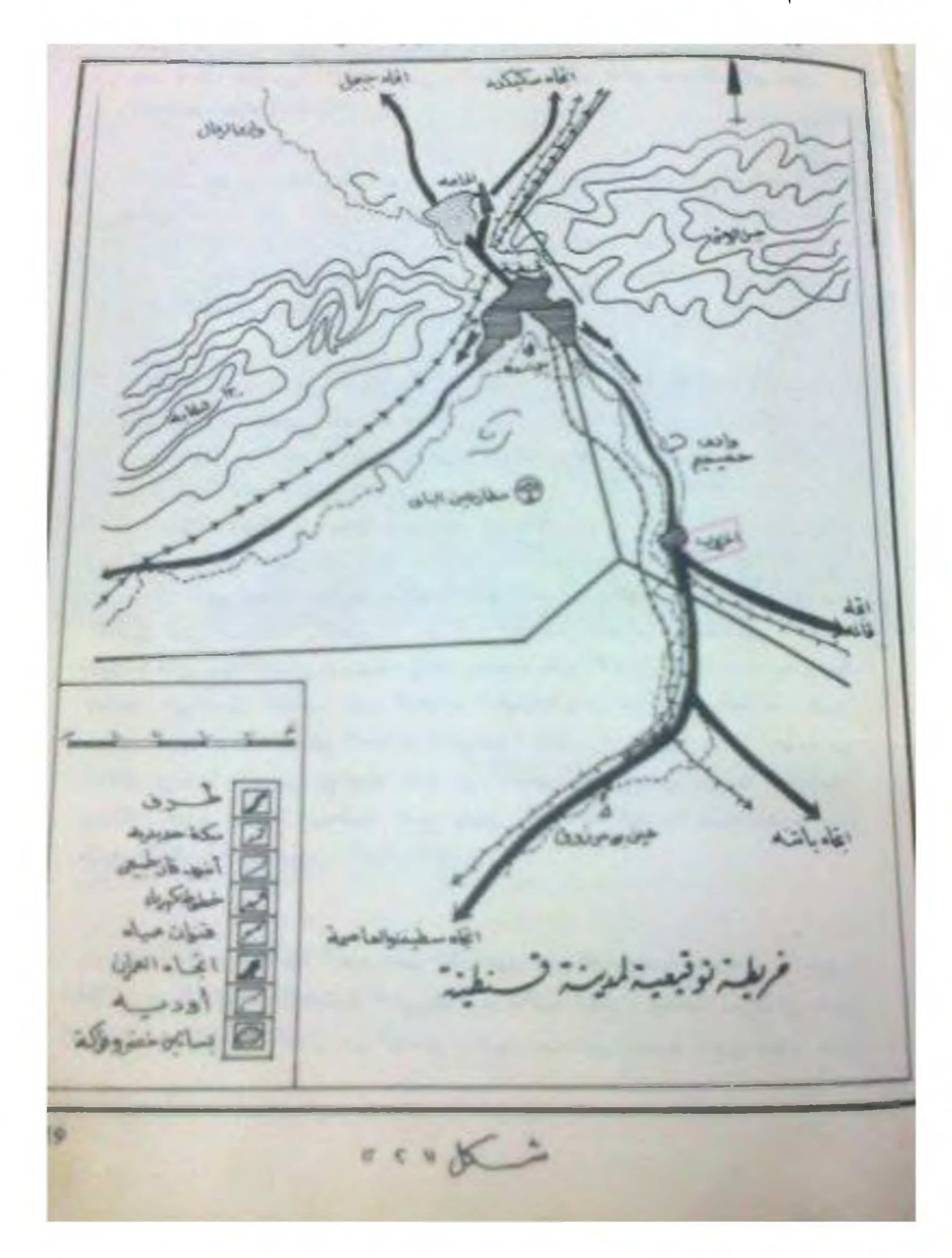
الملحق رقم (15):



المصدر: محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص15.

الملاحق

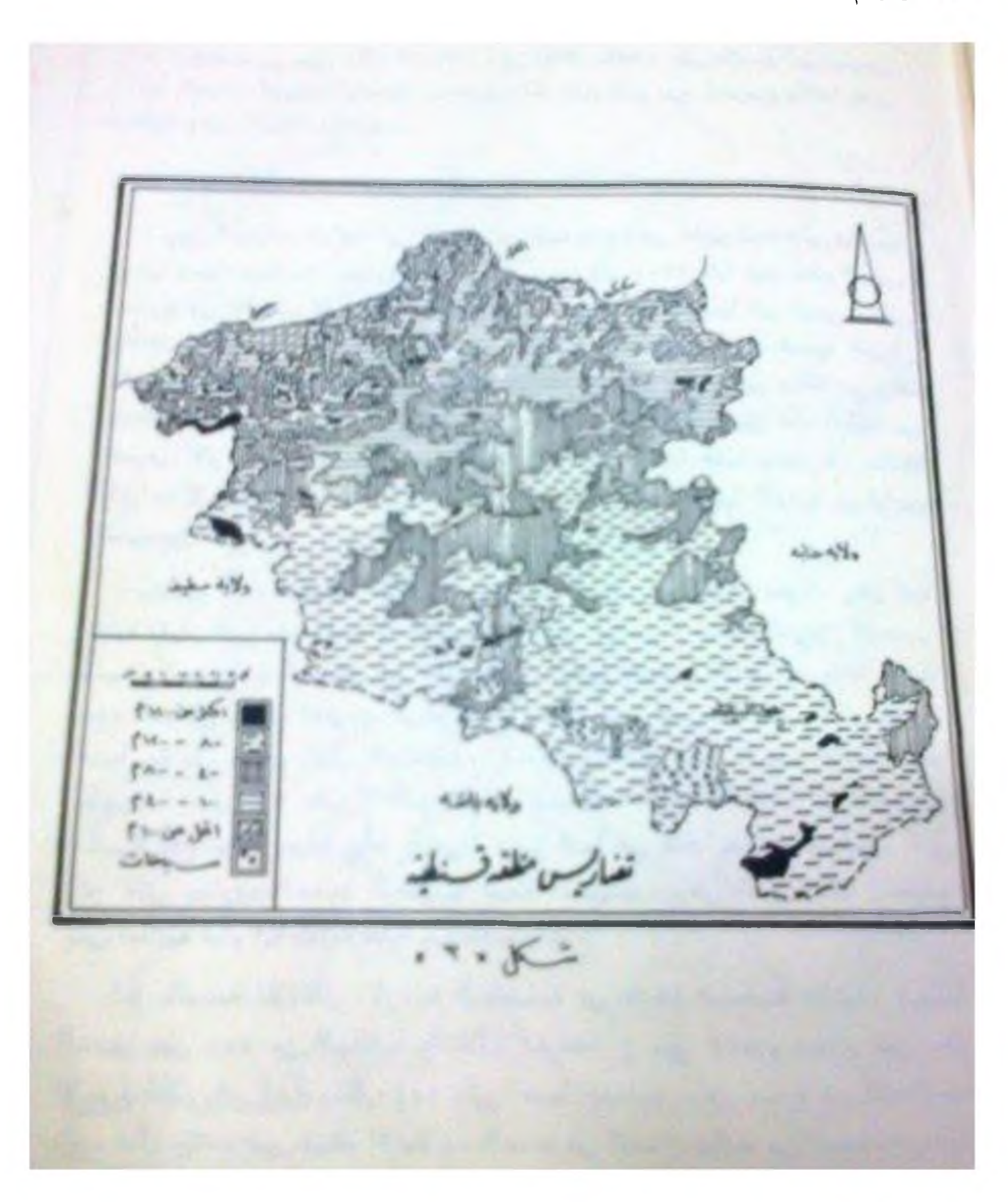
الملحق رقم(16):



المصدر :محمد الهادي لعروق،المرجعالسابق،ص 19.

الملاحق

الملحق رقم(17):



شكل ٢٠

المصدر: محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 23.

الملحق رقم (18):



قاضي

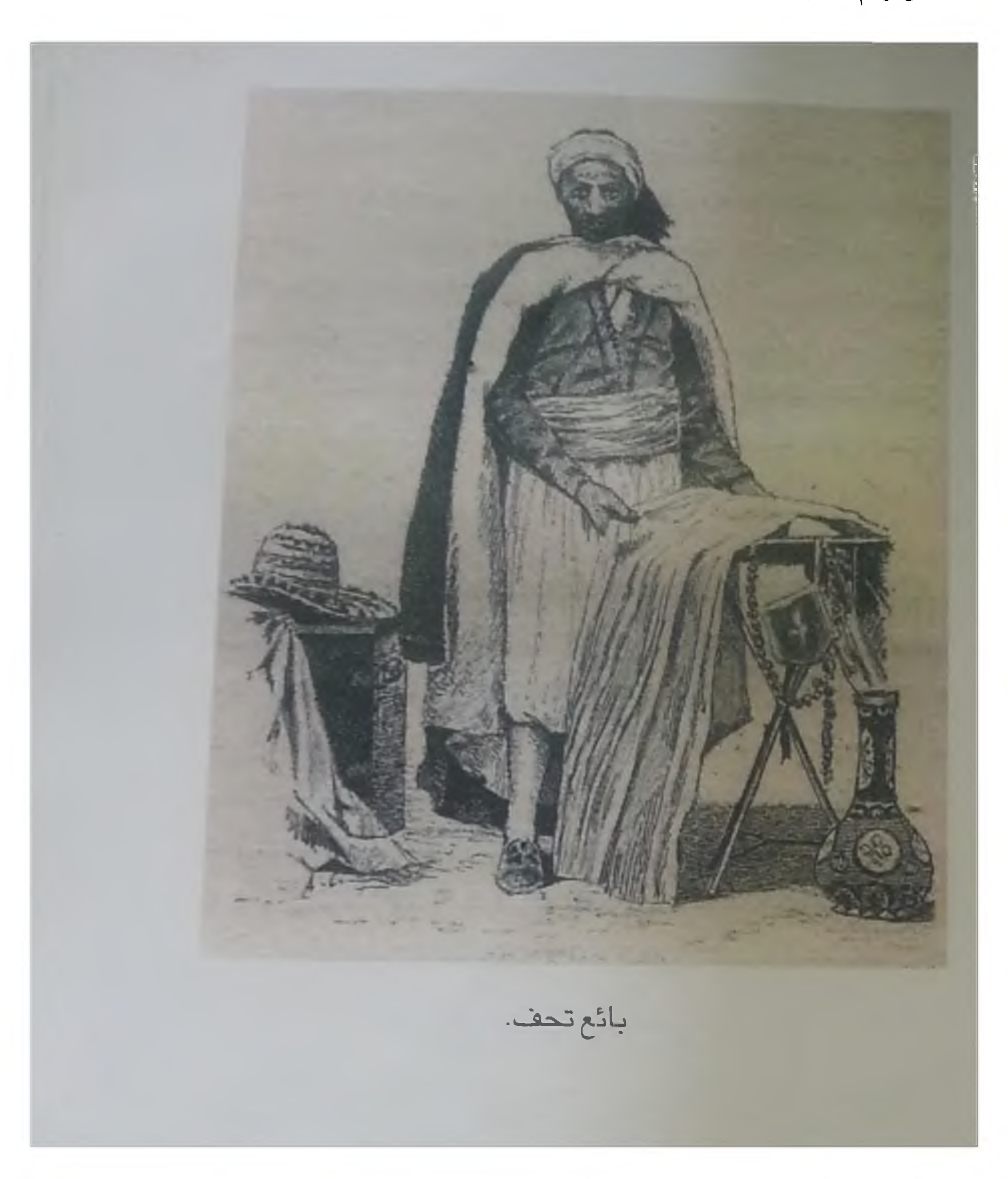
المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص198.

الملحق رقم (19):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص197.

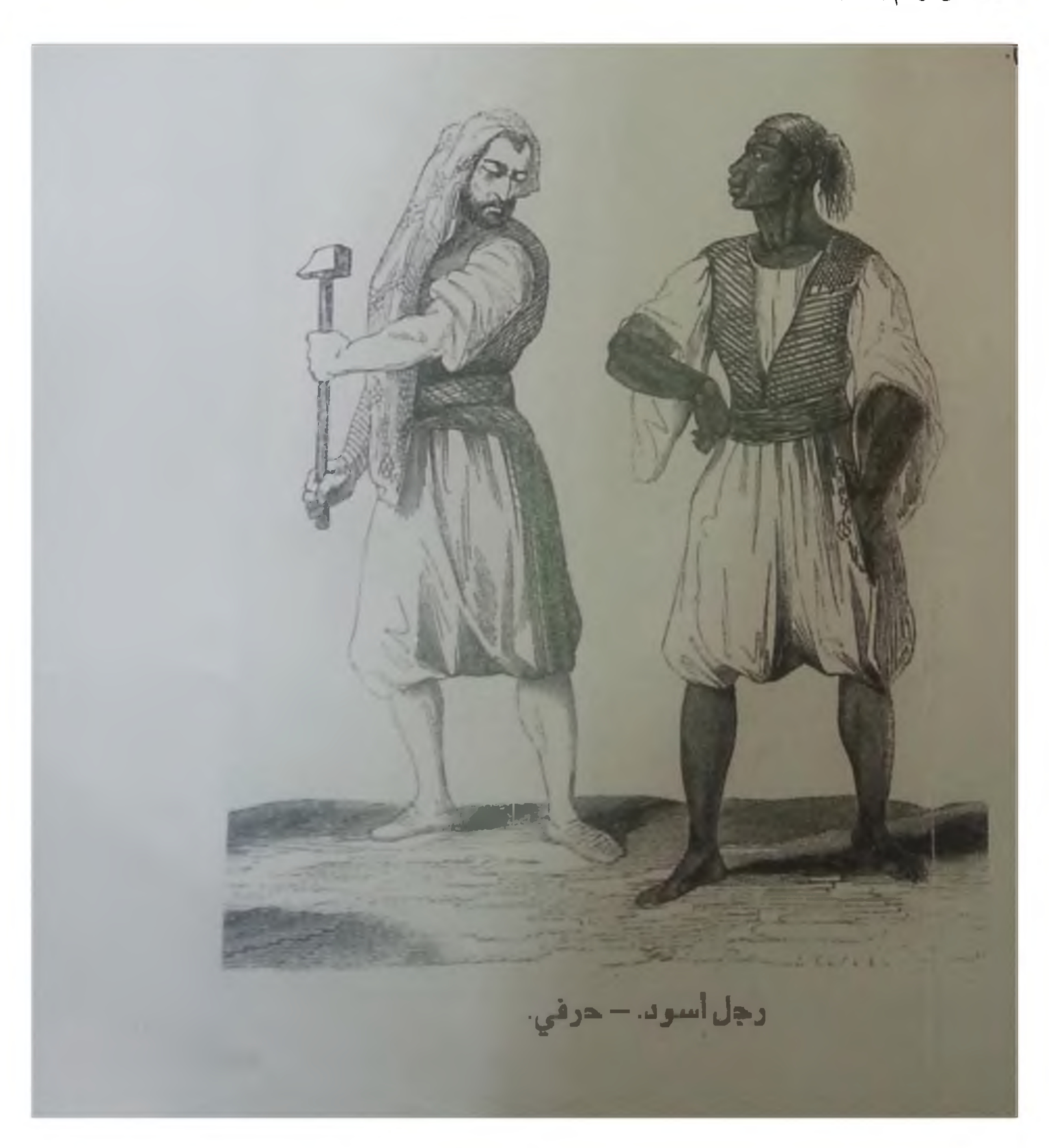
الملحق رقم(20):



بائع تحف.

المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص199.

الملحق رقم(21):



رجل أسود. – حرفي.

المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص 201.

الملحق رقم(22):



حارس مسجد. إمام مسجد.



مفتي.

المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص203.

الملحق رقم(23):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص205.

الملحق رقم(24):



السلطان

المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص207.

الملحق رقم(25):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص 208.

الملحق رقم (26):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص209.

الملحق رقم(27):





المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص221.

الملحق رقم (28):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص 212.

الملحق رقم (29):



محصل جباية السوق 1843م



حمال

المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص213.

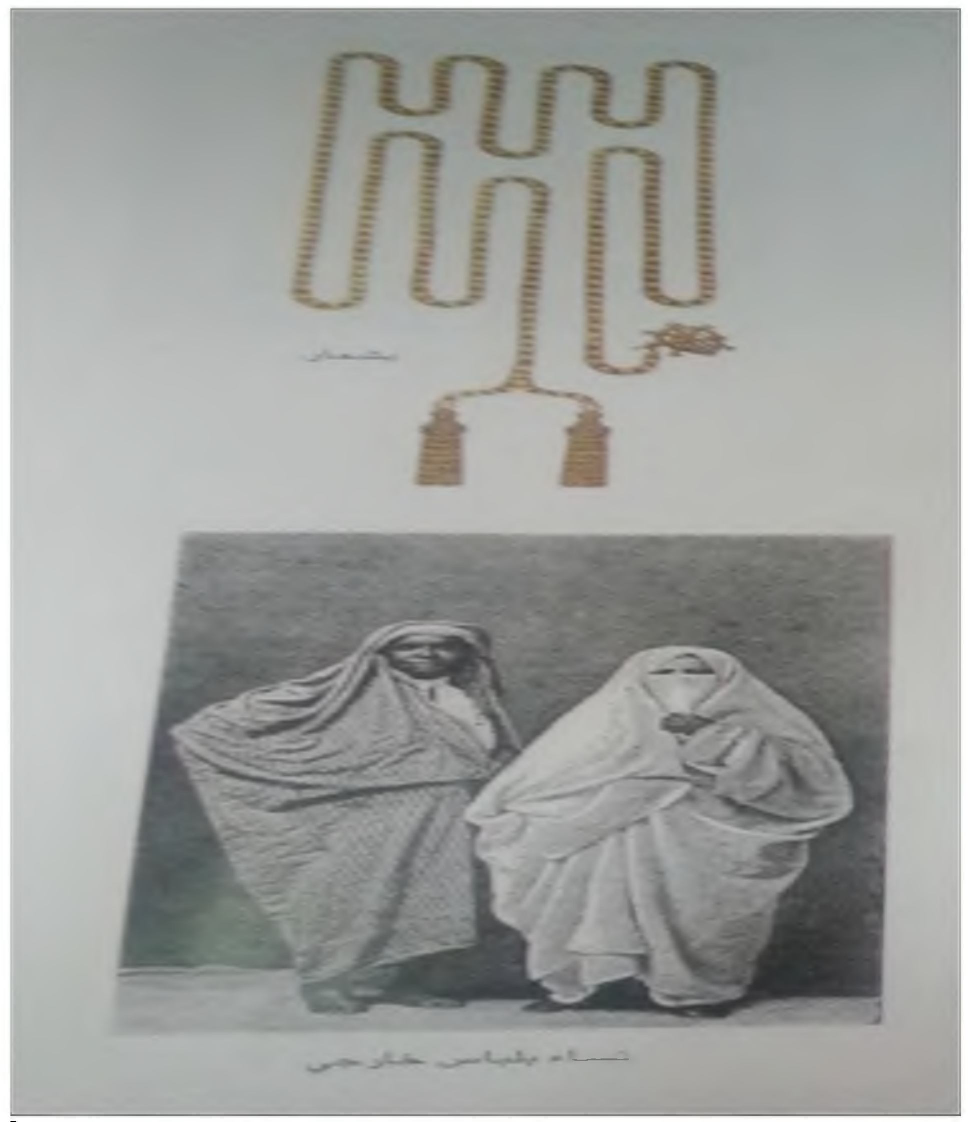
الملحق رقم(30):





المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص216.

الملحق رقم (31):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق، ص218.

الملحق رقم(32):





المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص222.

الملحق رقم(33):



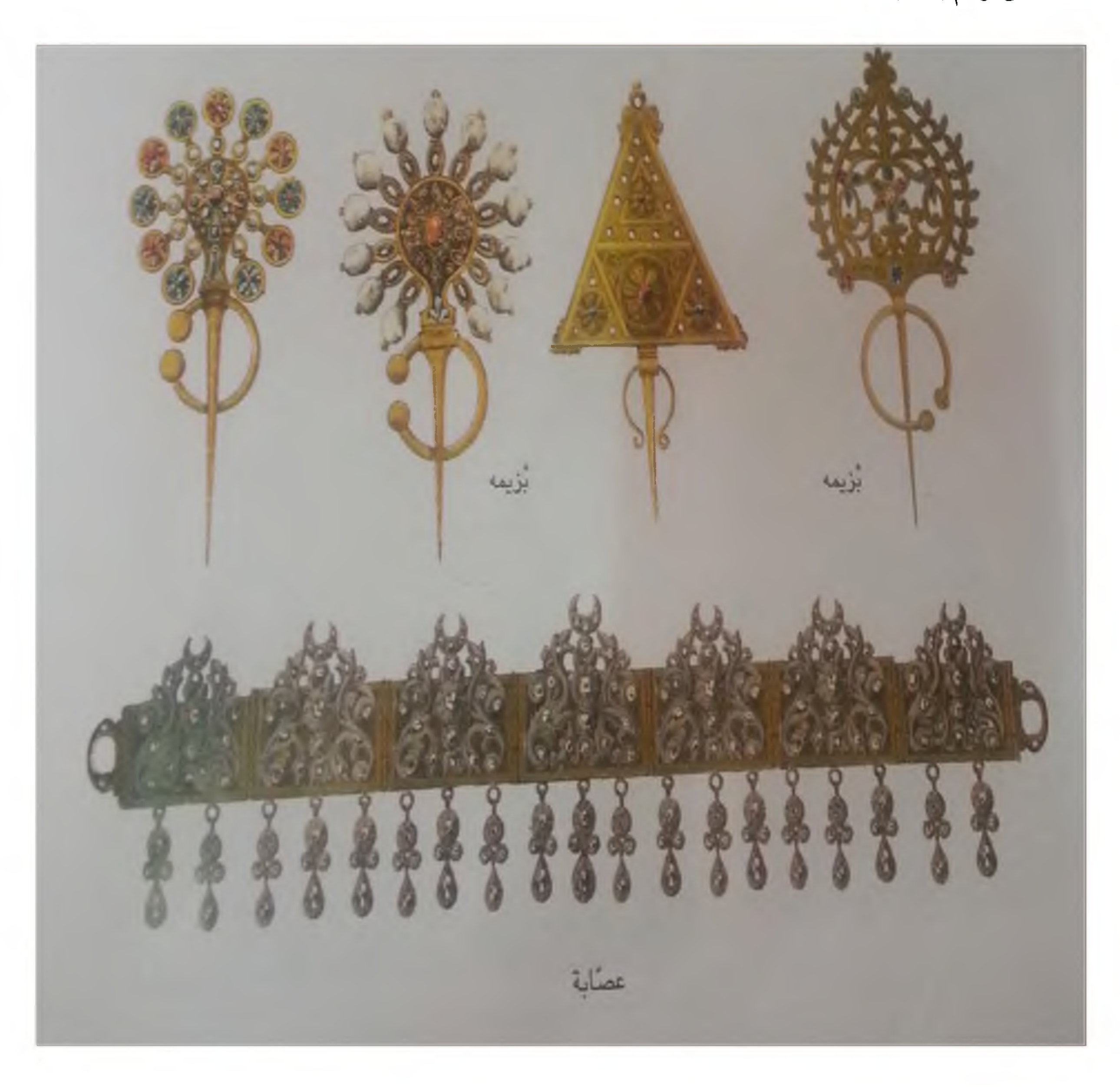
المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص 224.

الملحق رقم(34):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص225.

الملحق رقم(35):



المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص 226.

الملحق رقم(36):

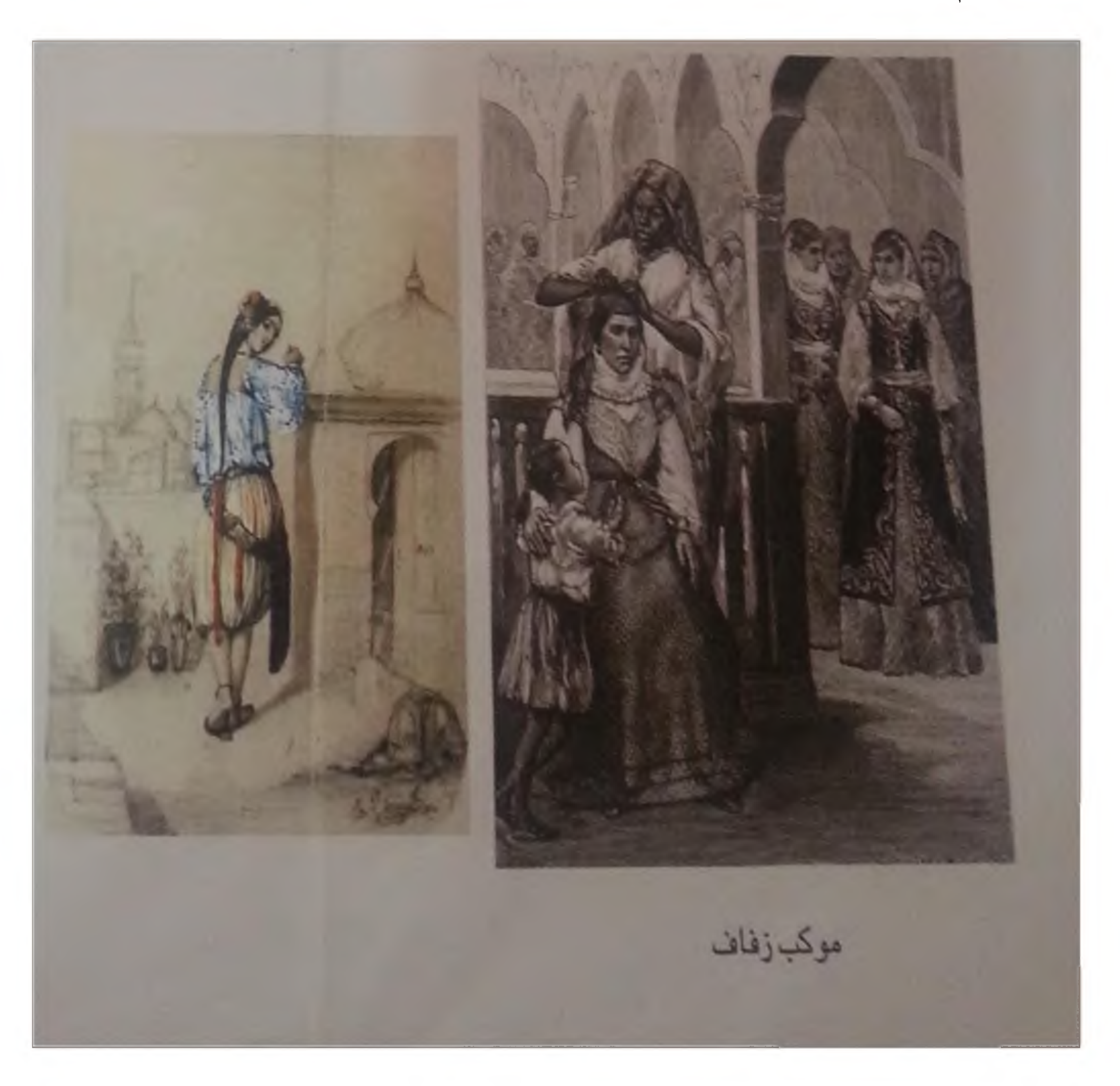




لباس داخلي.

المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص229.

الملحق رقم(37).



موكب زفاف

المصدر: نصر الدين براهامي : نصوص علي تابليت، المرجع السابق،ص232.


الفهارس

الفهارس

فهرس الموضوعات

فهرس الجداول:

الفهارس

فهرس الملاحق